

الدين .. والدجل
(٧)

السلفية ..
والوثنية المقدسة

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب ـ عبر الوثائق والأدلة الكثيرة ـ الصورة التي ترسمها المدارس السلفية لله سبحانه وتعالى، وهي صورة موغلة في التجسيم والتشبيه، ومتناقضة تماما مع الرؤية التنزيهيه التي نزل بها القرآن الكريم، ودل عليها قبل ذلك العقل والفطرة السليمة.

ولا يكتفي الكتاب بوصف تلك الصورة من خلال الروايات التي يعتمد عليها السلفية أو أهل الحديث في كتبهم، بل يضم إليها محاولة البحث عن العلل والدوافع ونحوها، والتي يتضح من خلالها منهج التفكير السلفي في التصورات العقدية، والرؤية الكونية، والذي سرى تأثيره بعد ذلك في التصورات والمواقف المختلفة.

بالإضافة إلى ذلك كله يحاول الكتاب أن يعرض التأثيرات اليهودية على العقيدة السلفية، والتي نبه القرآن الكريم إلى خطورتها، وحذر الأمة من أن تقع فيما وقع فيه سلفها من بني إسرائيل وغيرهم من التجسيم والتشبيه.

الدين والدجل

(7)

السلفية..
والوثنية المقدسة

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الأولى

1437 هـ -2016

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء

هذا الكتاب هدية إلى الذين لا يزالون يفكرون بعقولهم من أبنـاء المدرسـة السـلفية، بتوجهاتهـا المختلفـة، وهـو يدعوهم إلى إعمال عقولهم في هـذه المسـائل الخطـيرة التي يرتبط بها مصيرهم الأبدي.

وأنا لا أقول لهم من خلاله: اتركـوا عقائـدكم المملـوءة بالخرافة والتجسيم والتشبيه..

ولا أقـول لهم: اتركـوا كتبكم ومـراجعكم الـتي تتلونهـا أكثر من تلاوتكم لكلام ربكم..

ولا أقول لهم: اتركوا أئمتكم الذين تقدسونهم أكثر مما تقدسون رسولكم ﷺ..

ولكـني أقـول لهم: راجعـوا جيـدا مـوقفكم من ربكم.. وتصـوركم لـه .. وتعـاملكم معـه.. وانظـروا إلى الحقـائق العلمية التي تظهر كل يوم لتكشف زيف أئمتكم ودجلهم.

وهذا الكتاب لم يفعل سوى أن نقل لكم بضاعتكم كمـا هي في مصـادركم الـتي تتعبـدون بتلاوتهـا، والخضـوع المطلق لها، ولم يفعل سوى أن وضـع بجانبهـا مـا يـذكره القـرآن الكـريم، ومـا يقولـه العقـل السـليم، ومـا تقولـه الفطرة التي تعبـد اللـه وحـده، ولا تشـرك معـه سـلفا ولا خلفـا.. لتختـاروا لأنفسـكم أي المـذهبين أقـوم: مـذهب التنزيه والتعظيم، أم مذهب التجسيم والوثنية؟

المحتويات

المقدمة

لا شك أن الاهتمام بالبحث عن معرفة الله، وبذل كل الوسائل والجهود لأجل تحصيلها وتصحيحها، بل إفناء العمر في ذلك قليل جدا أمام عظمتها وأهميتها.

ذلك أننا إذا اعتبرنا الجهد المبذول في ذلك بقدر قيمة المعرفة.. فليس هناك قيمة في الوجود أعظم أو أهم من الله.. فالله هو مصدر كل قيمة في الوجود.. بل هو مصدر كل حقيقة من حقائقه.. فالله هو مصدر الفيزياء والكيمياء والرياضيات.. وهو مصدر علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة .. وكل علم من علم من علوم الدنيا، وكل فن من فنونها.. ولذلك من الغريب أن نهتم بتلك العلوم والمعارف، ونعطيها كل جهودنا، ونستعمل كل الأدوات للتحقيق فيها، ثم لا نهتم بمعرفة مصدرها ومنبعها وبارئها.

وهكذا إذا اعتبرنا الجهد المبذول بقدر المصلحة.. فليس هناك مصلحة أعظم للإنسان من مصلحة تعرفه على ربه، وارتباطه به.. فمن عرف الله عرف مواضع رضاه.. ومن عرف مواضع رضاه نال مبتغاه.. بل إن معرفة الله نفسها إكسير أحمر يحول الإنسان إلى جوهر نفيس من جواهر الوجود.. وهو من دونها هباء وسراب لا قيمة له.

وقد أشار إلى هاتين الناحيتين في المعرفة الإلهية الإمام جعفر الصادق عندما رأى بعض الزهد في هذا النوع من المعرفة، فقال: (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلَّ عندهم مما يطوونه بأرجلهم، ولنَعِمُوا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله) [1]

ثم فصل بعض آثار ذلك بقوله: (إن معرفة الله عز وجل أنْسٌ من كل وحشة، وصاحبٌ من كل وحدة، ونورٌ من كل ظلمة، وقوةٌ من كل ضعف، وشفاءٌ من كل سقم) [2]

وأشار ﵇ ذلك أيضا الإمام الحسين في بعض مواعظه، فقال: (أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا

---

[1] () الكافي:8/247.

[2] () الكافي:8/247.

عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه)[1]

وأشـار إلى ذلـك قبلهمـا الإمـام علي، حين اعتـبر أول الـدين وأساسه معرفة الله، فقال: (أولُ الدين معرفتـه، وكمـالُ معرفتـه التصديق به، وكمالُ التصديق به توحيدُه، وكمـالُ توحيـده الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصفات عنه، لشـهادة كـلِّ صـفة أنهـا غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة)[2]

وهكذا وردت الروايات الكثيرة عن أولياء هذه الأمـة تـدعو إلى الاهتمام بالبحث الجـاد عن المعرفـة الإلهيـة من سـبلها الصـحيحة المعصومة، حتى لا يحيق بهذه الأمة ما حاق بغيرها من الأمم.

ذلك أن من عادة الشيطان ـ كما يخبر القرآن الكريم ـ أن يبدأ بالسعي في تشـويه هـذه المعرفـة، فـإن تمكن من ذلـك لا يبـالي بعدها بشيء.

وقد أخبر القرآن الكريم عن نمـوذج من نمـاذج ذلـك، وهـو مـا حصل لبني إسرائيل بمجرد خروجهم من مصر.. فقد كـان أول مـا طلبوه ـ بغواية من الشيطان ووسوته ـ أن يجعل لهم موسى عليه السلام إلها كالآلهة التي تعبدها الأمم من حـولهم.. لأنـه عـز عليهم أن يعبدوا إلها لا يتمكنون من رؤيته.

قال تعالى مشيرا إلى ذلك: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَـكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّـاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُـرُونَ﴾ [البقـرة: 55]

وهكـذا ذكـر القـرآن الكـريم حرصـهم على الرؤيـة الجهريـة الحسـية للـه، حـتى عوقبـوا على ذلك[3]، ومـع ذلـك لم تثنهم تلـك العقوبة عن البحث عن إله حسي يمكنهم أن يروه ويلمسوه.

ولذلك بمجـرد أن غـاب موسـى عليـه السـلام صـنعوا إلهـا من ذهب .. وصاروا يعبدونه غير مـراعين لتلـك التوجيهـات الـتي كـان هارون عليه السلام يقوم بهـا مـع الثلـة القليلـة الـذين معـه، قـال

---

[1] () علل الشرائع:1/9.

[2] () نهج البلاغة:1/14.

[3] () وقد ورد في الكتاب المقدس ما يشير إلى هذه النزعة التجسيمية، ففي سفر الخروج [الإصحاح 32،ـ 1]: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشـعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنـا آلهـة تسـير أمامنـا)، وفيـه [13/20،ـ 1.]: (وارتحلـوا من سكوت ونزلوا في طرف البرية وكان الرب يسير أمـامهم نهـارا في عمـود سـحاب ليهـديهم الطريق وليلاً في عمود نار ليضـيء لهم..)، وفي [سـفر الخـروج 24/9-11]: (صـعد موسـى وهـارون.. وسـبعون من شـيوخ إسـرائيل ورأوا إلـه إسـرائيل وتحت رجليـه شـبه صـنعة من العقيق الأزرق الشـفاف.. لكنـه لم يمـد يـده إلى أشـراف بـني إسـرائيل فـرأوا اللـه وأكلـوا وشربوا)، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة.

تعالى يصور ذلك بدقة: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91)﴾ [طه: 85 - 91]

وما حصل في بني إسرائيل حصل مثله ــ للأسف ــ في هذه الأمة، حين ضيعت وصية نبيها في البعد عن كل ما يمكن أن يحرف هذا الدين، ويشوه جمال عقائده، وقد ورد في الحديث الصحيح ـ الذي يمثل وصية من أعظم وصايا رسول الله ﷺ ـ : أن عمر أتى رسول الله ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب، وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى - ﷺ - كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)[1]

لكن الأمة للأسف، وخصوصا السلفية منهم، عرفوا كيف يحتالون على هذا الحديث، ويضعوا بدله حديثا يقول: (لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن، فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه.. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)[2]

ومن العجائب في هذا الحديث أنه ينهى عن كتابة حديث رسول الله ﷺ، في نفس الوقت الذي يجيز الحديث عن بني إسرائيل..

وقد صار ـ للأسف ـ العمل بالحديث الأخير، بدل الحديث الأول على الرغم من غضب رسول الله ﷺ الشديد من رؤية صحيفة التوراة بيد مسلم.

ولكن مع ذلك راحت الأمة تنهل عقائدها في الله تعالى وفي الرسل عليهم الصلاة والسلام وفي عوالم الغيب من أهل الكتاب

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل: 3/387 ح(15195).

[2] البخاري (6 / 496 رقم 3461) والترمذي (7 / 431 - 432 رقم 2806)

بدل أن تأخذها من مصادرها المعصومة.. خاصة وأن أولئك اليهود الذين سلم لهم أمر الدين كانوا من أقرب المقربين للملوك والأمراء.. فكثر أتباعهم لذلك.. وكثرت طرق الأحاديث التي يروونها، واختلطت مع أحاديث رسول الله ﷺ .. وأصبحت السنة هي الوعاء الذي يحمل أمثال تلك العقائد اليهودية التي تسربت للإسلام.

ومن هنا تسلل الشيطان لهذه الأمة ليصنع لها إلها يتوافق مع الرؤية المادية الحسية..

وقد تولى من يسمون أنفسهم [السلفيين]، و[أهل الحديث]، و[أهل السنة والجماعة] الدعوة إلى هذه المعرفة الحسية التجسيمية لله، فألفوا في ذلك الكتب ووضعوا الأحاديث وحرفوا معاني القرآن الكريم لتنسجم انسجاما تاما مع تلك الرؤية المادية الحسية.

وكان أول ما فعلوه هو رميهم بالبدعة والضلالة كل تلك الدعوات الصادقة التي كان ينادي بها أولياء الله من أهل بيت النبوة، محذرين من أن تقع هذه الأمة في التجسيم الذي وقع فيه بنو إسرائيل..

وقد روي أن الإمام جعفر الصادق ذكرت له بعض الروايات التجسيمية التي كانت تنتشر في عصره انتشار النار في الهشيم، وخاصة بين المحدثين، فقال: (سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] ،لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا تدركه الأبصار ولا الحواس ولا يحيط به شئ ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد)[1]

وقال في محل آخر: (إن الله تعالى لا يشبهه شيء، أي فحشٍ أو خنى أعظمُ من قولٍ من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)[2]

وقال: (من زعم أن الله في شىء، أو من شىء، أو على شىء فقد أشرك. إذ لو كان على شىء لكان محمولا، ولو كان في شىء لكان محصورا، ولو كان من شىء لكان محدثا- أي مخلوقا)[3]

ومثله قال الإمام الكاظم لما ذكر له بعض المجسمة ممن

---

[1] () الكافي للكليني1/104.

[2] () الكافي1/105.

[3] () الرسالة القشيرية (ص/ 6).

يزعمون صحبته: (قاتله الله أما علم أن الجسم محدود والكلام غير المتكلم، معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول، لا جسم ولا صورة ولا تحديد وكل شيء سواه مخلوق، إنما تكون الأشياء بإرادته ومشيئته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان)[1]

وهكذا قال الإمام الرضا: (إنه ليس منا من زعم أن الله عزوجل جسم، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة، يا ابن أبي دلف إن الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه)[2]

وهكذا وردت الروايات الكثيرة عن الإمام علي في المصادر السنية والشيعية تبين حقيقة المعرفة الإلهية، وأنها معرفة تنزيهية تعظيمية، لا حسية تجسيمية، ومنها قوله المشهور: (كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان)[3]

لكن الأمة للأسف، وأهل الحديث منهم خصوصا، ولأسباب كثيرة أعرضت عن هؤلاء، وعن تلك التحذيرات الخطيرة التي لم تكن تختلف عن تلك التحذيرات التي كان يصيح بها هارون عليه السلام في بني إسرائيل.

وكان أول الانحراف هو قبولها للتفسير اليهودي للقرآن الكريم..

وكان أول سامري تقربه الأمة، وتثق فيه، وتسلمه كتابها ليفسره لها ـ بعد إعراضها عن هارونها[4] ـ هو كعب الأحبار.. ومن هنا بدأت صناعة الوثن المقدس، والذي لا يختلف كثيرا عن الوثن الإسرائيلي.

فقد كان لكعب الأحبار .. ولتلاميذه البارزين من الصحابة والتابعين .. تأثيره العظيم في تأسيس صرح الوثنية في هذه الأمة.

ومن الأمثلة على ذلك هذه الرواية التي تطفح بالتجسيم، والتي يقول فيها كعب الأحبار ـ متحدثا عن الله بكل جرأة ـ: (قال الله عز وجل: أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا

---

[1] () الكافي 1/ 106 وهو في التوحيد للشيخ الصدوق ص 99 والاحتجاج للشيخ الطبرسي 2/155

[2] () التوحيد للصدوق 104 وانظر نور البراهين لنعمة الله الجزائري 265 وبحار الأنوار للمجلسي 84/197

[3] () الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي [ص / 333].

[4] () أشير به إلى قوله ﷺ لعلي في الحديث الصحيح: (ألا ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي) [صحيح البخاري 5 / 24، صحيح مسلم 4 / 1870]

على العرش أدبر أمر عبادي، لا يخفى علي شيء من أمـر عبـادي في سمائي وأرضي، وإن حُجبوا عــني فلا يغيب عنهم علمي، وإلي مرجـع كـل خلقي فـأنبئهم بمـا خفي عليهم من علمي، أغفـر لمن شئت منهم بمغفرتي، وأعذب من شئت منهم بعقابي)[1]

وللأسف فإن هذه الرواية، ومع كونها حديثا عن اللـه تعـالى، أو ما يسمى حديثا قدسيا، والأصـل فيـه أن لا يؤخـذ إلا عن معصـوم، لكن أهل الحديث غضوا الطرف عن ذلك، بل تلقوها، وكأنها قـرآن منزل[2]... لأن كعب الأحبار يهودي، وما دام كذلك، فكل مـا يقولـه إنما ينقله من الكتب السماوية التي أوحاها الله لأنبيائه.

ولهذا نرى محدثا كبيرا يعتبر من أئمة المدرسة السـلفية يتلقى هذه الرواية باحترام عظيم، ويقول ـ بنبرة تجسيمية لا تختلـف عن تجسيم اليهود ـ :(وإنما يعرف فضـلُ الربوبيـة وعِظمُ القـدرة بـأن الله تعالى من فوق عرشه، وبعد مسـافة السـموات والأرض يعلم ما في الأرض وما تحت الثرى وهو مع كل ذي نجوى، ولذلك قـال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الأنعام: 73]، ولو كـان في الأرض كمـا ادعيتم بجنب كل ذي نجوى ما كان بعجبٍ أن ينبئهم بما عملوا يوم القيامة فلو كنا نحن بتلك المنزلة منهم لنبأنا كـل عامـل منهم بمـا عمل)[3]

بل إن كعب الأحبار ــ ونتيجـة للاحـترام الكبـير الـذي لقيـه من التجسيميين في هذه الأمة، وبرعاية من السلطة السياسية ـ يقول ـ جوابا لمن سأله: أين ربنا؟ ـ :(سألت أين ربنا، وهو على العـرش العظيم متكئ، واضـع إحـدى رجليـه على الأخـرى، ومسـافة هـذه الأرض الـتي أنت عليهـا خمسـمائة سـنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئـة سـنة، حـتى تمّ سـبع أرضـين، ثم من الأرض إلى السـماء مسـيرة خمس مئـة سـنة، وكثافتهـا خمس مئـة سـنة، واللـه على العـرم متكئ، ثم تفطـر السموات.. ثم قال: إقرؤوا إن شـئتم: ﴿تَكَـادُ السَّـمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى: 5])[4]

والخطـورة في هـذه الروايـة ــ والـتي تلقاهـا التيـار السـلفي بالقبول والإذعان التام ـ هـو تحريفهـا للمعـاني القرآنيـة، وتغييرهـا

[1] العظمة 2/626.
[2] العرش للذهبي 2/148.
[3] نقض عثمان بن سعيد 443.
[4] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (21/ 501).

عن سياقها ومدلولاتها المقدسة لتتحول إلى معان تجسيمية وثنية.
ومن الأمثلة على ذلك هذه الرواية التي رواها السيوطي في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) عن كثير من المحدثين، ومما ورد فيها: فقال عمر بن الخطاب عند ذلك: ألا تسمع يا كعب ما يحدثنا به ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة ما له فكيف بأعلاهم؟ قال: (يا أمير المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله كان فوق العرش والماء، فخلق لنفسه دارا بيده، فزينها بما شاء وجعل فيها ما شاء من الثمرات والشراب، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه منذ خلقها جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17][1]
وهكذا نجد المدرسة السلفية تتلقى كل ما يذكره كعب الأحبار، وكأنه قرآن منزل، وقد دافع ابن تيمية كثيرا عن أمثال هذه الروايات، بل إنه ذكر ما يدل على أن مرجع كعب فيها فيما يذكره من إسرائيليات هي التوراة الصحيحة، فقد قال في دقائق التفسير: (وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى بيد كعب الأحبار نسخة من التوراة قال يا كعب إن كنت تعلم أن هذه هي التوراة التي أنزلها الله على موسى بن عمران فاقرأها، فعلق الأمر على ما يمتنع العلم به، ولم يجزم عمر رضي الله عنه بأن ألفاظ تلك مبدلة لما لم يتأمل كل ما فيها، والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي ﷺ فيهما ما أنزله الله عز وجل، والجزم بتبديل ذلك في جميع النسخ التي في العالم متعذر، ولا حاجة بنا إلى ذكره، ولا علم لنا بذلك، ولا يمكن أحدا من أهل الكتاب أن يدعي أن كل نسخة في العالم بجميع الألسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد، فإن هذا مما لا يمكن أحدا من البشر أن يعرفه باختياره)[2]
ولم تكتف المدرسة السلفية بإمامة كعب الأحبار، بل بحثت عن أي يهودي ليعرفها بربها، وكأن القرآن الكريم لم يف لهم بالغرض، فراحوا يبحثون في الأمم الأخرى من يفسره.
ومن هؤلاء الذين نجد رواياتهم الكثيرة في كتب عقائد السنة وهب بن منبه .. ومن رواياته قوله: (إن السموات السبع والبحار

---

[1] () الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (8/ 259).

[2] () دقائق التفسير (2/ 58)

لفي الهيكل[1] وإن الهيكل لفي الكرسي، وإن قدميه لعلى الكرسي وهو يحمل الكرسي وقد عاد الكرسي كالنعل في قدميه)[2]

وقد علقه عليه الذهبي بقوله: (كان وهب من أوعية العلوم، لكن جُلَّ علمه عن أخبار الأمم السالفة، كان عنده كتب كثيرة إسرائيليات، كان ينقل منها لعله أوسع دائرة من كعب الأخبار، وهذا الذي وصفه من الهيكل وأن الأرضين السبع يتخللها البحر وغير ذلك فيه نظر والله أعلم، فلا نرده ولا نتخذه دليلاً)[3]

والعجب من هذه المقولة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.. فهم يروون هذه الرواية وغيرها في كتب التفسير والحديث والعقيدة.. ويستخلصون ما فيها من فوائد عقدية.. ثم بعد ذلك ـ ومن باب التقية ـ يقولون: (لا نرده ولا نتخذه دليلاً)

وهكذا نجد إماما من أئمة اليهود مثل محمد بن كعب القرظي يعقد المجالس ليفسر القرآن على الطريقة اليهودية، كقوله:(كأن الناس إذا سمعوا القرآن من في الرحمن يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك)[4].

ومثله عبد الله بن سلام الذي رووا عنه قوله: (والذي نفسي بيده إن أقرب الناس يوم القيامة محمد ﷺ جالس عن يمينه على كرسي)[5]

وهذه النصوص وغيرها كثير تدل على تفريط الأمة في تلك الوصايا الكثيرة التي حذر فيها رسول الله ﷺ من أن ترغب الأمة عن كتاب الله إلى غيره من الكتب.

ومن هذه البوابة دخلت المعرفة التجسيمية اليهودية كتب المسلمين.. بل ألفت فيها المؤلفات الكثيرة بأسماء خطيرة.. كعقيدة السلف، وعقيدة أهل الأثر، وعقيدة أهل السنة والجماعة، مثل: (عقيدة أهل السنة أصحاب الحديث) للإمام إسماعيل الصابوني، و(شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي ..

أو باسم التوحيد، مثل (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب)

---

[1] () الهيكل البناء المشرف، مختار الصحاح، الرزاي 1/290.

[2] () السنة 2/477.

[3] () العلو 1/130.

[4] () السنة 1/148.

[5] () السنة 1/256. وأخرجه الآجري في الشريعة 4/1609 والذهبي في العلو 1/720.

للإمـام ابن خزيمـة، و(اعتقـاد التوحيـد) لأبي عبـد اللـه محمـد بن خفيف، و(كتاب التوحيد) لابن منده.

أو باسـم السـنة، وهـذه ظـاهرة خطـيرة شـملت كثـيرا من المؤلفـات في القـرون الأولى، ككتـاب (السـنة) للإمـام أحمـد بن حنبل، وكذلك السنة لابنـه عبـد اللـه، و(السـنة) للخلال، و(السـنة) للعسـال، (السـنة) للأثـرم، و(السـنة) لـأبي داود.. وخطـورة هـذه التسمية هي ما توحيه بأن العقائد التجسيمية الـواردة فيهـا عقائـد سنية، أي ليست عقائد مبتدعة.. وهكذا تحـول التنزيـه بفعـل تلـك الكتب بدعة.. وتحول التجسيم سنة.

ولهذا نجد ابن تيمية - مع تحذيراتـه الكثـيرة من كتب المنزهـة في العقائـــد ككتب الأشـــاعرة والمعتزلـــة والإباضـــية والإماميـــة وتشنيعه عليهـا – يـدعو إلى مطالعـة الكتب المشـحونة بالتجسـيم والتشبيه، ويعتبرهـا وحـدها كتب التوحيـد والسـنة.. وقـد قـال في (مجمـوع الفتـاوى) عنـد حديثـه عن مـذهب السـلف في الأسـماء والصفات: (وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثـيرة لا يمكن أن نذكر هاهنـا إلا قليلاً منـه مثـل كتـاب (السـنن) للالكـائي، و(الإبانة) لابن بطـة، و(السـنة) لأبي ذر الهـروي، و(الأصـول) لأبي عمـــرو الطلمنكي، وكلام أبي عمـــر بن عبـــدالبر، و(الأســـماء والصفات) للبيهقي، وقبل ذلـك (السـنة) للطـبراني، ولأبي الشـيخ الأصبهاني ولأبي عبدالله بن منده ولأبي أحمد العسّال الأصبهانيين، وقبـل ذلـك (السـنة) للخلاّل، و(التوحيـد) لابن خزيمـة، وكلام أبي العباس بن سريج، و(الرد على الجهميـة) لجماعـة مثـل: البخـاري، وشيخه عبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفي، وقبل ذلك (السـنة) لعبدالله بن أحمد، و(السنة) لأبي بكر بن الأثرم، و(السنة) لحنبـل، وللمـروزي ولأبي داود السجسـتاني، ولابن أبي شـيبة، و(السـنة) لأبي بكـر بن أبي عاصـم، وكتـاب (خلـق أفعـال العبـاد) للبخـاري، وكتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم)[1]

ومـا ذكرنـاه هنـا عن التشـابه بين العقائـد السـلفية والعقائـد اليهودية ليس تهمة نتهمهم بها، بـل هي الحقيقـة الـتي تـدل عليهـا المقارنات التي سنذكرها بتفصيل في هذا الكتاب.

بـل تـدل عليهـا تصـريحات أئمتهم الـذين لم يكتفـوا بالنصـيحة بالعودة إلى كتب السنة والسلف لينهل منهـا أتبـاعهم كـل صـنوف التجسيم والتشبيه، بل راحوا يرشـدهم إلى كتب اليهـود، ليتعرفـوا

[1] () (مجموع الفتاوى) (5/ 24).

أكثر على صورة إلههم، وأنواع تصرفاته.

وكمثال على ذلك ما ذكره ابن تيمية من أن الرسول ﷺ أقر اليهود على ما وصفوا به ربهم في كتبهم، فقال: (ومما يوضح الأمر في ذلك أن النبي ﷺ قد ظهر وانتشر ما أخبر به من تبديل أهل الكتاب وتحريفهم وما أظهر من عيوبهم وذنوبهم وتنزيهه لله عما وصفوه به من النقائص والعيوب كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181] وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: 64]، فلو كان ما في التوراة من الصفات التي تقول النفاة إنها تشبيه وتجسيم - فإن فيها من ذلك ما تنكره النفاة وتسميه تشبيهاً وتجسيماً بل فيها إثبات الجهة وتكلم الله بالصوت وخلق آدم على صورته وأمثال هذه الأمور-   فإن كان هذا مما كذبته اليهود وبدلته كان إنكار النبي ﷺ لذلك وبيان ذلك أولى من ذكر ما هو دون ذلك، فكيف والمنصوص عنه موافق للمنصوص في التوراة، فإنك تجد عامة ما جاء به الكتاب والأحاديث في الصفات موافقاً مطابقاً لما ذكر في التوراة.. والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال واليهود تشبه الخالق بالمخلوق في صفات النقص ولهذا أنكر القرآن على كل من الطائفتين ما وقعت فيه من ذلك. فلو كان ما في التوراة من هذا الباب لكان إنكار ذلك للهدى من أعظم الأسباب، وكان فعل النبي ﷺ والصحابةِ والتابعين لذلك من أعظم الصواب، ولكان النبي ﷺ ينكر ذلك من جنس إنكار النفاة، فيقول إثبات هذه الصفات يقتضي التجسيم والتجسيد والتشبيه والتكييف والله منزه عن ذلك. فإن عامة النفاة إنما يردون هذه الصفات بأنها تستلزم التجسيم - ومن المسلمين وأهل الكتاب من يقول بالتجسيد - فلو كان هذا تجسيماً وتجسيداً يجب إنكاره لكان الرسول إلى إنكار ذلك أسبق وهو به أحق. وإن كان الطريق إلى نفي العيوب والنقائص ومماثلة الخالق لخلقه هو ما في ذلك من التجسيد والتجسيم كان إنكار ذلك بهذا الطريق المستقيم كما فعله من أنكر ذلك بهذا الطريق هو الصراط المستقيم)[1]

ومن هنا نجد ذلك التشابه العجيب بين العقائد السلفية والعقائد اليهودية.. فكما أن اليهود يعتقدون أن لله صورة حسية جسمية، كما ورد في سفر التكوين (الاصحاح الأول: 26-28): (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا على شبهنا... فخلق الله

[1]() درء التعارض 7/86- 90.

الإنسان على صورته على صورة اللـه خلقـه ذكـرًا وأنـثى خلقهم)، وفي سفر (التثنية الاصحاح 4: 15-16): (فإنكم إن لم تروا صورة ما في يوم كلّمكم الرب في حوريب من وسـط النـار لئلا تفسـدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً صورة مثال ما شـبه ذكـر أو أنـثى) نجد السلفية وأهل الحديث يذكرون ذلك، وبألفاظ قريبة من النص الموجود في التوراة.

ففي كتـاب (عقيـدة أهـل الإيمـان في خلـق آدم على صـورة الرحمن) للتويجري، يقول: (قال ابن قتيبة: فرأيت في التوراة: إن الله لما خلق السـماء والأرض قـال: نخلـق بشـرًا بصـورتنا .. وفي حديث ابن عبـاس: إن موسـى لمـا ضـرب الحجـر لبـني إسـرائيل فتفجَّر وقال: اشربوا يا حمير فأوحى الله إليـه: عمـدت إلى خلـقٍ من خلقي خلقتهم على صورتي فتشبههم بالحمير، فما بـرح حـتى عوتب)[1]

بل إنهم لم يأخذوا الصورة بشكلها العام فقط، بل ربطوا معهـا كل التفاصيل كما هي موجودة في كتب اليهود.

فكما أن اليهود يعتبرون الوجه عضوا لله تعـالى كمـا هـو وجـه ابن آدم، كما جـاء في سـفر التكـوين (الإصـحاح32:ـ 30): (فـدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهًا لوجه)، نجد السلفية يقولون ـ بلسان الدارمي ـ: (كل شئ هالك إلا وجه نفسه الذي هو أحسن الوجوه وأجمل وأنور الوجوه وإن الوجـه منـه غـير اليدين، واليدين منه غير الوجـه)[2]،ويقـول: (فصـعد - أي جبريـل - بهن - أي بكلمات الذكر - حتى يُحَيِّ بهن وجه الرحمن) [3]، ويقول: (والنور لا يخلو من أن يكـون لـه إضـاءة واسـتناره ومنظـر ورواء، وإنه يدرك يومئذ بحاسة النظر إذا كشف عنه الحجـاب كمـا يـدرك الشمس والقمر في الدنيا) [4]

ويقولون ـ بلسان عبد الرحمن بن حسـين بن محمـد بن عبـد الوهاب ـ: (روى ابن جرير عن وهب بن منبه: فيأتون إلى الـرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ثم يقولـون فأذن لنا بالسجود قدامك)[5]

---

[1] () عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، ص16.

[2] () رد الدارمي على بشر المريسي: ص159.

[3] () رد الدارمي على بشر المريسي: ص151.

[4] () رد الدارمي على بشر المريسي: ص190.

[5] () قرة عيون الموحدين) ص187.

وكما أن اليهود تنسب الفم واللسان الى الله، كما في سفر أيوب (37/2-6): (اسمعوا سماعًا رعد صوته والرمذمة الخارجة من فيه تحت كل السموات)، وهم يريدون ب (من فيه): (من فمه)،نجد السلفية يقولون ــ بلسان ابن تيمية في معرض الرد على الجهمية ـ: (وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان)[1]

ويقولون ـ بلسان الدارمي ـ: (قال كعب الأحبار: لما كلم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه طفق موسى يقول: أي رب ما أفقه هذا حتى كلّمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته يعني بمثل لسان موسى وبمثل صوت موسى)، ثم علق على هذا بقوله: (فهذه الأحاديث قد رويت وأكثر منها ما يشبهها كلها موافقة لكتاب الله في الإيمان بكلام الله)[2]

وكما أن اليهود ينسبون التغير والحدوث والحركة والارتفاع والنزول الحسي الى الله تعالى، كما في سفر التكوين (11/5): (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنوهما)، وفي نفس السفر (46/3-4): (فقال أنا الله إله أبيك... أنا أنزل معك إلى مصر)، وفي سفر الخروج (19/21): (لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء) نجد السلفية ـ بلسان ابن تيمية ـ يقولون: (فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت تارة يكون عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه)[3]

ويقولون ـ بلسان حافظ حكمي ـ: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى السماء الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه، فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه)، ثم يقول: (يعلو ربنا إلى السماء إلى كرسيه)، وفي الصفحة التالية يقول: (قال النبي: إن الله يفتح أبواب السماء ثم يهبط إلى السماء الدنيا ثم يبسط يده)[4]

وكما أن اليهود تنسب اليد والساعد والذراع والكف والاصابع جوارح حقيقية الى الله، كما في سفر الخروج (15/16): (بعظمة

---

[1] () الأسماء والصفات) لابن تيمية (1/73).

[2] () الرد على الجهمية) لأبي سعيد الدارمي (ص81).

[3] () الأسماء والصفات) لابن تيمية (ص91).

[4] () (معارج القبول) لحافظ حكمي (1/235).

ذراعـك يصـمتون كـالحجر)، وفي سـفر المزامـير (44/2-3):(أنت بيــدك استأصــلت الأمم وغرســتهم لكن يمينــك وذراعــك)، نجــد السلفية ـ بلسان الدارمي ـ يقولون:(فأكد الله لآدم الفضـيلة الـتي كرّمه وشرّفه بها وآثره على جميع عباده إذ كل عباده خلقهم بغـير مسيس بيد وخلق آدم بمسيس)[1]

وكمــا أن اليهــود تنســب الرجــل الجارحــة والعين على معــنى الجارحة الى الله تعالى، كما في سـفر الخـروج (13/20): (وكـان الــرب يسـير أمــامهم)، وفي سـفر المزامـير (53/2): (اللــه من السماء أشرف على بني البشر لينظر)، وفي سفر التكـوين (3/8-10):(وسمعا صوت الإله ماشيا في الجنة)، نجد السلفية ــ بلسـان أبي يعلى ــ يقولـون: (والسـموات والأرض يـوم القيامـة في كفـه ويضـع قدمــه في النــار فـتـنــزوي ويخــرج قومًــا من النــار بيــده)[2]،ويقول ابن عثيمين:(ونؤمن بأن لله عينين اثنتين حقيقيتين)[3]

وكما أن اليهود تنسب الجهة والحـيز والمكـان والحـد الى الله، كمـا في سـفر المزامـير (2/4):(السـاكن في السـموات يضـحك الــرب)، وفي ســفر التكــوين (28/16):(حقّــاً إن الــرب في هــذا المكان وأنا لم أعلم)، وفي نفس السفر (18/1): (وظهر له الرب عند بلوطات)، وفي سـفر زكريـا (2/13):(اسـكتوا يـا كـل البشـر قدام الرب لأنه قـد اسـتيقظ من مسـكن قدسـه) نجـد السـلفية ـ بلسان الدارمي ـ يقولون:(بل هو على عرشه فوق جميـع الخلائــق في أعلى مكان وأطهر مكان)[4]

وهكذا لو تأملنا كل العقائـد الـتي يسـمونها عقائـد السـلف، أو عقائد أهل الحديث لوجدنا بسهولة مصدرها اليهودي.

وبما أن كتابنا هذا يحاول أن يرسم صورة للوثنية المقدسة كما يعتقدها [السلفيون وأهل الحديث]، وخوفا من اتهامنا بأننا نقــولهم ما لم يقولوا، أو نـدعي عليهم شـيئا لا يعتقدونـه، فإنـا سـنورد هنـا مصادرنا الكبرى التي اعتمدنا عليها في فصول هذا الكتـاب، وكلهـا ممــا أثــنى عليــه شــيخهم الكبــير، وعمــدتهم العظيم، ومــرجعهم المقدس (ابن تيمية)

ومن هذه الكتب كتابُ (**السنة**) المنسوب لعبد الله بن أحمــد،

---

[1] () رد الدارمي على بشر المريسي) (ص26).

[2] () طبقات الحنابلة) (1/32).

[3] () عقيدة أهل السنة والجماعة) (ص 14-15).

[4] () رد الدارمي على بشر المريسي، ص 82.

والذي قال محققه مشيرا إلى مدى وثاقته عند المدرسة السلفية: (إن هذا الكتاب من أوائل المصادر التي كتبت في عقيدة السلف، فإخراجه للناس في هذا العصر من الأهمية بمكان) [1]

وقال:(هذا الكتاب من أمهات مصادر العقيدة في كتب السلف ...لذا فهو من المصادر الأولى إذ لم يتقدمه إلا بعض الكتب الصغيرة..فهو من هذا الجانب ذو مكانة كبيرة حيث اعتمدت عليه كثير من الكتب التي صنفت في عقيدة السلف ...فهو بحق مصدر رائد برزت قيمته في من نقل عنه وعزا إليه ...فهذا الكتاب صنو لهذه المصنفات التي هي اليوم تحتل مكان الصدارة بعد كتاب الله في المكتبة الإسلامية)[2]

ولهذا الكتاب أهمية كبرى عند ابن تيمية وتلاميذه حتى أنهم بذلوا كل جهودهم في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، وفي الرد على من ينزه الإمام أحمد وولده عن أن يخوض في مثل هذه المسائل.

ومنها (**كتاب السنة**) لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، والذي قرر فيه قعود النبي ﷺ مع الباري سبحانه على الفضلة التي تفضل من العرش. وحشر مع ذلك نقولاً عن بعض المحدثين في تكفير منكره ورميه بالبدعة والتجهم وغير ذلك .. وفيه أن الله عز وجل ينادي: يا داود أُدن مني فلا يزال يدنيه حتى يمس بعضه ويقول: كن أمامي فيقول رب ذنبي ذنبي، فيقول الله له كن خلفي خذ بقدمي.

ومنها (**كتاب التوحيد**) لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى.. والذي روى فيه الروايات الكثيرة المثبتة بأن لله أصابع، وأن له قدما، وأن الكرسي موضع قدميه، وأن العرش يئط به، وأنه تجلى منه مثل طرف الخنصر، وأنه يهبط ثم يرتفع، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأن جنة عدن مسكنه، وأن محمداً ﷺ رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب يحمله أربعة من الملائكة، وغير ذلك.

ومنها (**كتاب العرش وماروي فيه**) لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة .. وقد ذكر في هذا الكتاب أن أقرب الخلق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل، بينهم وبين ربهم مسيرة خمسمائة

---

[1] مقدمة كتاب السنة 1/15

[2] المصدر السابق1/65-66

عام، وأن السماء منفطرة من ثقل اللـه، وأن محمـداً ﷺ رأى ربـه في روضة خضراء وغير ذلك.

وهو من الكتب التي حظيت بعناية كبيرة من المدرسة السلفية قديمها وحديثها، وقـد قـال محققـه المعاصـر في مقدمتـه تعظيمـا لشأنه: (ولقد صنف كثير من السلف وبخاصة في القـرنين الثـالث والرابع الهجريين مؤلفات ورسائل كثيرة في مسـائل أسـماء اللـه وصفاته، فبينوا فيها ما يجب على المسلم تجاه هذا الأمـر العظيم، وقد اعتمدوا في تصانيفهم تلك على نصوص القرآن والسـنة، وقـد كان من ضمن تلك المؤلفات كتـاب (العـرش) للحافـظ محمـد بن عثمان بن أبي شـيبة، وقـد عـالج المصـنف- رحمـه اللـه- في هـذا الكتاب مسألة تعـد من أهم مسـائل الأسـماء والصـفات، بـل ومن أهم مسائل العقيدة وأخطرها، ألا وهي: مسألة علو الله عز وجــل على خلقه، واستوائه على عرشه)[1]

ومنها كتاب (**الأربعين في دلائـل التوحيد**) لأبي إسـماعيل عبد الله بن محمد الهروي.. وفيه من أمثلة التجسيم أن محمـداً ﷺ رأى ربه في صورة شاب أمرد في قدميه خضرة.. وفيه بـاب ذكـر فيه أن الله عز وجل وضع قدمـه على الكرسـي، وبـاب في إثبـات الجهـات للـه عـز وجـل، وبـاب في إثبـات الحـد، وبـاب في إثبـات الخط، وباب في إثبات الصورة، وباب في إثبات العينين، وباب في إثبات الهرولة..

ومنها كتاب (**الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**) لأبي عبد الله بن بطة العكبري، وهو من أهم مراجع التجسيم لدى المدرسة السلفية، وقد قال محققه عنه: (كتاب الإبانـة لابن بطـة يعـد أكـبر موسوعة في العقيدة السلفية.. هذا الكتـاب يمثـل مـذهب الإمـام أحمد بن حنبل..)[2]

ومنها كتابا (**الرد على الجهمية**) وكتاب (**نقض عثمـان بن سعيد على المريسي العنيد**).. وقـد قـال ابن القيم يخـبر عن اهتمـام ابن تيميـة بهمـا: (وكتابـاه من أجـل الكتب المصـنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طـالب سـنة مـراده الوقـوف على مـا كان عليه الصحابة والتابعون والأئمـة أن يقـرأ كتابيـه. وكـان شـيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهـذين الكتـابين أشـد الوصـية ويعظمهمـا جـداً. وفيهمـا من تقريـر التوحيـد والأسـماء والصـفات

[1] () العرش وما رُوِي فيه، أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي، (ص: 6).

[2] () انظر مقدمة الكتاب بتحقيقه 1/6-7.

بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما)[1]

ويعتبر هذان الكتابان من أهم كتب التجسيم.. فقد أورد فيهما الكثير من الروايات التجسيمية التي سنتحدث عنها في فصول الكتاب مثل كون العرش يئط من ثقل الجبار فوقه، وأنه ينزل في الليل إلى جنة عدن، وأنها مسكنه الذي يسكن فيه مع النبيين والصديقين والشهداء، وأنه يهبط من عرشه إلى كرسيه، ثم يرتفع عن كرسيه إلى عرشه، وفيهما إثباتَ الحركة لله عز وجل، وإثباتُ الحد، وأنه مس آدم مسيساً بيده، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع، وأنه قادر على الاستقرار على ظهر بعوضة، وأنه إذا غضب ثقل على حملة العرش، وأن رأس المنارة أقرب إليه من أسفلها ..

ومنها كتاب (**إبطال التأويلات**) الذي ألفه أبو يعلى الفراء في أوائل القرن الخامس الهجري، لكن الكتاب بحكم ما فيه من تجسيمات وتشبيهات بقي مغمورا إلى أن ذاع خبره سنة (429هـ) حينها ضج العلماء لظهور هذا الكتاب ولافتتان بعض العوام بما فيه .. وقد حصلت بسبب ذلك فتنة اقتضت تدخل الخليفة القائم بأمر الله العباسي لتسكينها بمساعدة أبي الحسن القزويني الزاهد الشافعي المقبول من جميع الطوائف، وقد أخرج القائم بأمر الله عقيدة والده الخليفة القادر بالله، ووَقَّعَ عليها العلماء وسكنت الفتنة [2] .

لكن مع ذلك نجد ابن تيمية يرجع إليه، ويدافع عن صاحبه[3]،

---

[1] () اجتماع الجيوش 143.

[2] () انظر:طبقات الحنابلة: 2/197، وقد قال ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) عنه: (وفي شهر رمضان منها توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي. ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة. وعنه انتشر مذهب أحمد رضي الله عنه. وكان إليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة. وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة. وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض. تعالى الله عن ذلك ..) انظر: دفع شبه التشبيه، لابن الجوزي ص10.

[3] () ذكر ابن تيمية الفتنة التي حصلت بسبب الكتاب، فقال: (وصنف القاضي أبو يعلى كتابه في (إبطال التأويل) رد فيه على ابن فورك شيخ القشيري وكان الخليفة وغيره مائلين إليه؛ فلما صار للقشيرية دولة بسبب السلاجقة جرت تلك الفتنة وأكثر الحق فيها كان مع الفرائية مع نوع من الباطل، وكان مع القشيرية فيها نوع من الحق مع كثير من الباطل) (مجموع الفتاوى (6/ 54))

والباطل الذي يقصده ابن تيمية ليس التجسيم، وإنما اتهامه لأبي يعلى بالتفويض أي أنه لم يكن صريحا بالقدر الكافي في موقفه من التجسيم.. فهو – عنده - من الذين (سمعوا الأحاديث والآثار، وعظموا مذهب السلف، وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار ما لأئمة السنة والحديث، لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها، ولا من جهة الفهم لمعانيها، وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينهما من التعارض) (درء تعارض العقل

بل نجد اهتمـام المدرسـة السـلفية المعاصـرة بتحقيقـة وإخراجـه وطبعه في أحسـن حلـة ونشـرة على النت للتحميـل مجانـا وبكـل الصيغ.

وقد قال محقـق الكتـاب في خطبتـه مشـيدا بـه: (وبعـد، فـإن كتاب (إبطال التأويلات لأخبار الصفات) للقاضي أبي يعلى الفراء كان يعد إلى زمن قريب من الكتب المفقودة، وهو كتاب فريد في بابه، إذ تضمن الـرد على تـأويلات الأشـاعرة والمعتزلـة والجهميـة لأخبار الصفات الإلهية، الواردة على لسان رسوله ﷺ وأعلم الخلق بـه، وبيـان مـذهب السـلف فيهـا وهـو إثباتهـا والإيمـان بهـا، ونفي التكييف عنها والتمثيل لها، فهذا هو التوحيد الذي بينه الله تعالى..) [1]

ومن أمثلة ما ورد فيه[2]: (شاب، أمرد، أجعد، في حلة حمـراء، عليه تاج، ونعلان من ذهب، وعلى وجهه فَرَاش من ذهب)

وقد شحنه بالروايـات السـلفية الكثـيرة، وينص على أن من لم يؤمن بهذه الصفات العظيمة فهو (زنديق)، (معتزلي)، (جهمي)، (لا تقبل شهادته)، (لا يسلم عليـه)، (لا يعـاد)، ثم يقـول:(وليس في قوله: شاب وأمرد وجعد وقطـط وموفـور إثبـات تشـبيه، لأننـا نثبت ذلك تسمية كما جـاء الخـبر لا نعقـل معناهـا، كمـا أثبتنـا ذاتـا ونفسا، ولأنه ليس في إثبات الفَرَاش والنعلين والتاج وأخضر أكـثر من تقريب المحدث من القـديم، وهـذا غـير ممتنـع كمـا لم يمتنـع وصفه بالجلوس على العرش..)[3]

وهـو ينطلـق من قولـه ﷺ:(إن اللـه خلـق آدم على صـورته)، يصف الله تعالى كما يصف أي بشر من البشر.

ويرجع إلى أهل الكتاب في ذلك، فينقـل عن كعب الأحبـار أنـه قال:(إن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال: إني واط على بعضـك، فانتسفت إليه الجبال فتضعضـعت الصـخرة فشـكر اللـه لهـا ذلـك فوضع عليها قدمه)[4]، ثم يعتبر هذا لإفك حقيقة عقديـة، يـدلل لهـا بالرواية الواهية التالية:(آخر وطأة وطئهـا رب العـالمين بـوَجّ)، ثم يذكر قول كعب الأحبار:(وَجّ مقدس، منه عَرَجَ الـرب إلى السـماء يوم قضى خلق الأرض)

والنقل 7/34)

[1] () إبطال التأويلات، ص4.

[2] () إبطال التأويلات: 1/133.

[3] () إبطال التأويلات: 1/146.

[4] () إبطال التأويلات: 1/202.

ويعلق على هـذه الترهـات بقولـه:(إعلم أنـه غـير ممتنـع على أصولنا حمل هذا الخـبر على ظـاهره، وأن ذلـك على معـنى يليـق بالذات دون الفعل)

وينقل عنه هذه أنه قال لمن سأله أين ربنا:(هـو على العـرش العظيم متكئ واضع إحـدى رجليـه على الأخـرى)، ثم يعلـق عليهـا بقوله:(اعلم أن هذا الخبر يفيد أشياء: منها جواز إطلاق الاسـتلقاء عليه، لا على وجه الاستراحة بل على صفة لا نعقل معناها، وأن له رجلين كما له يدان، وأنه يضع إحداهما على الأخرى على صفة لا نعقلها)، ويدلل على هـذا بهـذه الروايـة الموضـوعة:(إن اللـه لمـا فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضـع إحـدى رجليـه على الأخرى وقال: إنها لا تصلح لبشر)

بالإضافة إلى هذه المصادر الكبرى رجعنا لكتب ابن تيمية وابن القيم وغيرهمـا من العلمـاء الـذين يعتـبرون من كبـار المنظـرين للمدرسة السلفية.

وبالإضافة إليهم رجعنا للمدرسة السلفية الحديثـة والـتي أحيت كل التراث السلفي القديم حتى ما كان مستهجنا منه مثل [إبطال التأويلات]

ونحب أن نبين هنا أننا لم نكتب هذا الكتاب لمجرد التحذير من أمثال هذه العقائد الخطيرة فقط، ولكن مرادنـا أيضـا هـو التحـذير من أصحابها الذين لم يكتفوا بان يحملوا في عقولهم تلك الصـورة المشـوهة عن اللـه، بـل راحـوا يزعمـون أنهم أصـحاب الحقيقـة المطلقة، وأن من عداهم مبتدعة وضالين وكفار.

ولم يكتفـوا بـذلك، بـل راحـوا يـبيحون دمـاءهم، ويسـتحلون أعراضهم.. ولذلك كانت هذه المدرسة هي منبع كل إرهاب وعنـف وتشويه للإسلام.

ولهذا نجد كتبهم العقدية مشحونة بالعنف والإرهاب..

ومن أمثلـة ذلـك مـا فعلـه الـدارمي حين عقـد بابـاً في تكفـير الجهمية، وباباً في قتلهم واستتابتهم من الكفر.. والجهمية مصطلح تشنيع لا يراد به الفرقة التي تنتسب إلى الجهم بن صـفوان فقـط لأن الجهم مات، وماتت معه أفكـاره .. وإنـا يقصـد بهـا السـلفيون من خالفهم في صفات اللـه عـز وجـل، فيـدخل في هـذا الوصـف المعتزلـة والأشـاعرة والماتريديـة والإماميـة والزيديـة والإباضـية وغيرهم من فرق المسلمين.

يقول الدارمي ـ يحرض على قت المنزهة بكل صنوف القتل ـ:

(ولو لم يكن عندنا حجة في قتلهم وإكفارهم إلا قول حماد بن زيد، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، ووكيع، ويزيد بن هارون، وأبي توبة، ويحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، ونظرائهم، رحمة الله عليهم أجمعين، لجبنا عن قتلهم وإكفارهم بقول هؤلاء، حتى نستبرئ ذلك عمن هو أعلم منه وأقدم، ولكنا نكفرهم بما تأولنا فيهم من كتاب الله عز وجل، وروينا فيهم من السنة، وبما حكينا عنهم من الكفر الواضح المشهور، الذي يعقله أكثر العوام، وبما ضاهوا مشركي الأمم قبلهم بقولهم في القرآن، فضلا على ما ردوا على الله ورسوله من تعطيل صفاته، وإنكار وحدانيته، ومعرفة مكانه، واستوائه على عرشه بتأويل ضلال، به هتك الله سترهم، وأبد سوءتهم، وعبر عن ضمائرهم، كلما أرادوا به احتجاجا ازدادت مذاهبهم اعوجاجا، وازداد أهل السنة بمخالفتهم ابتهاجا، ولما يخفون من خفايا زندقتهم استخراجا)[1]

ونفس الشيء نجده في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد، ومن أمثلة ذلك أنه اشتمل على مجموعة كبيرة من الاتهامات والشتائم التي وجهها السلف لأبي حنيفة من أمثال: (كافر، زنديق، مات جهمياً، ينقض الإسلام عروة عروة، ما ولد في الإسلام أشأم ولا أضر على الأمة منه، وأنه أبو الخطايا، وأنه يكيد الدين، وأن الخمارين خير من أتباع أبي حنيفة، وأن الحنفية أشد على المسلمين من اللصوص، وأن أصحاب أبي حنيفة مثل الذين يكشفون عوراتهم في المساجد، وأن أباحنيفة سيكبه الله في النار، وأنه أبو جيفة، وأن المسلم يؤجر على بغض أبي حنيفة وأصحابه، وأنه لا يسكن البلد الذي يذكر فيه أبو حنيفة، وأن استقضاء الحنفية على بلد أشد على الأمة من ظهور الدجال، وأنه من المرجئة)[2]

ومن أمثلة ذلك ما ورد في (كتاب السنة) لأبي بكر الخلال، الذي قال في آخر كتابه بعد إطنابه في التكفير والتبديع للمخالفين: (وبعد هذا أسعدكم الله فلو ذهبنا نكتب حكايات الشيوخ والأسانيد والروايات لطال الكتاب غير أنا نؤمل من الله عز وجل أن يكون في بعض ما كتبنا بلغةٌ لمن أراد الله به فثقوا بالله وبالنصر من عنده على مخالفيكم فإنكم بعين الله بقربه

---

[1] () الرد على الجهمية للدارمي (ص: 213).

[2] () السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد من ص 180 -ص120.

وتحت كنفه)[3]

أمـا المعاصـرون .. فحـدث عن تكفـيرهم وتبـديعهم وتضـليلهم لمخالفيهم ولا حرج.

بناء على هذا كله فإننا في هذا الكتاب سنحاول أن نثبت ـــ من خلال المصادر السلفية المعتمدة ـ مدى الوثنية التي تسربت لهـذه العقائد، ونقارنها بما ورد في القرآن الكريم، ومـا دل عليـه العقـل من تنزيه الله تعالى.

والحمد لله فـإن كـل مـذاهب الأمـة وطوائفهـا ــ من أشـاعرة وماتريدية ومعتزلة وإمامية وإباضية وزيدية وصوفية ــ على القـول بتنزيه الله، والجهة الوحيـدة الـتي رضـيت لنفسـها أن تنغمس في أوحـال الوثنيــة هي السـلفية.. فهي وحــدها من يقـول بالتجسـيم والجهة والمكان والحدود والمقادير والأعضاء والصورة .. وكـل مـا سنراه في هذا الكتاب.. وهي وحدها كذلك التي تكفر الأمة جميعـا بسبب ذلك..

وقد تمنيت لـو أن العلمـاء الـذين اهتمـوا بـذكر طوائـف الأمـة وفرقهـا قسـموا الأمـة إلى هـذين القسـمين الكبـيرين: المنزهـة، والمجسـمة.. لا التقسـيم الـذي اختـاروه، والـذي كـانت لـه آثـاره السلبية.

ذلـك أن التقسـيم عـادة ينطلـق من أهم القضـايا، وهـل هنـاك قضية أكبر من القضايا المرتبطة بمعرفة الله.. ولهذا نجد التقسيم في المســيحية مؤسســا على الموقــف من طبيعــة المســيح، لا الموقف من أصحاب المسيح.

---

[3] () السنة 1/265

التعقل .. والتصور

من أهم الإشكالات التي حالت بين العقل والتحقق بالمعرفة الإلهية ـ كما ينص القرآن الكريم، وكما يدل عليه الواقع ـ هو إدخال الخيال والوهم والتصور في هذا النوع من المعرفة المقدسة.

كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة كذكره لمطالبة بني إسرائيل موسى عليه السلام بالرؤية الحسية لله حتى عوقبوا على ذلك، وكقول فرعون: ﴿ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]، وغيرها من النصوص.

والواقع الإلحادي يدل على ذلك أيضا، فهو يريد أن يقيس الله بمثل المقاييس التي يستعملها في دراسة الظواهر الكونية المختلفة.. وعندما لا تخضع معرفة الله لمقاييسه يذهب للإلحاد.

ولهذا فإن القرآن الكريم ينطلق في التعريف بالله من وضع القواعد التي تؤسس العقيدة على الأسس الصحيحة المنبنية على المعرفة التنزيهية لله، كما قال تعالى - على لسان الملائكة عليهم السلام-: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]

وقد أشار الغزالي إلى ذلك عندما قال في جواهر القرآن عند بيانه لعزة ما ورد في القرآن الكريم من الحديث عن الذات الإلهية في نفس الوقت الذي أفاض فيه في ذكر أسماء الله وآثارها في الوجود: (كما أن أنفس اليواقيت أجل وأعز وجودا، ولا تظفر منه الملوك لعزته إلا باليسير، وقد تظفر مما دونه بالكثير، فكذلك معرفة الذات أضيقها مجالا وأعسرها منالا وأعصاها على الفكر، وأبعدها عن قبول الذكر؛ ولذلك لا يشتمل القرآن منها إلا على تلويحات وإشارات، ويرجع ذكرها إلى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: 11] وسورة الإخلاص، وإلى التعظيم المطلق كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: 100] وأما الصفات: فالمجال فيها أفسح، ونطاق النطق فيها أوسع، ولذلك كثرت الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة، والكلام والحكمة، والسمع والبصر وغيرها.. وأما الأفعال:

فبحر متسعة أكنافه، ولا تنال بالاستقصاء أطرافه، بل ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، وكل ما سواه فعله، لكن القرآن يشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة، كذكر السماوات والكواكب، والأرض والجبال، والشجر والحيوان، والبحار والنبات، وإنزال الماء الفرات، وسائر أسباب النبات والحياة، وهي التي ظهرت للحس. وأشرف أفعاله وأعجبها وأدلها على جلالة صانعها)[1]

هذه هي المعرفة القرآنية التي دلت عليها الآيات الكثيرة.. والتي لا يرى العقل فيها أي تناقض مع ما تقتضيه الفطرة السليمة..

لكن المعرفة السلفية لله تتناقض مع هذه المعرفة تماما، حيث أنها تستند في التعرف على الله على التصور بدل التعقل، ولذلك تتصور أن معرفة الله لا يمكن أن تتم بمعزل عن تجسيمه وتحديده وتقييده وتكييفه.. ولهذا فإن أكبر مجال عندها في المعرفة الإلهية ـ خلاف ما ورد في القرآن الكريم ـ مجال الذات.. فهي تقبل فيه كل شيء حتى الروايات الإسرائيلية.

وقد قال الشيخ ابن العثيمين، وهو من علمائهم المعاصرين الكبار - مبينا استحالة معرفة الله من دون كيفية -: (السلف لا ينفون الكيف مطلقاً، لأن نفي الكيف مطلقاً نفي للوجود، وما من موجود إلا وله كيفية لكنها قد تكون معلومة وقد تكون مجهولة، وكيفية ذات الله تعالى وصفاته مجهولة لنا.. وعلى هذا فنثبت له كيفية لا نعلمها.. ونفي الكيفية عن الاستواء مطلقاً هو تعطيل محض لهذه الصفة لأنا إذا أثبتنا الاستواء حقيقة لزم أن يكون له كيفية وهكذا في بقية الصفات)[2]

وما ذكره الشيخ من أن الكيفية غير معلومة لنا نوع من الاحتيال لأن كتب السنة والعقائد الكثيرة صورت ذلك تصويرا لا يحتاج الخيال إلى غيره ليرسم صورة الاستواء أو غيره مما يعتبرونه من صفات الله تعالى.

ومثل الشيخ ابن عثيمين أبو عمر ابن عبدالبر الذي اعتبر الأمة كلها – ما عدا أهل الحديث – نافين للمعبود، فقال: (وأمَّا أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلُّها والخوارج، فكلُّهم يُنكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بها مشبِّه، وهم عند

[1] جواهر القرآن (ص: 26).

[2] مجموع فتاوى ابن عثيمين 1/194 وانظر المحاضرات السنية لابن عثيمين 1/232

من أثبتها نافون للمعبود)[1]

وقد علق عليه الذهبي بقوله: (صدق والله! فإنَّ من تأوَّل سائر الصفات وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام، أدَّاه ذلك السَّلب إلى تعطيل الربِّ، وأن يشابه المعدوم، كما نُقل عن حماد بن زيد أنَّه قال: مَثل الجهمية كقوم قالوا: في دارنا نخلة، قيل: لها سَعَف؟ قالوا: لا، قيل: فلها كَرَب؟ قالوا: لا، قيل: لها رُطَب وقِنو؟ قالوا: لا، قيل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة!)[2]

وهكذا أصبح الله ـ بعظمته وقدسيته وجلاله ـ عند السلفيين مثل النخلة لا يمكن معرفتها إلا بعد معرفة سعفها وكربها ورطبها.. ولهذا فإن أعرف العارفين عندهم من جمع أكبر قدر من روايات التجسيم والتشبيه ليرسم صورة أكثر دقة عن ربه سبحانه وتعالى.

ولهذا فإن ما ينتصر به المعاصرون منهم لأنفسهم من نفي تهمة التجسيم عنهم نوع من الاحتيال والمصادرة على المطلوب، ذلك أنهم – من خلال النصوص التي يوردونها عن سلفهم ـ لا ينفون حقيقة التجسيم ومعناه، وإنما ينفون فقط إطلاق اسم الجسم على الله، أو اعتبار الجسم صفة من صفات الله، لكون التسمية والوصف توقيفية .. أما حقيقة التجسيم التي تعني الحيز والحدود والمكان والجهة والتركيب والوزن والحجم وغير ذلك.. فهم لا ينكرون اتصاف الله بذلك.

وكمثال على ذلك ما أورد ابن تيمية في كتبه العقدية المختلفة من النصوص الدالة على عدم الحرج في وصف الله بكونه جسما من الأجسام، بناء على المعنى، لا على اللفظ..

فعندما راح يبين سبب عدم إطلاق السلف لفظ الجسم لا نفياً ولا إثباتاً لله تعالى لم يذكر أن ذلك لتناقضه مع العقل أو مع القرآن، وإنما ذكر لذلك وجهين: (**أحدهما:** أنه ليس مأثوراً لا في كتاب ولا سنة، ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا غيرهم من أئمة المسلمين، فصار من البدع المذمومة.. **الثاني:** أن معناه يدخل فيه حق وباطل، فالذين أثبتوه أدخلوا فيه من النقص والتمثيل ما هو باطل، والذين نفوه أدخلوا فيه من التعطيل والتحريف ما هو باطل)[3]

---

[1] () التمهيد (7/145).

[2] () العلو (ص: 1326).

[3] () منهاج السنة النبوية 2/225.

ومراد ابن تيمية من التعطيل والتحريف – في هذا النص – هو تنزيه الله عن لوازم الجسـمية كـالحيز والحـدود ونحوهـا.. أو كمـا أشـار إلى ذلـك في قوله في كتابـه (منهـاج السـنّة): (وقـد يـراد بالجسم ما يشار إليه، أو ما يرى، أو مـا تقـوم بـه الصـفات، واللـه تعالى يُرى في الآخرة وتقوم به الصفات ويشـير إليـه النـاس عنـد الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم.. فإن أراد بقوله: (ليس بجسم) هذا المعنى قيل له: هذا المعنى ـ الذي قصدت نفيـه بهـذا اللفظ ـ معنى ثـابت بصـحيح المنقـول وصـريح المعقـول وأنت لم تقم دليلاً على نفيـه.. وأمّـا اللفـظ فبدعـة نفيـاً وإثباتـاً، فليس في الكتاب ولا السـنّة، ولا قـول أحـد من سـلف الأمّـة وأئمتهـا إطلاق لفظ (الجسم) في صفات الله تعالى، لا نفياً ولا إثباتاً)[4]

فقد عرّف الله في هذا النص بأنه يُشـار إليـه.. وأنّـه يُـرى كمـا ترى الأجسام.. وأنّه تقوم به الصفات فيكون مركّباً.. وأنّ له مكانـاً وجهة، بدليل رفع النـاس أيـديهم عنـد الـدعاء إلى الأعلى.. فالإلـه بهذا المعنى عنده ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول..

بـل إن ابن تيميـة يحـاول بكـل مـا أوتي من قـوة المنطـق أن يبرهن على ضـرورة أن يكـون اللـه جسـما حـتى يكـون موجـودا.. فالوجود عنده يقتضي الجسمية، يقول في ذلك:(فالمثبتة يعلمـون بصريح العقل امتناع أن يكون موجوداً معيناً مخصوصاً قائماً بنفسه ويكون مع ذلك لا داخل العالم ولا خارجـه، وأنـه في اصـطلاحهم لا جسم ولا عرض ولا جسـم ولا متحـيز، كمـا يعلمـون أنـه يمتنـع أن يقال إنه لا قائم بنفسه ولا قائم بغيره.. فإنك إذا استفســرتهم عن معنى التحيز ومعنى الجسم فسروه بما يعلم أنـه الموصـوف بأنـه القائم بنفسه. ولهذا لا يعقل أحد ما هو قائم بنفسه إلا مـا يقولـون هو متحيز وجسم .. فدعوى المـدعين وجـود موجـود ليس بمتحـيز ولا جسم ولا قائم بمتحيز أو جسم مثل دعواهم وجود موجود ليس قائما بنفسه ولا قائما بغيره.. ومن قيل له هـل تعقـل شـيئاً قائمـاً بنفسـه ليس في محـل وهـو مـع هـذا ليس بجسـم ولا جـوهر ولا متحيز ومع هذا إنه لا يجوز أن يكـون فـوق غـيره ولا تحتـه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا أمامه ولا وراءه وأنـه لا يكـون مجامعـا لـه ولا مفارقا له ولا قريبا منه ولا بعيدا عنه ولا متصـلا بـه ولا منفصـلا عنه ولا مماسا له ولا محايثا له وأنه لا يشار إليه بأنـه هنـا أو هنـاك ولا يشار إلى شيء منه دون شيء ولا يرى منه شـيء دون شـيء

[4]() منهاج السنّة: 1 / 180.

ونحو ذلك من الأوصاف السلبية التي يجب أن يوصف بها ما يقال إنه ليس بجسم ولا متحيز لقال حاكماً بصريح عقله هذه صفة المعدوم لا الموجود)[1]

وهكذا يضعنا ابن تيمية وأصحابه من أعلام المدرسة السلفية بين أمرين: إما أن نجسم الله، أو نقول بعدمه.. فالوجود عندهم قاصر على الأجسام.. وهو نفس ما قاله فرعون والملاحدة واليهود.

بل إن ابن تيمية يطبق جميع أوصاف الأجسام على كل الموجودات، لا يفرق في ذلك بين الله سبحانه وتعالى واجب الوجوب، وبين الممكنات التي خلقها، فيقول: (الوجه السادس أن يقال ما عُلم به أن الموجود الممكن والمحدث لا يكون إلا جسما أو عرضا أو لا يكون إلا جوهرا أو جسما أو عرضا أو لا يكون إلا متحيزاً أو قائما بمتحيز أو لا يكون إلا موصوفا أو لا يكون إلا قائما بنفسه أو بغيره يُعلم به أن الموجود لا يكون إلا كذلك.. فإن الفطرة العقلية التي حكمت بذلك لم تفرق فيه بين موجود وموجود ولكن لما اعتقدت أن الموجود الواجب القديم يمتنع فيه هذا أخرجته من التقسيم لا لأن الفطرة السليمة والعقل الصريح مما يخرج ذلك ونحن لم نتكلم فيما دل على نفي ذلك عن الباري فإن هذا من باب المعارض وسنتكلم عليه وإنما المقصود هنا بيان أن ما به يعلم هذا التقسيم في الممكن والمحدث هو بعينه يعلم به التقسيم في الموجود مطلقا)[2]

وهو لا يكتفي بهذه التصريحات فقط، بل إنه في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) يكاد يدافع عن لفظ (الجسم) بعينه، فيقول: (وليس في كتاب الله، ولا سنّة رسوله، ولا قول أحد من سلف الأمّة وأئمتها أنّه ليس بجسم، وأنّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً)[3]

بل إن ابن تيمية وأعلام المدرسة السلفية عند حديثهم عن كمال الله تعالى ينطلقون من النظرة التجسيمية الحسية المادية .. فهم يرون أن الله سبحانه وتعالى ما دام قد أعطى لعباده بعض الكمالات الحسية، فهو أولى أن يتصف بها، قال ابن تيمية يوضح ذلك: (كل ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال فالخالق أحق به وأولى وأحرى به منه لأنه أكمل منه ولأنه هو

[1] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 364)
[2] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 370)
[3] () بيان تلبيس الجهمية:1/101.

الـذي أعطـاه ذلـك الكمـال، فالخـالق أحـق بـه وأولى وأحـرى بـه منه...وعلى هذا فجميع الأمور الوجودية المحضة يكون الرب أحـق بها لأن وجوده أكمل ولأنه هو الواهب لها فهو أحق باتصافه بها)[1]

وإلى هنـا فـإن المعـنى مقبـول عنـد جميـع المسـلمين، فاللـه سبحانه وتعالى أولى بصفات الكمال من عباده، ولكن ابن تيمية لا يقصد ذلك فقط، بل يقصد التجسـيم ومـا يقتضـيه التجسـيم، فقـد قال بعـد ذلـك الكلام المقبـول بانيـاً عليـه: (وإذا كـان كـذلك فمن المعلوم أن كون الموجود قائمـاً بنفسـه أو موصـوفاً أو أن لـه من الحقيقة والصفة والقدر ما استحق به إلا يكون بحيثِ غــيرهِ وأن لا يكون معدوماً بـل مـا أوجب أن يكـون قائمـاً بنفسـه مبايبـاً لغـيره وأمثال ذلك هو من الأمور الوجودية باعتبار الغـائب فيهـا بالشـاهد صار على هذا الصراط المستقيم، فكل ما كان أقرب إلى الوجــود كان إليه أقرب وكلما كان أقرب إلى المعدوم فهو عنه أبعد)[2]

وبذلك فإن ابن تيمية يقع في التشبيه المحض، لأنــه يتصـور أن الكمال في احتياج الذات إلى حيز ومقدار وأعضاء وغـير ذلـك مـع أن الكمال الحقيقي لا يقتضي ذلك..

وبناء على هذه النظرة السطحية المادية المحدودة لله، والــتي تـدل على عـدم قـدرة العقـل على التجريـد والتنزيـه نـرى تعظيم المدرسة السلفية للعوام، واعتبار وقوعهم في التجسيم والتشــبيه كمالا، وهذا خلاف ما ورد في القرآن الكـريم من الـدعوة للرجـوع إلى الراسـخين في العلم في التفريـق بين المتشـابه والمحكم إلا أن هؤلاء يرون العوام - أصـحاب الفهـوم السـطحية والمحـدودة - أقدر على فهم القرآن الكريم والعقيدة من غيرهم، وقـد روى أبــو داود عن يزيد بن هارون قوله: (من زعم أن الرحمن على العـرش استوى على خلاف ما يقر في قلـوب العامـة فهـو جهمي)[3]، وهـو يقصد بذلك أن يفهم من الاستواء معنى القعود والجلوس.. فكمال المعرفة عندهم هو في هذا الاعتقاد.

وهكذا نجد تعظيمهم لمقولة فرعـون الـتي سـبق ذكرهـا، فقـد قال أبو أحمد الكرجي: (قوله إخبارًا عن فرعون ﴿يَا أَيُّهَـا الْمَلَأُ مَـا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَـا هَامَـانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَـلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَـهِ مُوسَـى﴾، حجـة على من يـزعم أن

---

[1] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 350)

[2] () المصدر السابق 327-328

[3] () مسائل الإمام أحمد ص15ـ واحتج به البخاري في خلق أفعال العباد.

الله بنفسه في الأرض؛ حال في كل مكان، وينكر كينونته بنفسه في السماء وعلمه في الأرض. إذ محال أن يقول فرعون هذا القول إلا وقد دلّه موسى -صلى الله عليه- أن إلهه في السماء دون الأرض. فإن كان فرعون أنكر كينونته في السماء وثبته في الأرض فقد وافق القوم فرعون في قوله. وإن كان أنكره في السماء والأرض معًا فقد خالفوا موسى -صلى الله عليه - مع خلافهم لجميع الأنبياء والناس، وأهل الملل كافة سواهم. ولا أعلم في الأرض باطلا إلا وهذا أوحش منه، نعوذ بالله من الضلالة)[1]

وقال سعد بن علي الزنجاني في شرح قصيدته في السنة: (وأخبر عن فرعون أنه قال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ وكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يُثبت إلهًا فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتهم موسى بالكذب في ذلك، ومُخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته فهو أعجز فهمًا من فرعون)[2]

وهذا يوضح لنا منهج الاستنباط الذي تعتمده المدرسة السلفية في التعرف على الله، فهي تعرض عن الآيات الكثيرة التي ذكر فيها تعريف موسى عليه السلام لربه سبحانه وتعالى، والممتلئة بالتنزيه، لتأخذ عقيدتها من مقولة فرعون التي حكاها الله عنه ليدل على سخافة عقله.

وهكذا نجد ابن القيم يذكر القصص والأساطير والخرافات التي تؤيد التجسيم ليرمى بها المنزهة، وقد سمى كتابه الذي شحن فيه كل ذلك [اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية]

ومن تلك الاستدلالات العجيبة قوله: (وفي هذا الباب قصة حمر الوحش المشهورة التي ذكرها غير واحد، إنها انتهت إلى الماء لترده فوجدت الناس حوله فتأخرت عنه فلما جهدها العطش رفعت رأسها إلى السماء وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد، فأرسل الله سبحانه عليها السماء بالمطر حتى شربت وانصرفت)[3]

وهكذا نرى تعظيم أعلام المدرسة السلفية لعقيدة فرعون

[1] () نكت القرآن لأبي أحمد الكرجي القصاب (ج3 ص567-568).

[2] () اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم الجوزية (ص197-198).

[3] () اجتماع الجيوش الإسلامية ص296-297.

عندما طلب من هامان أن يبني له صرحا ليطلع إلى إله موسى، حيث نجد الاستدلال بها في أكثر كتبهم العقدية.

بل إننا نجد علما كبيرا كالشيخ حمود بن عبد الله التويجري يعتبر فرعون وغيره من الكفار الذي واجهوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل حالا من المؤمنين المنزهين لله، وقد قال في كتابه [الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة] في تفضيل فرعون وغيره على المؤمنين من الذين يؤمنون بما يقول به علم الفلك الحديث: (وقد اعترف فرعون بوجود السموات مع شدة كفره بالله، واعترف بذلك قوم شعيب ومشركو قريش فهم إذاً أخف كفراً من أهل الهيئة الجديدة)[1]

وبعد كل هذا التعظيم للعوام وغيرهم، نجد عداء السلفية للعلماء والفلاسفة والمتكلمين والصوفية ولكل طوائف المنزهة، في نفس الوقت الذي يقدسون فيه كل المشبهة والمجسمة.

وسنذكر هنا – باختصار – الشدة التي تعامل بها أعلام المدرسة السلفية مع المنزهة الذين يعتقدون بأن الله تعالى أعظم وأجل من أن يتصور، وذلك من خلال بيان مواقفهم من علماء الكلام والصوفية وعلماء الفلك:

علماء الكلام:

يعتبر علم الكلام من العلوم التي حاولت أن تمزج بين العقل والنقل، أو حاولت أن تفهم النقل على ما تقتضيه العقول السليمة.. وهو وإن جرى بين أهله بعض الاختلاف في بعض المسائل الفرعية إلا أن أصحابه جميعا سواء كانوا أشاعرة أو ماتريدية أو معتزلة أو إمامية أو زيدية متفقون على تنزيه الله عن التصور، وعن مقتضياته من الحدود والجسمية ونحوها.

وقد بذلوا جهودا كبيرة في ذلك، وخاصة بعد انتشار مذاهب المجسمة والمشبهة، ومن تلك الجهود تصحيحهم للفهوم الواردة حول النصوص المقدسة، وتبيين المراد منها وفق أساليب اللغة العربية من المجاز والكناية وغيرها، أو ما أطلق عليه [التأويل]، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ

---

[1] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 143).

رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

وكل ذلك حرصا على عقائد الأمة وتنزيهها لربها، وعدم غرقها في أوحال التشبيه والتجسيم التي وقعت فيها الأمم من قبلها.

لكن كل تلك الجهود جعلتهم في مرمى سهام المجسمة الذين استعملوا كل وسائلهم المعتادة من التكفير والتضليل لكل منزه، أو داعية للتنزيه، بل وصل بهم الأمر في كثير من الأحيان إلى تحريض العوام على هؤلاء العلماء المتكلمين، وقد ثارت فتن كثيرة في التاريخ الإسلامي بسبب ذلك.

وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (395 هـ) المعاناة التي كانت تحصل للمنزهة من طرف المجسمة فقال: (ليتق الله امرؤ وليعتبر عن تقدم ممن كان القول باللفظ مذهبه ومقالته، كيف خرج من الدنيا مهجوراً مذموماً مطروداً من المجالس والبلدان لاعتقاده القبيح؟! وقوله الشنيع المخالف لدين الله مثل: الكرابيسي، والشواط، وابن كلاب، وابن الأشعري، وأمثالهم ممن كان الجدال والكلام طريقه في دين الله عز وجل)[1]

ومن تلك الحوادث ما حصل للمتكلم المعروف الفخر الرازي الذي كان له أثر كبير في مواجهة النزعة التجسيمية والانتصار للتنزيه.. وهذا ما جعل المجسمة يثورون عليه، ويحرضون عليه العوام..

ولا بأس أن نورد هنا باختصار بعض ما حدث، لنسقطه على واقع السلفية المعاصر، ولنعرف مدى الصلة بين المجسمة والعنف..

فقد ذكر المؤرخون أن الفخر الرازي دعي لمناظرة بعض الكرامية المجسمة الذين انتصر ابن تيمية لمقولاتهم التجسيمية، وبعد المناظرة، وفي اليوم التالي، قام أحدهم بالجامع، وصعد المنبر، وقال: (لا إله إلا الله، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، أيها الناس إنا لانقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ وأما علم أرسطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلانعلمها، فلأي شيء يُشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وعن سنة رسول نبيه)، ثم بكى وضج الناس وبكى العوام واستغاثوا، وثار الناس من كل جانب، وامتلأ البلد فتنة، وكادوا يقتتلون ويجري ما يهلك فيه خلق كثير، فبلغ

---

[1]() طبقات الحنابلة (4/424).

ذلـك الحـاكم، فأرسـل جماعـة من عنـده إلى النـاس وسـكَّنهم ووعدهم بإخراج الفخر من عندهم وتقـدم إليـه بـالعودة إلى هـراة فعاد إليها[1].

وقد حصلت أحداث كثيرة في التاريخ الإسلامي لا تقل عن هذه الحادثة.. ومنها تلك الحادثة الـتي حصـلت بين القشـيري وأصـحابه وبين المجسمة الـذين كـانوا يحرضـون العـوام، ويسـتعملونهم في مواجهة علماء الأمة.

ولا بأس أن نورد هنـا وثيقـة مهمـة كتبهـا أبـو نصـر القشـيري، ووقع عليه جماعة من علماء الأشاعرة، وهي تصور لنـا بعض تلـك المشاغبات التي كان يقوم بها المجسمة كـل حين للتحـريض على العلماء، وإثارة الفتن في الأمة، لأجل حملها على التجسيم.

فممـا جـاء فيهـا: (يشـهد من ثبت اسـمه ونسـبه وصـح نهجـه ومذهبه واختبر دينه وأمانته من الفقهـاء وأهـل القـرآن والمعـدلين من الأعيان، وكتبوا خطوطهم المعروفة .. أنّ جماعة من الحشوية والأوباش المتوسمين بالحنبلية أظهروا ببغـداد من البـدع الفظيعـة والمخازي الشنيعة مـا لم يتسـمح بـه ملحـد فضـلاً عن موحـد، ولا تجوز به، قادح في أصل الشريعة ولا معطل، ونسبوا كـل مـا يـنزه الباري تعـالى وجـل عن النقـائص والآفـات، وينفي عنـه الحـدوث والتشـبيهات، ويقدسـه عن الحلـول والـزوال .. وتنـاهوا في قـذف الأئمـة الماضـين، وثلب أهـل الحـق وعصـابة الـدين، ولعنهم في الجوامـع والمشـاهد والمحافـل والمسـاجد والأسـواق والطرقـات والخلـوة والجماعـات، ثم غـرهم الطمـع والإهمـال ومـدهم في طغيانهم الغي والضلال إلى الطعن فيمن يعتضـد بـه أئمـة الهـدى وهـو للشـريعة العـروة الـوثقى، وجعلـوا أفعالـه الدينيـة معاصـي دنية..وتمادت الحشوية في ضلالتها والإصرار على جهالتها وأبوا إلا التصريح بأنّ المعبود ذو قدم وأضراس ولهوات وأنامل، وأنه يـنزل بذاته، ويتردد على حمار في صورة شاب أمرد بشعر قطط، وعليه تاج يلمع، وفي رجليه نعلان من ذهب، وحفظ ذلـك عنهم، وعللـوه ودونوه في كتبهم، وإلى العوام ألقـوه، وأنّ هـذه الأخبـار لا تأويـل لها، وأنها تجري على ظواهرها وتعتقد كما ورد لفظها، وأنـه تعـالى يتكلم بصـوت كالرعـد، وكصهيـل الخيل)[2]

فهذه الوثيقة تدل على المنهج التحريضي الـذي كـان يسـتعمله

---

[1] الكامل 10/262 وانظر البداية والنهاية لابن الأثير 13/19.

[2] تبيين كذب المفتري ص 311 ..

المجسمة، ولا زالوا يستعملونه.

وقد جعلت تلك الفتن بعض العلماء يتخوفون من أن يحصل لهم ما حصل للمنزهة من القتل والنفي والأذى، فلذلك كانوا يحرصون على إظهار التجسيم والإعلان به أمام الناس مخافة على أنفسهم أو سمعتهم، يقول الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي: (ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري، ويتبرؤن مما بنى الأشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه على ما سمعت عدة من المشايخ والأئمة، منهم الحافظ المؤتمن بن أحمد بن على الساجي يقولون: سمعنا جماعة من المشايخ الثقات قالوا: كان الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني إمام الأئمة الذي طبق الأرض علمًا وأصحاباً إذا سعى إلى الجمعة من قطعية الكرج إلى جامع المنصور يدخل الرباط المعروف بالزوزي المحاذي للجامع، ويقبل على من حضر، ويقول: اشهدوا عليّ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، كما قاله الإمام ابن حنبل، لا كما يقوله الباقلاني، وتكرر ذلك منه جمعات. فقيل له في ذلك، فقال: حتى ينتشر في الناس وفي أهل الصلاح، ويشيع الخبر في أهل البلاد أني بريء مما هم عليه -يعني الأشعرية-، وبريء من مذهب أبي بكر بن الباقلاني، فإن جماعة من المتفقهة الغرباء يدخلون على الباقلاني خفية ويقرؤون عليه فيفتنون بمذهبه، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة فيظن ظان أنهم منى تعلموه قبله وأنا ما قلته وأنا بريء من مذهب البلاقلاني وعقيدته)[1]

وكل تلك الفتن التي كانت تحصل بين الفينة والأخرى، والتي سجلتها كتب التاريخ، كان سببها تلك التحريضات المتشددة الذي يقوم بها أعلام المدرسة السلفية تجاه مخالفيهم.

ومن أمثلتها ما رواه ابن عبد البر عن ابن خواز منداد أنه قال في كتاب (الشهادات) في تأويل قول مالك: (لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء): (أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها)[2]

ومنها ما ذكره أبو إسماعيل الهروي الأنصاري، قال: (رأيت

[1] () نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض (2/95-98).

[2] () نقله عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (2/943).

يحي بن عمـار مـا لا أحصـي من مـرة على منـبره يكفـرهم –أي الأشعرية- ويلعنهم، ويشهد على أبي الحسـن الأشـعري بالزندقـة، وكذلك رأيت عمر بن إبراهيم ومشائخنا)[1]

وروى عن عمر بن إبـراهيم قولـه: (لا تحـل ذبـائح الأشـعرية، لأنهم ليسوا بمسلمين، ولا بأهل كتاب، ولا يثبتون في الأرض كتاب الله)[2]

وقـال: (وينبغي أن يتأمـل قـول الكلابيـة والأشـعرية في الصفات، ليعلم أنهم غير مثبتين إلهاً في الحقيقـة، وأنهم يتخـيرون من النصوص ما أرادوه، ويتركون سائرها ويخالفونه)[3]

وقال ابن قدامة المقدسي في (لمعة الاعتقـاد): (ومن السـنة: هجـران أهـل البـدع ومبـاينتهم، وتـرك الجـدال والخصـومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسم بغـير الإسـلام والسـنة مبتـدع: كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدريـة، والمرجئـة، والمعتزلـة، والكراميـة، والكلابيـة، ونظـائرهم، فهـذه فـرق الضـلال، وطوائـف البدع، أعاذنا الله منها)[4]

ولم يكتـف هـؤلاء بالتشـنيع على المتكلمين الـذين راحـوا يستعملوا كل الأدوات العقلية واللغويـة لصـيانة عقـول المسـلمين من أن يتسرب إليها وحل التجسيم والتشبيه، بل ذهبوا إلى أولئـك المفوضـة الـورعين الـذين دعـوا إلى الكـف عن البحث في أمثـال هذه المسائل.

فهذا ابن تيمية يقـول عنهم: (..فتـبين أن قـول أهـل التفـويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسـلف من شـر أقـوال أهـل البدع والإلحاد)[5]

بل إنه – كعادته في التنابز بالألقـاب – يغـير اسـمهم من [أهـل التفويض] إلى [أهل التجهيـل]، فيقـول: (..أمـا أهـل التجهيـل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يقولـون إن الرسـول لم يعرف معانيَ ما أنزل الله إليه من آيات الصفات..ولا السابقون

---

[1] () ذم الكلام وأهله (4/411).

[2] () ذم الكلام وأهله (4/413).

[3] () رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص173).

[4] () لمعة الاعتقاد (ص200).

[5] () درء التعارض 1/205

الأولون عرفوا ذلك...)[1]

وهـذا قـول عامـة المدرسـة السـلفية من المعاصـرين الـذين نجدهم في كتبهم ومـواقعهم يشـنعون على المتـوقفين في أمثـال هـذه المسـائل، وقـد قـال ابن عـثيمين عنهم: (التفـويض من شـر أقـوال أهـل البـدع.. وإذا تأملتـه وجدتـه تكـذيباً للقـرآن وتجهيلاً للرسول)[2]

الصوفية:

يعتـبر الصـوفية من منزهـة هـذه الأمـة الـذين لم يتقبلـوا تلـك التشويهات التي تلقاهـا أهـل الحـديث من اليهـود وغـيرهم، وربمـا يعود ذلك لصلة مشـايخهم الأوائـل بالأئمـة الكبـار من أهـل الـبيت عليهم السلام.. فقد كانوا تلاميذ نجباء لهم.. ولهذا نجد في الـتراث الصـوفي الاسـتدلالات الكثـيرة بكلمـات الإمـام علي أو غـيره من الأئمة .. بالإضافة إلى ذلك فإنه لا تكاد تخلو سلسـلة من سلاسـل الصوفية من الرجوع في نهايتهـا للإمـام علي.. بالإضـافة إلى ذلـك كلـه تلـك المحبـة العظيمـة الـتي تمتلئ بهـا قلـوب الصـوفية نحـو العـترة الطـاهرة.. ولعـل ذلـك مـا حفظهم من الوقـوع في بـراثن التشبيه الـتي وقـع فيهـا الممتلئـون بالنصـب والعـداوة لآل الـبيت الكـرام، والـذين آثـروا أن يتولـوا كعب الأحبـار ووهب بن المنبـه وغيرهم من أئمة التجسيم.

وهـذا لا يعـني أن الصـوفية معصـومون من الخطـأ، أو أنـه لم يتسـرب لهم بعض التحريفـات والتشـويهات.. ولكن ذلـك كلـه لا يساوي شيئا أمام ما وقع فيه المجسمة والمشبهة.

والمنهج الذي اعتمده الصوفية هـو نفس مـا ذكـره قبلهم أئمـة أهل البيت عليهم السلام من تطهـير القلب ليصـبح محلا للمعرفـة التنزيهية.. لأن سـبب التجسـيم والتشـبيه تلـك الكـدورة الـتي تملأ القلب بالكثافـة، وذلـك الـران الـذي يحـول بين القلب وبين تجلي الحق فيه.

وبنـاء على هـذا لم يهتم الصـوفية كثـيرا بالجـدل للوصـول إلى الحقائق كما فعل المتكلمون، ولم يهتموا بجمع الأحاديث كما فعل أهل الحديث.. بل اهتموا بتنقية القلب ليصـبح أهلا لمعرفـة الـرب، لاعتقـادهم أن الحجـاب الحائـل بين الـروح والمعرفـة أمـر وهميّ

---

[1] () مجموع الفتاوى 5/34

[2] () المحاضرات السنية 1/67

عـدميّ لا حقيقـة لـه، وهـو مـرض القلب بأوصـاف البشـرية، فلـو صحت لعرفت، كما عبر عن ذلك ابن عطاء الله بقوله: (اخرج من أوصاف بشريّتك عن كـلّ وصـف منـاقض لعبوديّتـك، لتكـون لنـداء الحقّ مجيبا، ومن حضرته قريبا)

وقد علق على هذه الحكمة الجليلة ابن عجيبة بقوله: (أوصـاف البشرية: هي الأخلاق التي تناقض خلوص العبوديـة، ومرجعهـا إلى أمــرين: الأول: تعلــق القلب بــأخلاق البهـائم وهي شــهوة البطن والفـرج ومـا يتبعهمـا من حب الـدنيا وشـهواتها الفانيـة .. الثـاني: تخلّقه بأخلاق الشياطين كالكبر والحسد والحقد والغضـب والحـدة وهي القلق، والبطر وهو خفـة العقـل، والأشـر وهـو التكـبر، وحب الجاه والرياسة والمـدح والقسـوة والعطـاء والفظاظـة والغلظـة، وتعظيم الأغنيـاء، واحتقـار الفقـراء، وكخـوف الفقـر وهم الـرزق والبخل والشح والرياء والعجب، وغير ذلك مما لا يحصى حتى قال بعضـهم: للنفس من النقـائص مـا للّـه من الكمـالات.. فـإذا تخلّـق العبد بهذه الأخلاق وتحقـق بهـا ذوقـا بعـد أن تخلص من أضـدادها، كان عبدا خالصا لمولاه حرّا مما سـواه، وكـان لندائـه مجيبـا، ومن حضرته قريبا فإذا قال لـه ربـه: يـا عبـدي قـال لـه: يـا رب، فكـان صادقا في إجابته لصدق عبوديتـه، بخلاف مـا إذا كـان منهمكـا في شهواته الظاهرة والباطنة، كان عبدا لنفسه وشهواته، فإذا قال: يا رب كان كاذبا إذ من أحب شيئا، فهو عبد له وهو لا يحب أن تكـون عبدا لغـيره، وإذا تخلص من رق الشـهوات والحظـوظ، كـان أيضـا قريبا من حضرة الحق، بل عاكفا فيها، إذ ما أخرجنـا عن الحضـرة إلا حبّ هذه الخيالات الوهمية فإذا تحررنا منهـا وتحققنـا بالعبوديـة وجدنا أنفسنا في الحضرة)[1]

وهذا الذي ذكره ابن عجيبة هو نفس ما يذكره القـرآن الكـريم عندما يربط الإيمان بالأخلاق والتقوى، كمـا يربـط الجحـود بمـرض القلب وقساوته.

وبذلك فإن المنهج الصوفي من هذه الناحية منهج قرآني نبــوي لا جدال فيه .. فبقدر صفاء القلب تـزول أوهـام الإلحـاد والتشـبيه والتجسيم ..

وبنــاء على هــذا كــان الصــوفية يحــذرون الأمــة من بضــاعة المحدثين الممتلئة بالحشو والتجسيم، لأنه لا يمكن أن يعرف اللــه حشوي مجسم.. وقـد قـال جعفـر الخلـدي: (لـو تركـني الصـوفية

---

[1] () إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص: 114.

لجئتكم بأساريرِ الدنيا وطلبت الحديث، لقد مضيت إلى عباس الدوري من علماء الحديث فكتبت عنه مجلسًا واحدًا، ثم خرجت من عنده فلقيني بعض الصوفية، فقالوا لي: إيش هذا معك؟ فأعطيته إياه، فقال: ويحك! تدع علم الخِرَق وتأخذ علم الوَرَق؟! ثم خرَق الأوراق ومنعني أن أتابع)

وقال أبو سعيد الكندي: (كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث في خفية، وفي يوم سقطت مني محبرة من كمي، فرآها صوفي، فقال: ويحك! استر عورتك)

وكان أبو يزيد البسطامي يقولون للمحدثين الذين انشغلوا بالرواية: أنتم أين عِلمكم؟) فيقولون: مِن فلان عن فلان عن فلان عن النبي، فيقول: أين هم؟ ماتوا كلّهم، فيقول: ما هذا العلم الذي يؤخذ من أموات؟! نحن علمنا أخذناه من الحي الذي لا يموت.

وطبعا فإن مراد الصوفية من كل هذا ليس النهي عن الحديث المجرد، فقد كانوا من أكثر الناس رواية للحديث النبوي.. وكتبهم مشحونة به.. ولكن تحذيرهم كان عن ذلك الحشو الذي مال إليه المحدثون، وملأوا به ما يسمونه كتب التوحيد والسنة وأصول الدين.

ومثلما حذر الصوفية من علم الحديث الذي امتلأ بالحشو، حذروا من علم الكلام الذي امتلأ بالجدل، وقد ذكر الشيخ محمود أبو دقيقة كلاما طيبا في الفرق بين المنهج الكلامي والمنهج الصوفي في المعرفة، فقال: (مقصود الصوفية بمعرفة الله تعالى غير مقصود المتكلمين بمعرفته، والصوفية لا ينكرون معرفة المتكلمين بل يزيدون عليها، ومعرفة الصوفية من مرتبة، ومعرفة المتكلمين من مرتبة أخرى، فمعرفة الصوفية إحسانية، ومعرفة المتكلمين إيمانية، فاخلتفا مرتبة.. ومعرفة الصوفية قلبية، ومعرفة المتكلمين عقلية فاختلفا وسيلة.. ومعرفة الصوفية عمل، ومعرفة المتكلمين علم.. ومعرفة الصوفية شهود، ومعرفة المتكلمين اعتقاد.. ومعرفة الصوفية تبدأ من القلب وتنتهى إلى الجوارح الظاهرة والباطنة فأثرها عملى، ومعرفة المتكلمين تبدأ من العقل وتنتهى إلى القلب فأثرها علمى.. ومعرفة الصوفية لله، غير معرفة المتكلمين بل وبعدها. فالصوفية بعد أن يقرون بمعرفة المتكلمين ليتحققوا بمرتبة الإيمان، يزيدون عليها بمعرفته من جهة الإحسان، فمعرفة الصوفية بعد معرفة المتكلمين، والمتكلمون يعرفونه واجب الوجود، خالقا،، صانعا، واحدا، حيا،

سـميعا، بصـيرا، عليمـا، مريـدا، قـادرا، قـديما، باقيـا، مخالفـا للحـوادث .. والصـوفية بعـد أن يعرفونـه كـذلك يشـهدون كـذلك، فالفرق بينهما كالفرق بين معرفة الله بالنظر فى آثـاره، ومعرفتـه (كأنك تراه)، وطريـق معرفـة الصـوفية خاصـة عنـد محققى أهـل الحق)[1]

بناء على هذا، فإن المعرفة الصوفية معرفـة تنزيهيـة متوافقـة مـع الرؤيـة الكونيـة القرآنيـة، وليس من فـرق بينهـا وبين تنزيـه المتكلمين إلا أن تنزيـه المتكلمين تنزيـه علمي معـرفي، وتنزيـه الصوفية تنزيه ذوقي عرفاني.

وقد اتفق الصوفية على هذا التنزيه الذي أشار إليه الشـيخ أبـو الحسن الشاذلي في قولـه: (إنـا لننظـر إلى اللّـه ببصـر الإيمـان و الإيقان فأغنانا عن الدليل و البرهان، و إنا لا نري أحدا من الخلـق، فهـل في الوجـود أحـد سـوي الملـك الحـق؟ و إن كـان و لا بـد فكالهباء في الهواء إن فتشتهم لم تجدهم شيئا)

وأشار إليه ابن عطاء اللـه في (لطـائف المنن)، فقـال: (و من أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إلى اللّـه! فليت شـعري، هل لها وجود معه حـتى توصـل إليـه؟ أو هـل لهـا من الوضـوح مـا ليس له حتى تكون هي المظهرة له؟ و إن كانت الكائنات موصـلة لـه فليس ذلـك لهـا من حيث ذاتهـا، لكن هـو الـذي ولاهـا رتبـة التوصيل، فوصلت، فما وصل إليـه غـير إلهيتـه، و لكن الحكيم هـو واضع الأسـباب، و هي لمن وقـف معهـا و لا ينفـذ إلى قدرتـه عين الحجاب فظهور الحق أجلى من كـل مـا ظهـر، إذ هـو السـبب في ظهور كل ما ظهر و ما اختفى إلا من شـدة مـا ظهـر، و من شـدة الظهور الخفاء)[2]

وأشار إليه ابن عطاء الله، فقال: (كيف يتصوّر أن يحجبه شيء و هو أقرب إليك من كلّ شيء؟)

وهم يروون في هذا عن الإمام علي قوله: (الحـق تعـالى ليس من شيء و لا في شـيء و لا فـوق شـيء و لا تحت شـيء، إذ لـو كان من شيء لكان مخلوقا، و لو كان فوق شيء لكان محمولا، و لـو كـان في شـيء لكـان محصـورا، و لـو كـان تحت شـيء لكـان مقهورا)[3]

---

[1] () القول السديد فى علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة: 1/ 60.

[2] () نقلا عن: إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص: 81.

[3] () نقلا عن: إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص: 82.

ويروون أنه قيل له: يا ابن عم رسول اللّه ﷺ أين كان ربنــا أو هل له مكان؟ فتغير وجهـه و سـكت سـاعة ثم قـال: (قــولكم أين اللّه سؤال عن مكان، و كـان اللّـه و لا مكـان، ثم خلـق الزمـان و المكان، و هو الآن كما كان دون مكان و لا زمان)

وهكذا نجـد كتب الصـوفية مملـوءة بتنزيـه اللـه وتعظيمـه إلى الدرجة التي يعتـبرون فيهـا الشـعور بمثليـة وجـودهم لوجـود اللـه شركا، وقد قال في ذلك الشيخ أبو مدين:

الله قل وذر الوجود وما ... ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته ... عدم على التفصيل

واعلم بأنك والعوالم كلها ... لولاه في محو وفي

من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا بأن لم ... شيئا سوى المتكبر

ورأوا سواه على الحقيقة ... في الحال والماضي

فالمح بعقلك او بطرفك ... شيئا سوى فعل من

وانظر الى علو الوجود ... نظرا تؤيده بالاستدلال

تجد الجميع يشير نحو ... بلسان حال او لسان مقال

هو ممسك الاشياء من علو ... سفل ومبدعها بغير مثال

وقال:

فإذا نظرت بعين عقلك لم ... شيئا سواه على الذوات

واذا طلبت حقيقة من غيره ... فبذيل جهلك لاتزال

بعد هذا التوضيح الذي اضطررنا إليه لبيان الدور الـذي قـام بـه الصوفية في حفظ عقيدة التنزيه القرآنية يتبين لنا السر الذي ألب عليهم التيار التجسيمي الذي لم يـترك سـبيلا لتضـليلهم وتبـديعهم وتكفيرهم والتحريض عليهم إلا فعله.

ومع أن ذلك واضح من خلال الكتب الكثيرة المؤلفة في تكفـير الصـوفية والتحـذير منهم، إلا أنـني سـأذكر هنـا نمـاذج من أقــوال المحدثين التي لا تتعلق فقـط بالشخصـيات المثـيرة للجـدل كـابن عربي والجيلي وغيرهما، بـل تتعلـق بشخصـية معتدلـة لا نجـد في

كتبها أي لون من ألوان الشطحات.

من تلك النصوص التي ينشرها التيار السلفي أثناء تحـذيره من الصوفية قول الحافظ سعيد بن عمرو البردعى: (شهدت أبا زرعـة - وقد سئل عن الحارث المحاسـبى وكتبـه - فقـال للسـائل: إيـاك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر (الحديث)، فإنك تجد فيه ما يغنيك، فقيل له: في هذه الكتب عبرة، فقــال: (من لم يكن لـه في كتـاب اللـه عـبرة، فليس لـه في هـذه الكتب عـبرة، بلغكم أن ســـفيان ومالكـــا والأوزاعي صـــنفوا هـــذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع!)

وقد علق عليه الذهبي بقوله: (وأين مثل الحارث ؟! فكيـف لـو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كالقوت لأبي طـالب؟ وأين مثـل القـوت؟ .. كيـف لـو رأى بهجـة الأسـرار لابن جهضـم، وحقـائق التفسير للسـلمى؟ لطـار لبُّه .. كيـف لـو رأى تصـانيف أبي حامـد الطوسى في ذلـك، على كـثرة مـا في الإحيـاء من الموضـوعات؟ كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر؟)[1]

علماء الفلك:

وهم مع عدم كونهم من علماء التوحيد ولا العقيـدة، ولا علاقـة لهم بالجهمية ولا الأشاعرة ولا الصوفية.. بل لا علاقة لهم بالإسلام ولا بأي دين من الأديان.. ولكنهم مـع ذلـك لقـوا حربـا شـعواء من المدرسة السلفية، لأن الصورة التي أعطاهـا هـؤلاء ــ بحسـب مـا دلت عليها بحوثهم ـ تختلف تمامـا عن الصـورة الـتي تقـوم عليهـا المعرفة التجسيمية لله التي يعتقدها السلفية.

وكمثال على ذلك تلـك الهجمـة الشرسـة الـتي ووجـه بهـا من يقـول بـأن الأرض تـدور حـول الشـمس، والـذي وصـل إلى حـد التكفير، ذلك أن هذه المقولة ـ بالإضافة لمخالفتها لذلك الموروث الروائي الذي استلموه من المجسمة ومن أهل الكتاب ـ تخالف ما يسمونه بأهم مسألة عقدية في تصـورهم، وهي [علـو اللـه تعـالى على خلقـه]، والـذي يقتضـي أن تكـون الأرض ثابتـة، والسـموات السبع فوقها كالقبة عليها، ثم يكون العرش، ثم يكـون اللـه تعـالى بحسب تصورهم.. ودروان الأرض يقضي على ذلك كله.

وللأسـف فـإن هـذه الهجمـة لم تكن من لـدن أنـاس عـاديين بسطاء، بل كانت من أعلى الهيئـات الدينيـة، ففي الفتـوى رقم (

[1] () ميزان الاعتدال: 1/ 431..

15255) الموجهة لهيئة العلماء برئاسة الشيخ ابن باز ورده هذا السؤال: (أنا مدرس لمادة الجغرافيا، وحيث إنه قد ورد إلي موضوع يتعلق بدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، وحيث إنه قد سبق وأن قرأت كتابًا لسماحتكم بعنوان: (الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب، وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض) حيث كان هنالك تعارض بين ما ذكرتموه سماحتكم وبين الكتاب المدرسي؛ لذا أرجو من سماحتكم إفادتي عن هذا الموضوع)

فأجابه بهذا الجواب الخطير: (يجب على مدرس الجغرافيا إذا عرض على الطلاب نظرية الجغرافيين حول ثبوت الشمس ودوران الأرض عليها - أن يبين أن هذه النظرية تتعارض مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن الواجب الأخذ بما دل عليه القرآن والسنة، ورفض ما خالف ذلك، ولا بأس بعرض نظرية الجغرافيين من أجل معرفتها والرد عليها كسائر المذاهب المخالفة، لا من أجل تصديقها والأخذ بها)[1]

وهكذا نجد الكتب الكثيرة التي ألفت في هذا المجال، ومنها كتاب (دوران الأرض حقيقة أم خرافة) لعادل العشري، وكتاب (هداية الحيران في مسألة الدوران) لعبد الكريم بن صالح الحميد، وكتاب (الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة) للشيخ التويجري، وغيرها من الكتب.

والإشكال الأكبر هو وقوع هؤلاء في نفس ما وقع فيه رجال الدين المسيحي حينما تبنوا بعض النظريات العلمية، وربطوها بالدين، ثم حاربوا كل من يقول بخلافها واعتبار القول به هرطقة.

ونفس الشيء وقع فيه هؤلاء حين أخضعوا الحقائق العلمية القطعية للموازين الروائية الممتلئة بالأساطير والخرافات..

وكمثال على ذلك ما قاله التويجري في كتابه (الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة) عند رده لما يقوله الفلكيون من أن (الأرض سابحة في الجو معلقة بسلاسل الجاذبية وقائمة بها)، فقد قال ردا عليهم: (ونقول أما قولهم إن الأرض سابحة في الجو فهذا باطل ترده الآيات والأحاديث الدالة على سكون الأرض وثباتها. ويرده أيضاً إجماع المسلمين على ثبات الأرض وسكونها. وقد تقدم كل ذلك فليراجع وأما قولهم إنها معلقة بسلاسل الجاذبية فهذا باطل يرده قول الله تعالى (إن الله يمسك

---

[1] فتاوى اللجنة الدائمة، لجزء رقم: 26، الصفحة رقم: 415.

السموات والأرض أن تزولا) وقوله تعالى (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) فالسماء قائمة بأمر الله تعالى وإمساكه لها من غير عمد والأرض قائمة بأمر الله تعالى وإمساكه لها من غير سلاسل)[1]

ليس هذا فقط، بل إنهم ينكرون كل الحقائق العلمية الفلكية، وسنذكر نموذجا هنا لعلم من أعلام المدرسة السلفية المعاصرة، وهو يناقش بعض الحقائق العلمية الفلكية وفق الرؤية السلفية..

وهو العالم الذي زكاه كل رجال المدرسة السلفية الكبار، وزكوا كتابته هو يحي الحجوري الذي ألف كتابا سماه [الصبح الشارق على ضلالات عبد المجيد الزندني في كتابه توحيد الخالق]، وهو في الرد على كتاب في العقيدة الإسلامية يضم بعض الحقائق العلمية كأدلة على قدرة الله تعالى.

ومن تلك الردود رده على ما ذكره صاحب الكتاب من صعود البشر إلى القمر، وقد قال في رده باللهجة السلفية القاسية: (هذه كذبة بلغت الآفاق يستحق صاحبها أن يشرشر شدقه على قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ولا يزال يفعل به ذلك كما في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عند البخاري رقم (7047،1386)، وهذه الكذبة صنعها أعداء الإسلام لاحتقار من سواهم من المسلمين حيث لم يستطيعوا صعود القمر ولغير ذلك من المقاصد الخبيثة، ونشرها الببغاوات كصاحبنا وأمثاله، وقد أنكرها ذلك السيف الصارم على البدع والمحدثات الشيخ حمود التويجري رحمه الله في كتابه [الصواعق الشديدة على أهل الهيئة الجديدة] وعلامة اليمن شيخنا مقبل الوادعي حفظه الله برعايته، وجعله تحت بالغ لطفه وعنايته)[2]

وقال في الرد على تسمية الأرض كوكبا: (وقد رد هذا الإدعاء ودحض هذا الافتراء الشيخ محمد بن يوسف الكافي فقال رادًا على بعض أشياع محمد عبده المصري: قوله: (هي كوكب) كذب وافتراء على الله تعالى من سماها كوكبًا لأن الله تعالى الذي خلقها سماها أرضًا، والكوكب هو النجم ومحله العلو ومن صفاته الإضاءة والإشراق والأفول والطلوع والأرض بخلاف ذلك. ونقله عنه الشيخ حمود التويجري رحمه الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته في كتابه (الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة

---

[1] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 58).

[2] () الصبح الشارق على ضلالات عبد المجيد الزندني في كتابه توحيد الخالق97.

الجديدة)، وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (ج1 ص69): عدم الخلاف أن الأرض خلقت قبل السماء بما في السماء من نجوم وغيرها)[1]

وقال في الرد على ما يذكره الفلكيون من المجرات وكثرتها: (هذا كله مبني على الهوس والوساوس الإبليسية والتقليد والثقة بأعداء رب البرية من ذوي الملل والنحل اليهودية والنصرانية ليزاحموا بِهذه التخرصات علوم الكتاب والسنة النبوية فشغلوا بذلك السذج من أبناء المسلمين والذين لا يهمهم أمر هذا الدين فيبقون على هذه التراهات عاكفين وبِها معجبين ومفتخرين، فيقتلون فيها الأوقات ويضلون بِها العامة وأشباههم من ذوي الجهالات فيغضبون بذلك رب الأرض والسموات)[2]

وقال في الرد علي ما يذكره الفلكيون من دوران الأرض: (ومسائل السماء والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والميزان والصراط و... الكلام فيها يعتبر من باب الاعتقاد فالذي يعتقد أن الأرض تدور وتتحرك يجب عليه أن يلتمس لهذا القول دليلاً من القرآن والسنة وإلا كان صاحب معتقد فاسد لا يعتمد على دليل عن الله ورسوله وأنى لصاحب هذا القول الدليل فدون ذلك خرط القتاد وإنما هي الشُّبه)[3]

ولهذا فإن هذه المدرسة كانت من أكبر من وقف في وجه الحضارة الإسلامية، ووجه علمائها الكبار، حين حجروا العلم على ما كانوا يمارسونه مما يسمونه علما.

يقول ابن تيمية: (جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي ﷺ، فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علماً، وما سواه إما أن يكون علما فلا يكون نافعاً، وإما أن لا يكون علماً وإن سمي به، ولئن كان علماً نافعاً فلا بد أن يكون في ميراث محمد ﷺ ما يغني عنه مما هو مثله وخير منه)[4]

وقال ابن رجب: (فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث .. في ذلك غاية

---

[1] () الصبح الشارق: 192.

[2] () الصبح الشارق: 196.

[3] () الصبح: 210.

[4] () مجموع الفتاوى (10/ 664)

لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع اشتغل)[1]

وقال ابن القيم: (كما هي عادته سبحانه وسنته في عباده إذا أعرضوا عن الوحي، وتعوضوا عنه بكلام البشر، فالمغرب لما ظهرت فيهم الفلسفة والمنطق واشتغلوا بها استولت النصارى على أكثر بلادهم وأصاروهم رعية لهم، وكذلك لما ظهر ذلك ببلاد المشرق، سلط الله عليهم التتار فأبادوا أكثر البلاد الشرقية واستولوا عليها، وكذلك في أواخر المائة الثالثة وأول الرابعة لما اشتغل أهل العراق بالفلسفة وعلوم أهل الإلحاد سلط الله عليهم القرامطة الباطنية، فكسروا عسكر الخليفة عدة مرات واستولوا على الحاج واستعرضوهم قتلاً وأسراً)[2]

وهكذا نجد المعاصرين من هذه المدرسة يرددون نفس تلك الكلمات، ويتبرؤون من كل الأعلام الذين أنجبتهم الحضارة الإسلامية، بل يكفرونهم..

ومن الأمثلة على ذلك رسالة تنتشر بكثرة على مواقع النت كتبها الشيخ ناصر بن حمد الفهد، وسماها [حقيقة الحضارة الإسلامية]، وعرفها بقوله: (هذه المذكرة جواب عمَّن جعل حضارة الإسلام هي النبوغ في علوم الفلاسفة والملاحدة وجعلها هي تشييد المباني وزخرفة المساجد، وجعل علماء الإسلام هم الملاحدة كابن سينا والفارابي ونحوهم)

وقد جاء في مقدمتها قوله: (إن الحضارة الإسلامية الصحيحة هي التي وجدت في القرون المفضلة، في وقت الصحابة والتابعين، وأئمة الدين، فريق الهدى، وأشياع الحق، وكتائب الله في أرضه، الذين بلغوا من الدين والعلم والقوة غاية ليس وراءها مطلع لناظر، ولا زيادة لمستزيد، ففتحوا البلدان، وشيدوا الأركان، ودانت لهم الأمم، وتداعت لهم الشعوب .. فَمن كان مفاخراً فليفاخِرْ بهم، ومن كان مكاثراً فليكاثرْ بهم، فدينهم هو الدين، وعلمهم هو العلم . مكّن الله لهم في الأرض ففتحوا الدنيا وحكموا العالم في مدةٍ لا يبلغ فيها الرضيع أن يفطم، قال الذهبي رحمه الله تعالى: (واستولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى وعلى كرسي مملكة قيصر، وعلى أمَّي بلادهما، وغنم المسلمون غنائم لم يسمع بمثلها قط من الذهب

---

[1] () بيان فضل علم السلف على الخلف» (6).

[2] () إغاثة اللهفان: 2/602.

والحرير والرقيق فسبحان الله العظيم الفتاح)[1].. لذلك فاعلم أن الدين ما انتهجه السلف، والعلم ما طلبوه، وما سوى ذلك فلا خير فيه)[2]

ثم راح بعدها يعد أسماء العلماء الكبار الذين أسسوا للحضارة الإسلامية، بل أمدوا البشرية بالمعارف الكثيرة التي ساهمت في الحضارة الحديثة، ويرميهم جميعا بالكفر والزندقة.

فينقل عن ابن تيمية عند ذكره لجابر بن حيان قوله: (وأما جابر بن حيان صاحب المصنفات المشهورة عند الكيماوية فمجهول لا يعرف وليس له ذكر بين أهل العلم والدين) [3]، ويعقب عليه بقوله: (ولو أثبتنا وجوده، فإنما نثبت ساحراً من كبار السحرة في هذه الملة، اشتغل بالكيمياء والسيمياء والسحر والطلسمات، وهو أول من نقل كتب السحر والطلسمات)[4]

وينقل عن (محمد بن موسى الخوارزمي): (وهو المشهور باختراع (الجبر والمقابلة)، وكان سبب ذلك كما قاله هو المساعدة في حل مسائل الإرث، وقد ردّ عليه شيخ الإسلام ذلك العلم بأنه وإن كان صحيحاً إلا أن العلوم الشرعية مستغنية عنه وعن غيره[5].. والمقصود هنا: إن الخوارزمي هذا كان من كبار المنجّمين في عصر المأمون والمعتصم الواثق، وكان بالإضافة إلى ذلك من كبار مَنْ ترجم كتب اليونان وغيرهم إلى العربية)[6]

وهكذا لا يترك عالما من العلماء إلا وكفره أو بدعه وفسقه..

وللأسف فإن هذه الرسالة تنتشر بقوة على النت، وبالصيغ المختلفة، ولعلها ترجمت للغات أجنبية لتمحو كل ما بقي لهذه الأمة من أمجاد تباهي بها سائر الأمم.

1

[2]() حقيقة الحضارة الإسلامية ص3.

[3]() مجموع الفتاوى 29 / 374.

[4]() حقيقة الحضارة الإسلامية ص11.

[5]() انظر (مجموع الفتاوى) 9 / 214 – 215.

[6]() حقيقة الحضارة الإسلامية ص11.

الجهة.. والمكان

يرى أصحاب الرؤية التنزيهية لله ـ بتوجهاتهم المختلفة العقلية والذوقية ـ أن الله تعالى أعظم من أن يشار إليه، أو أن تكون له جهة تحصره، أو مكان يحده.. فالله أعظم وأجل وأقدس من ذلك كله.

ذلك أن مجرد اعتباره في جهة حد لعظمته، وتقييد لإطلاقه، وحبس له في عالم الحدود والقيود والجسمية.

ومجرد اعتباره في مكان حصر له، بل قول بإمكانية تعدده.. فمن حدد فقد عدد.

والعقل السليم يقول بهذا، كما تقول به النصوص المقدسة، وكما يقول به أرباب الأرواح الطاهرة الذين تجلت على صفحات قلوبهم الصافية حقائق العرفان في أبهى صورها.

وأولهم أهل بيت النبوة والطهارة الذين وردت عنهم النصوص الكثيرة في تنزيه الله عن الجهة والمكان، ومنها ما روي عن الإمام علي من قوله: (إنّ اللّه جلّ وعزّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ عن أن يحويه مكان...) [1]، وقال: (كان الله ولا مكان) [2]

وروي عن الإمام جعفر الصادق قوله: (ولا يوصف [عزّ وجلّ] بكيفٍ ولا أين...، كيف أصفه بأين وهو الذي أيّن الأين حتّى صار أيناً، فعرفت الأين بما أيّنه لنا من الأين) [3]

و سُئل: أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماءً أو أرضاً؟ فقال: (أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان) [4]

وسئل: فهو [عزّ وجلّ] في كلّ مكان؟ أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض؟! وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟! فأجاب: (إنّما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان، واشتغل به مكان، وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه. فأمّا الله العظيم الشأن المَلِك الديّان فلا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به

---

[1] () بحار الأنوار، ج 57، باب 1، ح 63، ص 83.

[2] () الإرشاد، الشيخ المفيد: ج 1، ص 201.

[3] () الكافي، ج 1، ، ح 12، ص 103 ـ 104. التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 8 ، ح 14، ص 111 ـ 112.

[4] () الكافي، ج 1، ح 5، ص 89 ـ 90. التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 28، ح 4، ص 170.

مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان) [1]

وسئل الإمام الكاظم: لأيّ علّة عرج الله بنبيه ﷺ إلى السماء، ومنها إلى سِدرَة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه وناجاه هناك، والله لا يوصف بمكان؟ فقال: (إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكنّه عزّ وجلَّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكّان سماواته ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على ما يقول المشبّهون، سبحان الله وتعالى عما يشركون) [2]

وهكذا قال كل منزهة الأمة.. وسنقتبس هنا للدلالة العقلية على هذا كلام رجل جمع بين علوم الحديث والكلام والتصوف، لنرى أن اعتقاد الجهة مطلب للخيال للعقل، وأن النصوص المقدسة تقدس الله من أن تحده الجهات، أو يحل في الأماكن.

وهذا العلم هو الشيخ يوسف النبهاني الذي كتب رسالة في الرد على المجسمة في هذا المجال سماها (رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله) يقول فيها: (فكما أنه تعالى ليس لذاته المقدسة جهات ليس هو في جهة أحد من المخلوقات، قد تنزه عن جميع السفليات والعلويات من الأمكنة والأزمنة والأرضين والسموات، كلها نسبتها إليه تعالى نسبة واحدة، وهي أنها مخلوقاته وهو خالقها أوجدها بعد أن لم تكن من العدم المحض، وهو تعالى كان موجوداً قديماً ولا سماء ولا أرض، وهو عز وجل قبل خلقها وبعد خلقها هو الله القديم العظيم المتصف بكل الكمالات المنزه عن جميع أوصاف الحادثات لم تتجدد له تعالى بعد خلقها أوصاف لم تكن له من قبل خلقها.. وإذا كان الأمر كذلك فكيف تختص به تعالى جهة دون جهة؟ ويقال إنه في جهة العلو والفوق، وهذه الجهات إنما حدثت بعد خلق المخلوقات؟)[3]

ثم ذكر أن حصر الله في الجهات مقولة تجسيمية لم يقل بها أحد من المنزهة من هذه الأمة، قال: (إذا علمت ذلك فقد تبين وظهر ظهوراً جلياً أن هذه العقيدة، وهي تنزيه الله تعالى عن أن تحصره جهة من الجهات العلويات والسفليات هي العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تليق بكمال الله تعالى، وهي عقيدة معظم الأمة المحمدية من أهل المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة

---

[1] () التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 36، ح 3، ص248..

[2] () التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 28، ح 5، ص 170.

[3] () رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله.

وسادتنا الصوفية وهي التي تقتضيها الكمالات الإلهية وتؤيدها الإدراكات العقلية والنقلية، ولمن خالفهم وإن قلوا مستند وهو تمسكهم بظواهر النصوص بدون تدقيق ولا تحقيق، ولا تفكر بما يليق بالكمالات الإلهية وما لا يليق، فحكموا عليه تعالى بأنه في جهة العلو وفي جهة الفوق، ولم يبالوا بأن الجهات إنما هي من أوصاف الحادثات وقبل أن يخلقها تعالى لم يكن هنالك جهات إذ لا علويات ولا سفليات ولا شيء وقتئذ من المخلوقات حتى تحيط به تعالى الجهات)[1]

ومن الأدلة العقلية المنطقية التي أوردها قوله: (وأيضاً الجهات هي أمور نسبيات، فقد تكون جهة العلو لمخلوق هي جهة السفل لمخلوق آخر، إذ من المعلوم أن الأرض كروية وفي سائر جهاتها يوجد مخلوقات، فجهة العلو لقوم منهم هي جهة السفل لقوم آخرين، وكذا أجرام السموات المحيطة بالأرض)[2]

هذا مثال عن الأدلة التي يعتمدها المنزهة في مواجهة المجسمة.. وإلا فإن القضية من البداهة بحيث لا تحتاج إلى دليل يدل عليها.

وكيف تحتاج إلى الدليل والقرآن الكريم واضح في الدلالة عليها، فالله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 115]

فهذه الآية الكريمة كافية في الدلالة على استحالة الجهة على الله، وهي تحصن الأمة من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم قبلها من التجسيم، وقد نقل الفخر الرازي عن بعضهم قوله في مناسبة نزولها لتغيير القبلة: (.. لأن اليهود والنصارى كل واحد منهم قال: إن الجنة له لا لغيره، فرد الله عليهم بهذه الآية لأن اليهود إنما استقبلوا بيت المقدس لأنهم اعتقدوا أن الله تعالى صعد السماء من الصخرة، والنصارى استقبلوا المشرق لأن عيسى عليه السلام إنما ولد هناك على ما حكى الله ذلك.. فكل واحد من هذين الفريقين وصف معبوده بالحلول في الأماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق، فكيف تخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق)[3]

والله تعالى يذكر في آيات كثيرة أن له معية وحضورا مع كل

---

[1] () رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله.

[2] () رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله.

[3] () مفاتيح الغيب (4/ 19)

شـيء، وهـو مـا يكفي لنفي الجهـة عن اللـه، ومن أمثلتهـا قولـه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُـوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَـةٍ إِلَّا هُـوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَـرَ إِلَّا هُـوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَـا كَـانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلـة: 7]، وقوله تعـالى: ﴿يَسْـتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْـتَخْفُونَ مِنَ اللّـهِ وَهُــوَ مَعَهُم﴾ [النســاء 108]، وقولــه تعــالى: ﴿هُــوَ الَّذِي خَلَــقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ يَعْلَمُ مَـا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد 4]، وقولـه تعـالى: ﴿إِذْ يَقُـولُ لِصَـاحِبِهِ لاَ تَحْـزَنْ إِنَّ اللّـهَ مَعَنَـا﴾ [التوبـة 40]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ وَنَعْلَمُ مَـا تُوَسْـوِسُ بِـهِ نَفْسُـهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيـدِ﴾ [ق 16]، وقولـه تعـالى: ﴿وَهُـوَ الَّذِي فِي السَّـمَاء إِلَـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـهٌ﴾ [الزخـرف 84]، وقولـه تعالى: ﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام3].

وقـد كـانت هـذه الآيـات وأمثالهـا من الآيـات الـتي يسـتعملها المتكلمـون المنزهـة لإيقـاع المجسـمة في الحـرج، لأنهم إمـا أن يقولوا بمقتضياتها، فينفوا الجهة عن اللـه، وينفـوا معهـا الجسـمية ومقتضياتها، وإمـا أن يصـرفوها عن ظاهرهـا، وحينهـا يتخلـون عن اعتبارهم التأويل تعطيلا.

يقول إمام الحرمين الجويني: (ومما يجب الاعتناء بـه معارضـة الحشـوية بآيـات يوافقـون على تأويلهـا حـتى إذا سـلكوا مسـلك التأويل عورضوا بذلك السبيل فيما فيه التنازع. فمما يعارَضون بـه قوله تعالى: ﴿وَهُـوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَـا كُنْتُمْ ﴾ [الحديـد: 4] فـإن رامـوا إجراء ذلك على الظاهر حلوا عقدة إصـرارهم في حمـل الاسـتواء على العرش على الكون عليه، والتزموا فضائح لا يبوء بهـا عاقـل، وإن حملـــوا قولـــه: ﴿وَهُـــوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَـــا كُنْتُمْ ﴾على الإحاطـــة بالخفيات فقد تسوغوا التأويل)[1]

وهكذا نجد الأحاديث الصـحيحة الموافقـة للمعقـول والمنقـول، والتي لم تتلطخ بتشـويهات المجسـمة والمحرفـة تنص على هـذا، ففي الحديث الصـحيح أن رسـول اللـه ﷺ قـال للصـحابة لمـا رأى رفعهم لأصواتهم بالذكر: (أيها الناس! أربعوا على أنفسكم، فـإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً قريبـاً، إن الـذي

---

[1] () الإرشاد 161.

تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)[1]

لكن مع كل هذا، فإن لأصحاب الرؤية التجسيمية موقفا مختلفا تماما، وهو موقف ينطلق من تغليب التصور على التعقـل أولا.. ثم من ضرب بعض النصوص ببعض.. بالإضافة إلى عـدم اسـتطاعتهم رمي كل الـثروة الحديثيـة الكـبرى الـتي جـاءهم بهـا كعب الأحبـار وأصحابه.. بالإضافة لأبعاد أخرى سبق ذكرها.

وسنحاول هنا، ومن خلال المصادر المعتمدة لـدى هـذا الفريـق أن نـبين التصـورات العقديـة لهـذه المسـألة الخطـيرة، وعلاقتهـا بالمصادر المقدسة.. وعلاقتها بعد ذلك بالعقل، وبما يقوله العلم.

الجهة:

يعتبر السلفية تحديد [جهة اللـه] من أعظم المسـائل العقديـة، ولهـذا يقومـون بامتحـان النـاس على أساسـها، فمن أثبت الجهـة اعتبروه مؤمنا وموحدا وسـنيا، ومن خـالفهم فيهـا اعتـبروه جهميـا ومعطلا وكافرا.

بـل قـد نقلـوا إجمـاع الأمـة على ذلـك، وهـو يـدل على أنهم لا يعتـبرون الأمـة غـيرهم.. فمن عـداهم من الأمـة من المتكلمين والصوفية وغيرهم من المنزهة لا يعتبرونهم ـ بسـبب عـدم قـولهم بالجهة ـ من هذه الأمة، فضلا عن اعتبارهم من أهل السنة.

يقول أحـد متقـدميهم، وهـو قتيبـة بن سـعيد (150-240 هـ): (هذا قول الائمة في الإسـلام والسـنة والجماعـة: نعـرف ربنـا في السماء السابعة على عرشـه، كمـا قـال جـل جلالـه:الـرحمن على العرش استوى)، وقد علق عليـه الـذهبي بقولـه: (فهـذا قتيبـة في إمامته وصـدقه قـد نقـل الإجمـاع على المسـألة، وقـد لقي مالكـا والليث وحماد بن زيد، والكبـار وعمـر دهـرا وازدحم الحفـاظ على بابه)[2]

وقال ابن بطة العكبري (304-387 هـ) في كتابـه المشـهور [الإبانة عن شريعة الفرقة والناجية]: (باب الإيمـان بـأن اللـه على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقـه: أجمـع المسـلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمـنين أن اللـه تبـارك وتعالى على عرشه فـوق سـمواته بـائن من خلقـه وعلمـه محيـط بجميع خلقه، ولا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية

---

[1] البخاري 13/372 ح 7386.

[2] مختصر العلو 187، درء تعارض العقل والنقل 6/260، بيان تلبيس الجهمية 2/37.

وهم قوم زاغت قلوبهم واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين وقالوا: إن الله ذاته لا يخلو منه مكان)[1]

وقال أبو عمر الطلمنكي الأندلسي (339-429 هـ) في كتابه (الوصول إلى معرفة الأصول): (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: وهو معكم أينما كنتم. ونحو ذلك من القرآن: أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء)[2]

وقال أبو نصر السجزي (ت 444 هـ) في كتابه الإبانة: (فأئمتنا كسفيان الثوري ومالك وسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض واحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وأن علمه بكل مكان وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء)[3]

وقال ابن عبد البر (ت 463 هـ) في التمهيد بعد ذكر حديث النزول: (وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على عرشه من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش)[4]

وقال: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا انهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله) [5]

---

[1] () الإبانة 3/ 136.

[2] () درء التعارض 6/250، الفتاوى 5/189، بيان تلبيس الجهمية 2/38، مختصر العلو 264.

[3] () درء التعارض 6/250 ونقل الذهبي كلامه هذا في السير 17/ 656.

[4] () فتح البر بترتيب التمهيد 2/ 7 –48.

[5] () فتح البر بترتيب التمهيد 2/ 7 –48.

وغيرها من النصوص التي يواجهون بها المنزهة، بل يواجهون بها النصوص المقدسة التي تنزه الله عن الجهة وجميع مقتضياتها.

وهم لا يكتفون بنقل الإجماع على المسألة، وعدم اعتبار من ورد عنه خلافها، وهم أكثر الأمة، بل يضيفون إلى ذلك ما تعودوا عليه من تكفير المنكر لها، والتحريض عليه.

يقول ابن خزيمة (ت 311 هـ): (من لم يقل بأن الله فوق سمواته، وأنه على عرشه، بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة)، وقال: (من لم يقر بأن الله على عرشه قد استوى، فوق سبع سمواته فهو كافر حلال الدم، وكان ماله فيئا) [1]

وقد نقل ابن تيمية الإجماع على ما قاله ابن خزيمة، حيث قال في (درء تعارض العقل والنقل): (وجواب هذا أن يقال القول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.. ولهذا كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك، لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين)[2]

وقال في (مجموع الفتاوى) كعادته في نقل إجماع أهل الملل والنحل: (وقد اجتمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله تعالى على العرش، وقالوا هم ليس على العرش شىء وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأئمة من لم يقل: إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى به اهل القبلة ولا أهل الذمة...)[3]

وقال الشيخ سليمان بن سحمان في (كشف الشبهتين): (وإذا كان أعداء الله الجهمية، وعباد القبور قد قامت عليهم الحجة، وبلغتهم الدعوة، منذ أعصار متطاولة، لا ينكر هذا إلا مكابر، فكيف يزعم هؤلاء الجهلة أنه لا يقال لأحدهم: يا كافر، ويا مشرك، ويا فاسق، ويا متعور، ويا جهمي، ويا مبتدع وقد قام به الوصف الذي صار به كافراً، أو مشركاً، أو فاسقاً، أو مبتدعاً وقد بلغته الحجة، وقامت عليه، مع أن الذي صدر من القبورية الجهمية هؤلاء لم يكن من المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على الإنسان

[1] () انظر درء التعارض 6/ 264.

[2] () درء تعارض العقل والنقل (7/27)

[3] () مجموع الفتاوى (5/138).

فَيُتَوقَّف في حال أحدهم، لكن قد علم بالضرورة من دين الإسـلام أن من جحد علوا الله على خلقه، وأنكر صفاته ونعـوت جلالـه أنـه كافر معطل لا يشك في ذلـك مسـلم، فكيـف يظن بـالإخوان أنهم يقولون للمسلم يا سني: يا جهمي، وليس كذلك، أو يـا كـافر أو يـا مبتدع)[1]

وقال: (وإذا أنكر هذا الصنف علو الله على خلقه فهم كفار لأن الله تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ومن زعم أن الاستواء بمعـنى الاسـتيلاء أو القـدرة على الأشـياء كمـا تقوله الجهمية فقد جحد علو الله على خلقه لأن الله مستول على الأشياء كلها وقـادر عليهـا فلـو كـان مسـتويا على العـرش بمعـنى الاستيلاء وهو عز وجـل مسـتول على الأشـياء كلهـا لكـان مسـتويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليـه وإذا كـان قـادرا على الأشـياء كلها ولم يجز عنـد أحـد من المسـلمين أن يقولـوا إن اللـه مسـتو على الحشوش والأخلية لم يجـز أن يكـون الاسـتواء على العـرش الاستيلاء الذي هـو عـام في الأشـياء كلهـا ووجب أن يكـون معـنى الاستواء يختص العرش دون الأشـياء كلهـا وقـد كـان من المعلـوم بالضرورة أن الاستواء هو العلو والارتفاع على العرش وعلى جميع المخلوقات فمن زعم أن الاستواء بمعنى الاستيلاء أو غير ذلك من تفاسير الجهميـة فقـد جحـد علـو اللـه على خلقـه واسـتواءه على عرشه ولا ينفعه الإقـرار بلفـظ الاسـتواء على العـرش مـع جحـود معناه وصرفه عن ظاهره وما يليق به إلى ما لا يليق به، فإذا تـبين لك هذا علمت أن هذا الصنف هم جهال المقلدين للجهمية وأنــه لا خلاف في تكفيرهم)[2]

وقــال: (إذا عــرفت هــذا فمســألة علــو اللــه على خلقــه من المسائل الجلية الظاهرة ومما علم بالضرورة فإن الله قد وضـحها في كتابه وعلى لسـان رسـوله وهي ممـا فطـر اللـه عليهـا جميـع خلقه إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته واتبـع هـواه وأخلـد إلى الأرض وكلام شيخ الإسلام إنمـا يعرفـه ويدريـه من مـارس كلامـه وعرف أصوله فإنه قد صرح في غير موضع أن الخطأ والجهـل قـد يغفــرا لمن لم يبلغــه الشــرع ولم تقم عليــه الحجــة في مســائل مخصوصة إذ اتقى اللـه مـا اسـتطاع واجتهـد بحسـب طاقتـه وأين

---

[1] كشف الشبهتين (ص: 31)

[2] تمييز الحق والمين ص 139وما بعدها.

التقوى وأين الاجتهاد الذي يدعيه عباد القبور والداعون للموتى والغائبين والمعطلون للصانع عن علوه على خلقه واستواءه على عرشه ونفى أسماءه وصفات كماله ونعوت جلاله والقرآن يتلى في المساجد والمدارس والبيوت ونصوص السنة النبوية مجموعة مدونة معلومة الصحة والثبوت)[1]

وهذه النصوص وحدها كافية في الدلالة على تكفير السلفية لمخالفيهم من جميع الأمة الإسلامية من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة فضلا عن الشيعة والإباضية وغيرهم.. لأن هؤلاء جميعا يقولون بنفي الجهة عن الله تعالى.

والعجيب أننا لو طبقنا هذه الأحكام على المدرسة السلفية لوجدنا أنها تكفر نفسها بذلك، لأن الله بحسب الروايات التي يتبنونها ليس دائما في حال علو.. فهو ينزل إلى السماء الدنيا، بل ينزل إلى الأرض.. وبذلك تصير الشمس والقمر وغيرها من الكواكب فوقه كما سنرى في الفصل الخاص بالتنقل والحركة.

بل إنهم يروون حديثا ورد فيه: (والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله)[2]، وقد استعمل أعلام المدرسة السلفية كل ألوان التأويل والاحتيال لتوجيه هذا الحديث لينسجم مع العلو، ولعل آخرها ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين عند ذكره للحديث، فقد قال: (هذا الحديث اختلف العلماء في تصحيحه، والذين قالوا: إنه صحيح يقولون: إن معنى الحديث لو أدليتم بحبل لوقع على الله عز وجل لأن الله تعالى محيط بكل شيء، فكل شيء هو في قبضة الله سبحانه وتعالى وكل شيء فإنه لا يغيب عن الله تعالى، حتى إن السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن عز وجل كخردلة في يد أحدنا.. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون دالاً على أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان، أو على أن الله تعالى في أسفل الأرض السابعة فإن هذا ممتنع شرعاً، وعقلاً، وفطرة، لأن علو الله سبحانه وتعالى قد دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ والإجماع، والعقل، والفطرة)[3]

وقبله قال ابن تيمية: (حديث الإدلاء الذي روي من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قد رواه الترمذي وغيره من

---

[1] () تمييز الحق والمين ص144.

[2] () رواه الترمذي في كتاب التفسير (3298).

[3] () مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين (1/ 89).

حديث الحسن البصري عن أبي هريرة وهو منقطع فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع ؛ فإن كان ثابتا فمعناه موافق لهذا ؛ فإن قوله: (لو أدلي أحدكم بحبل لهبط على الله) إنما هو تقدير مفروض ؛ أي لو وقع الإدلاء لوقع عليه لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئا ؛ لأنه عال بالذات وإذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى لكن بتقدير فرض الإدلاء يكون ما ذكر من الجزاء. فهكذا ما ذكره السائل: إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة كان هو سبحانه يسمع كلامه وكان متوجها إليه بقلبه لكن هذا مما تمنع منه الفطرة ؛ لأن قصد الشيء القصد التام ينافي قصد ضده ؛ فكما أن الجهة العليا بالذات تنافي الجهة السفلى فكذلك قصد الأعلى بالذات ينافي قصده من أسفل وكما أن ما يهبط إلى جوف الأرض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية - لأنها عالية - فترد الهابط بعلوها كما أن الجهة العليا من عندنا ترد ما يصعد إليها من الثقيل فلا يصعد الثقيل إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط فكذلك ما يهبط من أعلى الأرض إلى أسفلها - وهو المركز - لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط إلى المركز)[1]

إلى آخر كلامه، وهو يدل على الصورة المشوهة التي يحملونها على الكون وعن موقع الأرض فيه، والتي عبر عنها ابن تيمية بقوله: (ومن علم أن الأفلاك مستديرة وأن المحيط الذي هو السقف هو أعلى عليين وأن المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه ـ وهو قعر الأرض ـ هو سجين واسفل سافلين علم من مقابلة الله بين أعلى عليين وبين سجين)[2]

فالأرض وفق هذه الرؤية هي المركز.. وفوقها السموات السبع، وفوقها العرش، وفوقها الله سبحانه وتعالى..

يقول التويجري شارحا التصور الفلكي للكون وفق الرؤية السلفية: (وقد جعل الله تبارك وتعالى الأرض مركزاً ومستقراً للأثقال من جميع جهاتها. فلو سقط من السماء شيء ثقيل من أي جهة كانت لما استقر إلا في الأرض. وكذلك ما يسقط من الأثقال مما بين السماء والأرض فمقره الأرض. وقانون الجاذبية للأثقال ينتهي إلى المركز في جوف الأرض وهو وسط الأرض

---

[1]() الرسالة العرشية (ص: 27)

[2]() مجموع الفتاوى [25/ 196ـ 197].

السابعة السفلى)[1]

ثم نقل عن ابن كثير قوله ــ بعد أن ساق عدة أحاديث في إثبات سبع أرضين ـ: (فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر إلى السابعة وهي صماء لا جوف لها وفي وسطها المركز وهي نقطة مقدرة متوهمة وهو محط الأثقال إليه ينتهي ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع) [2]

ونقل عن ابن تيمية قوله: (إذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى)[3]، وقوله: (ما يهبط من أعلى الأرض إلى أسفلها وهو المركز لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط إلى المركز) [4]، وقوله: (أهل الهيئة يقولون لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وألقي في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز حتى لو ألقي من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعاً في المركز ولو قدر أن إنسانين التقيا في المركز بدل الحجرين لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت صاحبه بل كلاهما فوق المركز) [5]

ولهذا تجد المدرسة السلفية تشتد على من يخالف هذه الرؤية، بل تقول بتكفيره.

يقول التويجري بعد نقله النقول الكثيرة عن ابن تيمية وغيره: (ولما ظهر أهل الهيئة الجديدة في آخر القرن العاشر من الهجرة وما بعده وهم كوبرنيك البولوني وهرشل الإنكليزي وأتباعهما من فلاسفة الإفرنج أصحاب الرصد والزيج الجديد أظهروا خلاف ما كان عليه المسلمون فقالوا إن الشمس ساكنة لا تتحرك أصلا وإنها مركز العالم وأن الأرض والنجوم تدور عليها وقد قلدهم في ذلك كثير من ضعفاء البصيرة من العصريين فخالفوا ما كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي ﷺ إلى زماننا، وهؤلاء ينبغي أن يوضح لهم الحق الذي جاء به القرآن والسنة فمن أصر منهم بعد

---

[1] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

[2] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

[3] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

[4] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

[5] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

ذلك على المخالفة فهو كافر حلال الدم والمال لأنه قد عاند الحق على بصيرة وأصر على تكذيب الله تعالى وتكذيب رسوله ﷺ)[1]

بعد هذا الكم الكبير من التبديع والتكفير والتحريض على المخالفين للسلفية في هذه المسألة نبحث عن مصادرهم النقلية التي استدعت منهم كل هذا الكم من الشدة.

وعند البحث عنها نجدها لا تعدو نصوصا يمكنهم لو طبقوا عليها مقاييسهم لفهموها الفهم الصحيح..

فلو أنهم طبقوا مع الآيات الكريمة التي يستدلون بها كثيرا، وهي قوله تعالى عن الملائكة عليهم السلام: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50] ما طبقوه في قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل 128] لانتفت المشكلة في أذهانهم، فقد فسروا المعية هنا بمعية النصر والتأييد[2].

وقال ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]: (إن هذه الآية لا تخلو من أن يراد بها قربه سبحانه أو قرب ملائكته كما قد اختلف الناس في ذلك، فإن أريد بها قرب الملائكة: فدليل ذلك من الآية قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ففسر ذلك القرب الذي هو حين يتلقى المتلقيان، فيكون الله سبحانه قد أخبر بعلمه هو سبحانه بما في نفس الإنسان، ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ وأخبر بقرب الملائكة الكرام الكاتبين منه، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف 80]، أما إذا كان المراد بالقرب في الآية قربه سبحانه، فإن ظاهر السياق في الآية دل على أن المراد بقربه هنا قربه بعلمه، وذلك لورود لفظ العلم في سياق الآية ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾) [3]

وهكذا يقال في الفوقية، فقد قال من هو أعلم منهم باللغة العلامة الكبير [الزمخشري) في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: 50]: (إن علقته بيخافون، فمعناه: يخافونه أن

---

[1] () الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 98).

[2] () مجموع الفتاوى (11/250)، و(5/104).

[3] () الفتاوى (6/19-20).

يرسل عليهم عذابا من فوقهم، وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه: يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا، كقوله وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ، وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ)[1]

بالإضافة إلى هذا فهم يؤولون الفوقية نفسها، وفيما يعتبرونه من صفات الله تعالى، وقد سئل الشيخ ابن العثيمين حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: 10]، فأجاب بقوله: (ينبغي أن نعلم أن التأويل عند أهل السنة ليس مذموماً كله، بل المذموم منه ما لم يدل عليه دليل، وما دل عليه الدليل يسمي تفسيراً، سواء كان الدليل متصلاً بالنص، أو منفصلاً عنه، فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذموماً على الإطلاق.. فإذا فهمنا هذا القاعدة وهي أن التأويل الذي قام الدليل عليه ليس مذموماً عرفنا الجواب عن الآية التي ساقها السائل.. فهل الصحابة في صلح الحديبية كانوا يبايعون الله؟ هم في الحقيقة كانوا يبايعون النبي ﷺ مباشرة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿يبايعونك﴾، لكن لما كان الرسول مبلغاً عن الله سبحانه صارت مبايعة الرسول كمبايعة الله، وصار الذي يبايعه كأنما يبايع الله، وقوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ المعلوم أن يد الله حقيقة ليست فوق أيديهم، وأن التي فوق أيديهم عند المبايعة هي يد الرسول ﷺ لكن الرسول كان مبلغاً عن الله)[2]

وهكذا يقال في جميع الآيات.. والتي ضرب السلفية بعضها ببعض.. فأولوا ما يشتهون، وأثبتوا ما يشتهون، والعجيب أنهم يحلون لأنفسم التأويل، ويسمونه - احتيالا - تفسيرا، أما غيرهم، فلا يحلون له ذلك، بل يكفرونه إن فعل ذلك، ولست أدري من الذي أعطاهم وحرم غيرهم، أو من الذي أحل لهم، وحرم على غيرهم.

هذا من القرآن الكريم.. أما من السنة المطهرة.. فبالإضافة لتلك الأحاديث الكثيرة التي تلقوها من كعب الأحبار ووهبه بن المنبه وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب نراهم يستدلون بما يسمونه [حديث الجارية].. وهو الحديث الذي صار ــ بسبب كثرة ترديدهم له ـ وكأن رسول الله ﷺ لم يقل غيره، أو كأنه آية من القرآن الكريم.

---

[1] () الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 610)

[2] () مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الأول - باب الأسماء والصفات.

وقد جعل ذلك من فريق التنزيه في هذه الأمة يؤلف الكتب والرسائل في رد الشبه المرتبطة به، ومنها [رسالة تنقيح الفهوم العالية بما ثبت وما لم يثبت في حديث الجارية] للشيخ حسن بن على السقاف، ومنها [رسالة القوافل الجارية بشرح حديث الجارية] للشيخ محمود منصور الداني، ومنها [رسالة دراسة حديث الجارية سندا ومتنا] للدكتور صهيب السقار، وغيرها من الرسائل والكتب.

ونص الحديث ــ كما يستدلون به ــ هو ما رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال: (.. وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها فأتيته بها فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة)[1]

هذا هو نص الحديث كما يروونه، وهم يحرصون على ألا يرووا الحديث بغير هذه الرواية مع أنه قد ورد بروايات أخرى تتفق مع التنزيه ومع المنهج العام الذي كان رسول الله ﷺ يتعامل به لتبليغ دين الله.

ولتوضيح ذلك سأسوق هنا روايتين أخريين للحديث، لنجعل ذلك نموذجا عن المنهج الانتقائي الذي يستعمله السلفية لنصرة آرائهم مهما شذت، فقد ورد الحديث بروايتين أخريين غير الرواية التي يهتم بها السلفية.

أما الرواية الأولى: فقد وردت بلفظ (أتشهدين ان لا إله إلا الله)، وقد رواها مالك وأحمد وغيرهما، ونصها: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية له سوداء فقال: يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت تراها مؤمنة أعتقها. فقال لها رسول الله ﷺ: (أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت نعم، قال أتشهدين أن محمدا رسول الله ؟ قالت نعم، قال أتوقنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت نعم، فقال رسول الله ﷺ أعتقها)[2]

وهذا الحديث يتوافق تماما مع غيره من الأحاديث التي تبين أن

---

[1] () مسلم: 1/381 (537.

[2] () الموطأ: [2/777] أحمد في مسنده [مسند أحمد 3/451] و مصنف عبد الرزاق [9/175] والمنتقى لابن الجارود [1/234(931)].

الهدف الأكبر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو الدعوة للتوحيد، فلم يرد في أي من النصوص لا القرآن ولا الحديث أن من أهداف دعوة الأنبياء الدعوة إلى أن الله في السماء.

وأما الرواية الثانية، فقد وردت بلفظ (من ربك)، وقد رواها أبو داود والنسائي والدارمي والإمام أحمد وابن حبان، ونصها: قلت: (يا رسول الله إن أمي أوصت أن نعتق عنها رقبة وعندي جارية سوداء قال ادع بها فجاءت، فقال: (من ربك ؟ قالت الله، قال: من أنا ؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة)[1]

وهذه الرواية كذلك تتفق مع غيرها من النصوص التي تبين أغراض الرسالة وهي التعريف بالله وبنبوة رسول الله ﷺ.. وليس فيها أبدا أن من أغراض الرسالة التعريف بجهة الله ولا مكانه.

ومن الأدلة على ذلك ما رواه البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[2]

ومنها ما رواه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمسَ صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)[3]

ومنها ما رواه في [باب كيف يعرض الإسلام على الصبي] من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال لابن صياد: (أتشهد أني رسول الله ؟)[4]

بالإضافة إلى ذلك كله، فإن إثبات أن قول الجارية ـ كما في الرواية التي يعتمدها السلفية ـ (في السماء) لا يدل على الإيمان، ذلك لأن بعض المشركين يعترفون بوجود الله وكذا النصارى واليهود ومع ذلك يشركون معه في الألوهية غيره كما ورد في

---

[1] () ابن حبان في صحيحه: 1/418(189)، والإمام أحمد في مسنده: 4/222 و388 و389، وأبو داود في سننه: ص 477 (3283)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: 2\322 (3283)

[2] () صحيح البخاري1/17(25)

[3] () صحيح البخاري 2/505(1331).

[4] () صحيح البخاري (6 / 171).

الحديث عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ لأبي يا حصين: كم تعبد اليوم إلهاً ؟ قال أبي: سبعة، ستةً في الأرض وواحداً في السماء. قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء)[1]

هذا نموذج عن الانتقائية التي يمارسها السلفية في التعامل مع النصوص المقدسة، فهم يستعملون كل الوسائل والحيل لتطويع النصوص لتصير وفق مقتضيات أهوائهم.

والعجيب أنهم في مثل هذه الأحاديث، والتي ترد بها الروايات المختلفة يعتبرونها مضطربة[2]، واضطرابها يسبب ضعف الاستدلال بها في الفروع فضلاً عن أصول العقيدة.

يقول المحدث الكبير عبد الله بن الصديق: (وقد تصرف الرواة في ألفاظه، فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ (من ربك ؟) قالت: الله ربي. وبلفظ (أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟) قالت: نعم، وقد أستوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ المذكور هنا مروي بالمعنى حسب فهم الراوي.. وبهذا ثبت ثبوتا لا شك فيه عندنا حسب قواعد المصطلح وتصريحات أهل الحديث في القديم والحديث اضطراب متن حديث الجارية بحيث لا يمكن التعويل على لفظ من ألفاظه، وأصح أسانيده كما رأيت بلفظ (أتشهدين أن لا إله إلا الله)، فإن كان هناك مجال للترجيح بين هذه الروايات فالرواية الراجحة بلا شك ولا ريب هي رواية (أتشهدين) لأنها الأصح إسنادا، ولأن المعهود من حال النبي ﷺ الثابت عنه بالتواتر أنه كان يأمر الناس ويختبر إيمانهم بالشهادتين فتكون رواية (أين الله) شاذة)[3]

هذا هو أقوى دليل يستدل به السلفيون على هذه المسألة الخطيرة، وقد رأينا مدى ضعفه، ومخالفته للأصول والقواعد العامة.. ولكنهم كما ذكرنا لا يبالون بضعف الدليل أو قوته..

---

[1] () سنن الترمذي5/519(3483).

[2] () قال الحافظ النووي في التقريب معرفا الحديث المضطرب: (المضطرب: هو الذي يروى على أوجه مختلفة متقاربة، فإن رجحت إحدى الروايتين بحفظ راويها أو كثرة صحبته المروي عنه أو غير ذلك فالحكم للراجحة، ولا يكون مضطربا والاضطراب يوجب ضعف الحديث لإشعاره بعدم الضبط ويقع في الاسناد تارة وفي المتن أخرى، وفيهما من راو أو جماعة)

وقال الحافظ ابن دقيق العيد في الاقتراح: (المضطرب: هو ما روي من وجوه مختلفة. وهو أحد أسباب التعليل عندهم، وموجبات الضعف للحديث)

[3] () التمهيد: (7 / 135).

فالدليل عندهم هو ما ذكره سلفهم،لا ما ذكره رسول اللــه ﷺ، ولا ما ذكره القرآن الكريم.. ولا ما دل عليه قبل ذلك العقل والفطـرة السليمة.

المكان:

لم يكتف السلفيون بإثبات الجهة لله غير مراعين لما يؤديه ذلك من محالات عقلية ومخالفات نصية.. بل راحوا يثبتون لله تعالى المكان المحدد المضبوط.. ثم راحوا يعتبرون ذلك من أصول العقائد.. ثم راحوا يكفرون كل جاحد لذلك.

وقد ألفوا في مكان الله كما ألفوا في جهته الكثير من الكتب والرسائل، ومنها كتاب [العرش وما ورد فيه] لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت297هـ)، ومنها ــ وهو أشهرها ــ [كتاب العرش] للذهبي (748هـ)، بالإضافة للرسالة العرشية لابن تيمية.

والمستند الوحيد الذي يستندون إليه في ذلك ــ بالإضافة للأحاديث التي تلقوها من كعب الأحبار وغيره من المجسمة ـ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: 5]، وما هو نظير لها.

وهم لذلك يصرحون بأن العرش هو مكان الله، وأنه ما خلقه إلا ليجلس عليه، وقد رووا في ذلك عن أبي رزين العقيلي قوله: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه، قال: (كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء)[1]

ورووا عن سلفهم سليمان التيمي أنه قال: (لو سألت أين الله، لقلت: في السماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء، لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء، لقلت: لا أعلم، قال أبو عبد الله وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: 255])[2]

وهم يفسرون الاستواء بالقعود والجلوس والتمكن، كما ألف في ذلك أحد أعلامهم الكبار أبو محمد محمود بن أبي القاسم بن بدران الآنمي الدشتي كتابه المعنون بـ [إِثْبَاتِ الْحَدِّ للـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ

---

[1] () رواه الترمذي في سننه، (5/288، حديث 3109)، وابن ماجه في سننه: (1/ـ 64)، والإمام أحمد في مسنده: (4/ 11ـ 12)، وابن أبي عاصم في السنة (1/ 271)، وابن جرير الطبري في تفسيره: (12/ـ 4)، قال الترمذي: حديث حسن، والحديث أورده الذهبي في العلو، وحسن إسناده..

[2] () خلق أفعال العباد: ص 127.

وَبِأَنَّهُ قَاعِدٌ وَجَالِسٌ عَلَى عَرْشِهِ]، وقد أورد ـ للبرهنة على ذلك ـ الروايات الكثيرة عن رسول الله ﷺ والسلف، ومنها ما رواه عنه ﷺ أنه قال: (يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي)[1]

ومنها ما رواه أن رسول الله ﷺ قال: (يأتوني حتى أمشي بين أيديهم، حتى نأتي باب الجنة، فأستفتح، فيؤذن لي، فأدخل على ربي فأجده قاعداً على كرسي العزة، فأخر له ساجداً) [2]

وفي رواية: (إذا كان يوم القيامة حشر الناس عراة حفاة غرلا، ثم يجلس الله على كرسيه، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب..)[3]

وقد ورد من الروايات أن الله تعالى ـ بحسب معتقد السلف ـ لا يظل جالسا فقط على عرشه، بل يستلقي أحيانا.. وهذا ما يدل على خصائص للعرش الذي يؤمن به السلفية، وهو إمكانية تحوله إلى سرير، وليس مجرد كرسي، كما ورد في الروايات التي يحدثون بها تسميته سريرا.

والرواية هي ما حدثوا به عن عبدالله بن حُنَيْنٍ قال: بينا أنا جالس إذ جاءني قتادة بن النعمان، فقال لي: انطلق بنا يا ابن حنين إلى أبي سعيد الخدري، فإني قد أخبرت أنه قد اشتكى. فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد، فوجدناه مستلقياً رافعاً رجله اليمنى على اليسرى، فسلمنا، وجلسنا. فرفع قتادة بن النعمان يده إلى رِجْلِ أبي سعيد فَقَرَصَهَا قَرْصَةً شديدةً فقال أبو سعيد: سبحان الله يا بن آدم! لقد أوجعني! فقال له: ذلك أردت. فقال: إن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل لما قضى خلقه استلقى فوضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا)، فقال أبو سعيد: لا جرم، والله لا أفعله أبداً [4].

وبناء على هذا، فقد عرفوا العرش بكونه سريرا، قال ابن كثير

---

[1] () رواه الطبراني في المعجم الكبير(2/84).

[2] () رواه الحافظ خشيش بن أصرم في كتاب الاستقامة والرد على أهل الأهواء، وعنه: الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص/104)، ورواه أحمد في المسند(3/116)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة(1/274)، وأبو أحمد العسال في كتاب المعرفة -كما في العلو للذهبي(ص/87-88) ـ قال الذهبي: إسناده قوي.

[3] () الإمام أحمد في مسنده(3/495)، والبخاري في خلق أفعال العباد(ص/59)، وفي الأدب المفرد(970)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني(4/79)، والروياني في مسنده(2/471)، والحاكم(4/574) وغيرهم، وفيه-واللفظ للروياني-

في تعريفه للعـرش: (هـو سـرير ذو قـوائم تحملـه الملائكـة، وهـو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات)[1]

وقـال الـذهبي- بعـد أن ذكـر سـرر أهـل الجنـة-: (فمـا الظن بـالعرش العظيم الـذي اتخـذه العلي العظيم لنفسـه في ارتفاعـه وسعته، وقوائمه وماهيته وحملته، والكروبيين الحـافين من حولـه، وحسنه ورونقه وقيمته: فقد ورد أنه من ياقوته حمراء)[2]

الصلت[3]:

مجدوا الله وهو للمجد أهل

ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق الن

اس وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا لا يناله بصر العي

[4]() التكملـة من المعجم الكبـير(19/13)، ورواه عنـه أبـو نعيم في معرفـة الصـحابة (رقم 5320)، وابن أبي عاصم في السنة(رقم458)، والبيهقي في الأسـماء والصـفات(رقم766)، وأبو نصر الغازي في جزء من الأمالي (77/1)

[1]() البداية والنهاية: 1/12.

[2]() العلو، ص57.

[3]() الاختلاف في اللفظ: ص. 24.

وهم لا يكتفون بأمثال تلك الروايات لتفسير الاستواء بالقعود والجلوس، بل يضيفون إليها أقوال المتأخرين من سلفهم الصالح، ومن ذلك ما رواه الخلال عن أبي بكر المروذي قال: سمعت عبدالوهاب يقول: الرحمن على العرش استوى قال: (قعد)[1]

ثم ساق النصوص التي تزكي عبد الوهاب، وتبين أهليته للكلام في العقائد الكبرى، فذكر أنه قيل للإمام أحمد بن حنبل: من نسأل بعدك؟ فقال: سل عبد الوهاب.. وذكر أن الإمام أحمد نفسه قال: عبدالوهاب أهل يُقْتَدَى به، عافا الله عبدَالوهاب، عبدُالوهابِ إمامٌ، وهو موضعٌ للفتيا.. وأنه قيل له: كلما أجاب عبدُالوهاب في شيء تقبله؟ قال: (سبحان الله! الناس يختلفون في الفقه، هو موضع).. وأنه قال: (عبدالوهاب إمام، وهو رجل صالح، مثلُهُ يُوَفَّقُ لإصابة الحق) [2]

وهم يعتبرون كل تفسير للاستواء بغير هذا المعنى بدعة وتجهما وكفرا.. وقد رووا عن خارجة قوله: (الجهمية كفار، بلغوا نساءهم أنهن طوالق، وأنهن لا يحللن لأزواجهن، لا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، ثم تلا: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: 5]، وهل يكون الاستواء إلا بجلوسٍ)[3]

ومع أنه ورد من النصوص عن السلف ما ينفي ما رووه إلا أن السلفية لا يعتبرون السلف سلفا إلا أذا أذعنوا لما يقوله سلفهم الأول كعب الأحبار وإخوانه الذين هم أعلم الناس بالعقائد.. فهم لا يعرفون القرآن فقط، بل يضمون إليه معرفتهم بالكتب السابقة أيضا.

يقول ابن تيمية في رفض ما ورد عن السلف مما يخالف هذا المعتقد: (وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف، أما في كثير من الصفات فقطعاً مثل أن الله فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم علم بالاضطرار أن القوم كانوا

---

[1] () انظر: بيان تلبيس الجهمية(1/435).

[2] () انظر: طبقات الحنابلة(1/211)

[3] () رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (رقم10)، ومن طريقه الخلال في السنة (رقم 1704)، وابن بطة في الإبانة(ص1224)

مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما قصدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك)[1]

وقال في موضع آخر: (وقد فسر الإمام أحمد النصوص التي نسميها متشابهات فبين معانيها آية آية، وحديثاً حديثاً ولم يتوقف فيها هو والأئمة قبله مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهباً لأهل السنة وهم أعرف بمذهب السلف، وإنما مذهب السلف إجراء معاني آيات الصفات على ظاهرها بإثبات الصفات له حقيقة، وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها)[2]

وهكذا كان موقفهم من الذين حملوا لفظ الاستواء على معناه اللغوي المعروف، والذي يدل عليه السياق، كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

وقال آخر:

هما استويا بفضلهما جميعاً   على عرش الملوك بغير زور

بل كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 29]، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11]

والاستواء هنا ــ كما يذكر الفخر الرازي ــ: (ثم استوى إلى السماء من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجها لا يلتفت معه إلى عمل آخر، وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج، ونظيره قولهم استقام إليه وامتد إليه، ومنه قوله تعالى: فاستقيموا إليه [فصلت: 6] والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها، من غير صرف يصرفه ذلك)[3]

لكن هذا التفسير لا يعجب السلفية، لأن اللغة عندهم هي اللغة الظاهرية فقط التي يفهمها العامي المشبه والمجسم.. لا اللغة التي يفهمها فصحاء العرب وبلغاؤها.

قال ابن عبد البر ــ دفاعا عن الرؤية التجسيمية السلفية ــ:

---

[1] () الفتوى الحموية (ص64)

[2] () مجموع الفتاوى (17/414)

[3] () مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (27/ 546).

(وأما ادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه أحد ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطبتها، مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه. قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿**اسْتَوَى**﴾ قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى: أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد"[1].

بعد هذا، فقد اجتهد محققو السلفية في توضيح كل ما يرتبط بالمكان الذي يوجد فيه العرش، وبناء على ذلك وضعوا خارطة كونية عجيبة، يمكن إرسالها للوكالات الفضائية العالمية لتؤسس من خلالها لعلم فلك أكثر تطورا.

وسأسوق هنا كلام ابن تيمية في تفصيل هذه الخارطة، وذلك في رسالته التي خصصها لهذا الغرض، والتي أجاب فيها على هذه التساؤلات: (ما تقول في العرش هل هو كرى أم لا؟ وإذا كان كرياً والله من ورائه محيط به بائن عنه، فما فائدة أن العبد يتوجه إلى الله تعالى حين دعائه وعبادته، فيقصد العلو دون غيره، ولا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو، وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي؟ ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، وقد فطرنا عليها) [2]

وقد أجاب ابن تيمية جوابا مفصلا طويلا نقتصر منه على هذا التحقيق البديع، قال: (لا يخلو إما أن يكون العرش كريا كالأفلاك، ويكون محيطاً بها، وإما أن يكون فوقها وليس هو كريا، فإن كان الأول، فمن المعلوم باتفاق من يعلم هذا أن الأفلاك مستديرة كرية الشكل، وأن الجهة العليا هي جهة المحيط، وهي المحدب،

---

[1] التمهيد (7/131)

[2] الرسالة العرشية (ص: 3)

وأن الجهـة السـفلى هـو المركـز، وليس للأفلاك إلاجهتـان: العلـو والسفل فقط، وأما الجهات السـت فهي للحيـوان، فـإن لـه سـت جوانب.. لكن جهة العلـو والسـفل للأفلاك لا تتغـير، فالمحيـط هـو العلو والمركز هو السـفل، مـع أن وجـه الأرض الـتي وضـعها اللـه للأنام، وأرساها بالجبال، هو الـذي عليـه النـاس والبهـائم والشـجر والنبات، والجبال والأنهار الجارية، فأما الناحيـة الأخـرى من الأرض فالبحر محيط بها، وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم، ولـو قدر أن هناك أحداً لكـان على ظهـر الأرض ولم يكن من في هـذه الجهـة تحت من في هـذه الجهـة، ولا من في هـذه تحت من في هذه، كمـا أن الأفلاك محيطـة بـالمركز، وليس أحـد جـانبي الفلـك تحت الآخر، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبى، ولا بـالعكس. وإن كان الشمالي هو الظـاهر لنـا فـوق الأرض وارتفاعـه بحسـب بعـد الناس عن خط الاستواء، فما كان بعـده عن خـط الاسـتواء ثلاثين درجة مثلاً كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة، وهو الذي يسمى عرض البلد، فكما أن جوانب الأرض المحيطة بهـا وجـوانب الفلـك المسـتديرة ليس بعضـها فـوق بعض ولا تحتـه، فكـذلك من يكـون على الأرض من الحيوان والنبات والأثقال لا يقال: إنه تحت أولئك، وإنما هذا خيال يتخيله الإنسان، وهو تحت إضـافي؛ كمـا لـو كـانت نملـة تمشـي تحت سـقف فالسـقف فوقهـا، وإن كـانت رجلاهـا تحاذيه، وكذلك من علـق منكوسـا فإنـه تحت السـماء، وإن كـانت رجلاه تلي السماء، وكذلك يتوهم الإنسان إذا كان في أحـد جـانبي الأرض، أو الفلك أن الجانب الآخر تحتـه، وهـذا أمـر لا يتنـازع فيـه اثنان، ممن يقـول: إن الأفلاك مسـتديرة.. وإذا كـان الأمـر كـذلك، فإذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقـات كـان هـو أعلاهـا، وسقفها وهو فوقها مطلقا، فلا يتوجه إليه، وإلى ما فوقـه الإنسـان إلا من العلـو، لا من جهاتـه الباقيـة أصـلا، ومن توجـه إلى الفلـك التاسع أو الثـامن أو غـيره من الأفلاك من غـير جهـة العلـو، كـان جاهلاً باتفاق العقلاء، فكيف بالتوجـه إلى العـرش أو إلى مـا فوقـه وغايـة مـا يقـدر أن يكـون كـرى الشـكل، واللـه تعـالى محيـط بالمخلوقـات كلهـا إحاطـة تليـق بجلالـه، فـإن السـموات السـبع والأرض في يده أصغر من الحمصة في يد أحدنا)[1]

إلى آخر أمثال هذه التفاصـيل الـتي يحـاول فيهـا ابن تيميـة أن يجمع بين جهة الله ومكانه، ولو على حساب كل مـا توصـلت إليـه

---

[1] () الرسالة العرشية (ص: 21) بتصرف.

المعارف البشرية في كل العلوم.. لأن عقيدة الجهة والمكــان هي الأصل الذي يضحى لأجله بكل شيء.

بالإضافة إلى ذلك يتفــق الســلفية على أن العــرش ينتهي على شكل قبة، كما قال ابن تيمية: (وأما العرش فإنه مقبب، لمــا روي في السنن لأبي داود عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول اللــه ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وجاع العيال،- وذكــر الحديث- إلى أن قال رسـول اللـه ﷺ: (إن اللـه على عرشـه، وإن عرشه على سمواته وأرضه، كهكذا)، وقال بأصابعه مثــل القبة[1].. وفي علـوه قولـه ﷺ: (إذا سـألتم اللـه فاسـألوه الفـردوس، فإنـه وسط الجنـة وأعلاهـا، وفوقـه عـرش الـرحمن، ومنـه تفجـر أنهـار الجنة)[2] .. فقد تبين بهذه الأحاديث أنه أعلى المخلوقات وسقفها، وأنه مقبب)[3]

هذا بالنسبة لوصفهم للعرش وسقفه أما أســفل العــرش، فهم يتفقون على أنه موضوع فوق بحر من المـاء، وأنـه يحملـه ملائكـة على أشكال حيوانية عجيبة.

ومن تلك الأحاديث التي رووها في الدلالـة على ذلـك مـا رووه عن العباس بن عبد المطلب قال: كنـا بالبطحـاء في عصـابة فيهم رسـول اللـه ﷺ، فمـرت سـحابة، فقـال: تـدرون مـا هـذه، قـالوا: سحاب، قال: والمزن، قـا لـوا: والمـزن، قـال: والعنـان، ثم قـال: تدرون كم بعد ما بين السماء والأراضين، قالوا: لا، قال: إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعين سـنة، ثم السـماء فـوق ذلـك، حـتى عـد سبع سموات، ثم فوق السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل مـا بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلـك كلـه ثمانيـة أملاك أوعـال، مـا بين أظلافهم إلى ركبهم مثــل مــا بين ســماء إلى ســماء،، ثم فــوق ظهورهم العرش بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سـماء إلى سـماء، والله تعالى فوق ذلك)[4]

وعلى الرغم من الغرابة الشديدة لهذا الحديث إلا أن ابن تيمية انتصـر لـه انتصـارا شـديدا، وممـا قالـه في الانتصـار لـه: (إن هـذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمــة في كتــاب التوحيــد الــذي

---

[1] () أبوداود (4726)

[2] () البخاري (4/19)

[3] () الفتاوى: (5/ 151)

[4] () رواه وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية: (5/ 93)، والدارمي في الرد على بشر المريسي: ص 448..

اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العـدل موصـولا إلى النـبي ﷺ، والإثبـات مقـدم على النفي، والبخـاري إنمـا نفى معرفة سـماعه من الأحنـف، ولم ينـف معرفـة النـاس بهـذا، فـإذا عرف غـيره كإمـام الأئمـة ابن خزيمـة مـا ثبت بـه الإسـناد، كـانت معرفته وإثباته مقدما على نفي غيره وعدم معرفته)[1]

بل انتصـر لـه كـل المعاصـرين يقـول ابن جـبرين: (فهـذا ومـا أشبهه مما أجمع السلف على نفله وقبوله ولم يتعرضـوا لـرده ولا تأوله ولا تشبيهه ولا تمثيله)[2]

ومع هذا، فقد نقلوا في روايات أخـرى أن حملـة العـرش كـانو بصور أخرى.. وهي (ملك في صورة رجل، وملك في صـورة ثـور، وملك في صورة أسـد، وملـك في صـورة نسـر)[3]، ورووا عن ابن الكواء أنه قال لعلي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين إن في كتاب الله لآية قد أفسـدت علي قلـبي، وشـككتني في ديـني، فقـال لـه أمير المؤمنين: (ويحك يابن الكواء، ومـا هـذه الآيـة الـتي أفسـدت عليك قلبك وشككتك في دينـك؟ فقـال لـه ابن الكـواء: قـول اللـه تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُـلٌّ قَـدْ عَلِمَ صَـلَاتَهُ وَتَسْـبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: 41]، ما هذه الصـلاة؟ ومـا هـذا الصـف؟ ومـا هذا التسبيح؟ فقال له أمير المؤمنين: يابن الكـواء إن اللـه تعـالى خلـق الملائكـة في صـور شـتى، وإن للـه ملكـا في صـورة ديـك أشـهب، براثنـه في الأرض السـفلى السـابعة، وعرفـه مثـنى تحت عرش الرحمن، له جنـاح بالمشـرق من نـار، وجنـاح بـالمغرب من ثلج، فإذا حضر وقت كل صلاة قام على براثنه، وأقـام عرفـه تحت العرش، ثم صـفق بجناحيـه كمـا تصـفق الديكـة في منـازلكم، فلا الـذي من النـار يـذيب الثلج، ولا الـذي من الثلج يطفئ الـذي من النار، ثم نـادى بـأعلى صـوته: لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـدا عبـده ورسـوله، سـبوح قـدوس رب الملائكـة والـروح، وأشـهد أن محمـدا خـير النبـيين، فتسـمعه الديكـة في منازلكم فتصفق بأجنحتها فتقول كنحو من قوله، فهو قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ

---

[1] () الفتاوى (3/192)، ومثله مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه، انظر: تهـذيب التهـذيب: (7/ 92، 93).

[2] () وهو عبد الله الجبرين في التعليقات على متن لمعة الاعتقاد 84

[3] () رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد: ص 198، والآجري في الشريعة: ص 494 ..

عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ [النور: 41])[1]

ورووا عن رسول الله قوله: (العرش على ملك من لؤلـؤة في صورة ديك رجلاه في التخوم السفلى وعنقه مثنيـة تحت العـرش، وجناحاه في المشرق والمغرب فإذا سبح الله ذلك الملـك لم يبـق شيء إلا سبح)[2]

ولم تكتف المدرسـة السـلفية بتلـك الجـرأة على الحـديث عن العوالم الـتي خلقهـا اللـه من خلال أمثـال تلـك الروايـات الغريبـة الممتلئـة بالتجسـيم والتشـبيه والخرافـة، بـل راحت تضـيف إلى العقائد الإسلامية عقيدة خطيرة، لا يوجد عليهـا دليـل لا من كتـاب ولا سنة ولا عقل.. وهي ما يسمونه [المكان العدمي]

وهو من الألفاظ العجيبة التي اخترعها ابن تيميـة، وتبعـه عليهـا أتباعـه من غـير وعي منهم للمحـالات العقليـة الـتي ترتبـط بهـا.. فكيف يكـون مكانـا، ثم يكـون معـدوما.. أو كيـف تكـون جهـة، ثم تكون معدومة؟

قال ابن تيمية: (وإن أريد بما يتوجه منه أو يتوجه إليه مـا يـراد بـالحيز الـذي هـو تقـدير المكـان فلا ريب أن هـذا عـدم محض)[3]، وقال: (بل يجب في سائر الـذوات المتحـيزة أن يكـون لكـل منهـا تحيز يخصه وهو قدره ونهايته التي تحيط به، ويلزمـه الحـيز الـذي هو تقدير المكان وهو عدمي)[4]

وقد تبعه على هذا القول كل أتباعه من السلفية غـير مـدركين لمعنى المقولة، يقول العثيمين: (كذلك أيضا: الجهة: هـل اللـه في جهة؟ نقول: أما اللفظ فإننا نتوقف فيه ومالنا ولـه، ولكن المعـنى نستفصل: ماذا تريد في جهة؟ إن أردت الله تعالى في جهة تحيط به إحاطة الظرف بالمظروف فهذا ممتنع وباطل، وإن أردت بذلك سفل ومخالطـة للمخلوقـات فهـذا أيضـا باطـل ممتنـع على اللـه، فليس اللـه تعـالى في جهـة السـفل، وليس في جهـة تحيـط بـه إحاطة الظرف بالمظروف، وإن أردت أنه في جهـة عليـا عدميـة لا تحيط به، ما ثم إلا هو عزو وجل فهذا حق)[5]

---

[1] () العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة (ص: 448)

[2] () أورده السـيوطي في الحبائـك: ص 59، و 68، وعـزاه إلى ابن مردويـه والـديلمي في مسند الفردوس.

[3] () تلبس الجهمية: 2/119.

[4] () تلبس الجهمية: 2/203.

[5] () شرح العقيدة السفارينية، ص 101.

ومثله قال محمد صديق خان القنوجي: (فـإن قـال القائـل: إن الله في جهة قيل له: ما تريد بـذلك؟ أتريـد أنـه سـبحانه في جهـة موجودة تحصره وتحيط به مثل أن يكون في جوف السـموات، أم تريد بالجهة أمرا عدميا وهو ما فوق العلم فإنـه ليس فـوق العـالم شيء من المخلوقـات، فـإن أردت الجهـة الوجوديـة، وجعلت اللـه محصورا في المخلوقات، فهـذا باطـل، وإن أردت الجهـة العدميـة وأردت أن الله وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق)[1]

ويقول ابن أبي العز: (وإن أريـد بالجهـة أمـر عـدمي، وهـو مـا فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل إنه في جهة بهـذا الاعتبار فهو صحيح)[2]

هذه هي الرؤية العقديـة للمدرسـة السـلفية المرتبطـة بالجهـة والمكان.. وقـد سـقنا أشـهر أدلتهم عليهـا، وهي ــ كمـا رأينـا ـ لا تسـتحق منهم كـل تلـك الأحكـام المتشـددة حـول المخـالفين لهم فيها.

---

[1] () قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص 52.

[2] () شرح العقيدة الطحاوية، ص221.

الحدود .. والمقادير

يرى أصحاب الرؤية التنزيهية ـ سواء كانوا من أهل البرهـان أو من أهل العرفان ـ أن الله تعـالى أعظم من أن تحـد عظمتـه بـأي لون من ألـوان الحـدود أو المقـادير.. ولـذلك لا يجـد العقـل أمـام المعارف الإلهية سوى الانبهار والتحير والعجز.. فهـو دائمـا يـردد ـ وهو في تلك الحالة من الشده والانبهار ـ (الله أكبر)

فالله أكبر من تصوراتنا وتعقلاتنا وتوهماتنا وأفكارنا وتأملاتنا..

والله أكبر من أن ينحصـر في حـيز محـدود، أو أمـد معـدود، أو مكان أو زمان.

والله أكبر من أن تجري عليـه القـوانين الـتي تجـري علينـا، أو تحكمه السنن التي تقيدنا.

والله أكبر في ذاته وصفاته وكل ما يرتبط به.

وليس لنا ـ نحن العبيد المشتاقين للتعرف على مولاهم ـ سوى أن نوسع قابلياتنا لتنهل من كمالات الله بقدر ما استطاعت.. وبمـا أن كمالات الله لا تنتهي .. فلذلك نظل في رحلة أبدية نتمتـع فيهـا برؤية الجمال الذي يكشف لنا منه كل حين معنى جديدا.

وفي تلك الرحلة يظل المؤمن يصيح بما قال الشاعر العارف:

ومع تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

ولهـذا كـان سـيد العـارفين رسـول اللـه ﷺ يقـول في دعائـه: (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سـميت بـه نفسـك، أو أنزلتـه في كتابـك أو علمتـه أحـدا من خلقـك، أو اسـتأثرت بـه في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حـزني وذهاب همي وغمي)[1]

فأسماء الله الحسنى فيض من فيوضات كمال اللـه.. وبمـا أن كمال الله لا حد له.. فأسماؤه لا نهاية لها.

وفي دعـاء آخـر يقـول ﷺ بشـوق روحي عظيم: (اللهم اعـوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتـك من عقوبتـك، وأعـوذ بـك منـك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)[2]

وقد حكى الغزالي من باب الإشـارة مـا فهمـه بعض العـارفين

---

[1] () رواه أحمد (1/391) (3712)، (1/452) (4318)

[2] () رواه أَحمد (1/ 96 و 18 أو 150)، وأبو داود (1427)، والنسائي (3/ 248 ـ 249)، وابن ماجه (1179)

من هذا الدعاء، فقال: (ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده: (أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)، أنه قيل له ﷺ اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فإن الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات، فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك)[1]

وهذه الإشارة العرفانية تدل على الحقيقة التي ذكرها القرآن الكريم بصيغ مختلفة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 42]، وقوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 50]

فالغاية من الخلق هي الرحلة إلى الله .. وهي رحلة لا تنتهي .. والحادي لها أشواق لا تنتهي، وحيرة لا تنتهي، كما عبر عن ذلك الشاعر العاشق، فقال:

زدني بفرط الحب فيك تحيُّرا   وارحم حشى بلظى هواك تسعَّرَا

وقد عبر العارفون على هذه الحقيقة الذوقية العظيمة، واعتبروها النهاية التي لا تنتهي، يقول أحدهم، وهو أبو نصر السراج الطوسي في كتابه (اللمع): (والحيرة بديهة ترد على قلوب العارفين عند تأملهم، وحضورهم، وتفكرهم، تحجبهم عن التأمل والفكرة)[2]

وقد سئل بعضهم عن المعرفة: ما هي؟ فأجاب: (التَحَيَّر، ثم الاتصال، ثم الافتقار، ثم الحَيَرةُ)

وقال قائلهم:

قد تحيَّرتُ فيك خذ بيدي   يا دليلاً لِمَنْ تحيَّر فيك

وهذا ليس كلام العارفين فقط.. بل هو كلام العقلاء والفلاسفة والمتكلمين، والذي عبر الغزالي في (المقصد الأسنى) عن رؤيتهم وفلسفتهم في هذا، فقال جوابا على التساؤل حول منهج التعرف على الله: (لمعرفة الله سبحانه وتعالى سبيلان: أحدهما قاصر، والآخر مسدود، أما القاصر فهو ذكر الأسماء والصفات وطريقة

---

[1] () إحياء علوم الدين (1/ 293)

[2] () اللمع، ص 421.

التشبيه بما عرفناه من أنفسنا، فإنا لما عرفنا أنفسنا قادرين عالمين أحياء متكلمين، ثم سمعنا ذلك في أوصاف الله عز وجل أو عرفناه بالدليل فهمناه فهما قاصرا.. لأن حياتنا وقدرتنا وعلمنا أبعد من حياة الله عز وجل وقدرته وعلمه، بل لا مناسبة بين البعيدين، وفائدة تعريف الله عز وجل بهذه الأوصاف أيضا إيهام وتشبيه ومشاركة في الاسم لكن يقطع التشبيه بأن يقال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: 11]، فهو حي لا كالأحياء، وقادر لا كالقادرين.. وكأنا إذا عرفنا أن الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف إلا أنفسنا ولم نعرفه إلا بأنفسنا إذ الأصم لا يتصور أن يفهم معنى قولنا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ ولا الأكمه يفهم معنى قولنا إنه بصير، ولذلك إذا قال القائل كيف يكون الله عز وجل عالما بالأشياء؟ فنقول: كما تعلم أنت الأشياء، فإذا قال: فكيف يكون قادرا؟ فنقول: كما تقدر أنت، فلا يمكنه أن يفهم شيئا إلا إذا كان فيه ما يناسبه، فيعلم أولا ما هو متصف به، ثم يعلم غيره بالمقايسة إليه، فإن كان لله عز وجل وصف وخاصية ليس فينا ما يناسبه ويشاركه في الاسم لم يتصور فهمه البتة، فما عرف أحد إلا نفسه، ثم قايس بين صفات الله تعالى وصفات نفسه، وتتعالى صفاته عن أن تشبه صفاتنا، فتكون هذه معرفة قاصرة يغلب عليها الإيهام والتشبيه، فينبغي أن تقترن بها المعرفة بنفي المشابهة وينفي أصل المناسبة مع المشاركة في الاسم)[1]

هذا هو السبيل الأول، وهو السبيل الوحيد المتاح.. والذي يرتبط بمدى قابلية العبد لتلقي المعارف الإلهية.. وأما (السبيل الثاني المسدود)، فقد عبر عنه الغزالي بقوله: (هو أن ينتظر العبد أن تحصل له الصفات الربوبية كلها حتى يصير ربا كما ينتظر الصبي أن يبلغ فيدرك تلك اللذة، وهذا السبيل مسدود ممتنع إذ يستحيل أن تحصل تلك الحقيقة لغير الله تعالى، وهذا هو سبيل المعرفة المحققة لا غير وهو مسدود قطعا إلا على الله تعالى) [2]

وبناء على هذا الكلام المنطقي ذكر الغزالي استحالة الحد على الله، فقال: (فإذا يستحيل أن يعرف الله تعالى بالحقيقة غير الله، بل أقول يستحيل أن يعرف النبي غير النبي، وأما من لا نبوة له فلا يعرف من النبوة إلا اسمها، وأنها خاصية موجودة لإنسان بها يفارق من ليس نبيا، ولكن لا يعرف ماهية تلك الخاصية إلا

---

[1] () المقصد الأسنى (ص: 53)

[2] () المقصد الأسنى (ص: 53)

بالتشبيه بصفات نفسه.. بل أزيد وأقول لا يعرف أحد حقيقة الموت وحقيقة الجنة والنار إلا بعد الموت ودخول الجنة أو النار لأن الجنة عبارة عن أسباب ملذة ولو فرضنا شخصا لم يدرك قط لذة لم يمكننا أصلا أن نفهمه الجنة تفهيما يرغبه في طلبها، والنار عبارة عن أسباب مؤلمة ولو فرضنا شخصا لم يقاس قط ألما لم يمكننا قط أن نفهمه النار فإذا قاساه فهمناه إياه بالتشبيه بأشد ما قاساه وهو ألم النار، وكذلك إذا أدرك شيئا من اللذات فغايتنا أن نفهمه الجنة بالتشبيه بأعظم ما ناله من اللذات وهي المطعم والمنكح والمنظر فإن كان في الجنة لذة مخالفة لهذه اللذات فلا سبيل إلى تفهيمه أصلا إلا بالتشبيه بهذه اللذات .. ولذات الجنة أبعد من كل لذة أدركناها في الدنيا .. بل العبارة الصحيحة عنها أنها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. فكيف يتعجب المتعجبون من قولنا: لم يحصل أهل الأرض والسماء معرفة من الله تعالى إلا على الصفات والأسماء ونحن نقول لم يحصلوا من الجنة إلا على الصفات والأسماء وكذلك في كل ما سمع الإنسان اسمه وصفته وما ذاقه وما أدركه ولا انتهى إليه ولا اتصف به)[1]

وبناء على هذا كانت نهاية المعرفة ــ كما يذكر أهل البرهان والعرفان ـ هو العجز عن المعرفة، كما قال أبو حامد ــ مستنتجا ذلك مما سبق ــ: (فإن قلت فماذا نهاية معرفة العارفين بالله تعالى؟ فنقول: نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة أنهم لا يعرفونه، وأنه لا يمكنهم البتة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله عز وجل، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا كما ذكرناه فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته)[2]

فهذه النهاية التي انتهى إليها العقلاء هي نفسها التي انتهى إليها العرفاء.. كما قال الشيخ عبد الكريم الجيلي ـ معبرا عنهم ـ: (العجز: هو نهاية أهل النهايات، وغاية الترقي إلى الغايات، ليس وراءه لكامل مرمى، ولا بعده لأكمل مرقى فيه، يقول سيد أهل هذا المقام: لا أحصي ثناء عليك ... فإن الكامل إذا تحقق بالحقائق الإلهية، وترقى في مقام الاستقراء بالحضرة العلمية تتجلى له

---

[1] المقصد الأسنى (ص: 54).

[2] المقصد الأسنى (ص: 54).

الذات الأقدسية بما هي عليه من الكمالات لا تتجلى إلا في تلك الحضرة الكنهية، ولا سبيل إلى بروزها من تلك الحضرة الغيبية إلى هذا العالم الوجودي العيني، لأن تلك الحضرة تسمى: بحضرة الحضرات وبمقام أو أدنى ... فلا سبيل إلى درك هذا العجز عن هذا الإدراك إلا بهذا الإدراك الإلهي في حضرة الحضرات، فلأجل هذا كان إدراك العجز إدراكاً محققاً)

وقال ابن عربي: (ثم تتوالى عليه [على الفرد من طائفة أهل الله] التجليات باختلاف أحكامها فيه .. فيزيد حيرة لكن فيها لذة .. فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النظار في معارضات الدلالات، فقوله: زدني فيك تحيراً طلب لتوالي التجليات عليه، فمن وصل إلى الحيرة ... فقد وصل)[1]

ورد على من اعتبر الحيرة ضلالا، فقال: (الهدى هو أن يهتدي الإنسان إلى الحيرة، فيعلم أن الأمر حيرة، والحيرة قلق وحركة، والحركة حياة، فلا سكون، فلا موت، ووجود فلا عدم)[2]

هذه خلاصة النظرة العقلانية والعرفانية للمعرفة التنزيهية .. فلذلك تقوم على التعظيم والتنزيه .. أو على التسبيح والثناء .. فهي دائما في ارتقاء وسفر بهذين الجناحين في العوالم التي لا تنتهي..

وقد أشار الأئمة من أهل البيت إلى هذا المعنى في روايات كثيرة، ومنها ما روي عن الإمام علي من قوله: (ليس له [سبحانه وتعالى] حدّ ينتهي إلى حدّه) [3] ، وقال: (من زعم أنّ إله الخلق محدود فقد جهل الخالق المعبود) [4]، وقال: (من حدّه [تعالى] فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله) [5]

وروي أن بعض الناس طلب من الإمام علي بن موسى الرضا أن يحدّ الله تعالى له، فقال له الإمام: لا حدّ له. قال الرجل: ولم؟ قال الإمام: لأنّ كلّ محدود متناه إلى حدّ . وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة. وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان. فهو غير محدود ولا متزايد ولا متناقص ولا متجزّء) [6]

---

[1] () الفتوحات المكية (1/ 305)

[2] () الفتوحات المكية (1/ 305)

[3] () التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 2، ح 1، ص 35.

[4] () المصدر السابق، ح 34، ص 77.

[5] () نهج البلاغة، الشريف الرضي: قسم الخطب، خطبة 152، ص 278 ـ 279

[6] () التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 36، ح 3، ص 246

وهــذه النظــرة الــتي اتفــق عليهــا جميــع المنزهــة بمختلــف مناهجهم، هي النظرة التي يؤيدها العلم في كل أزمانه ومجالاتـه.. وخاصة العلم الحديث.. فهو يعيش في كل لحظة في حالــة انبهــار وحيرة من تلك العجائب التي يكتشفها كل حين .. والتي تبرهن لـه على أن صانع هذا العالم ومهندسـه أكـبر من أن يحـد في حـيز، أو يكون في مكان، أو يجـري عليـه زمـان.. لأن من أمهـات الحقـائق في الفيزيــاء الحديثــة أن المكــان والزمــان كلاهمــا مخلوقــان .. ويستحيل على المخلوق أن يتحكم في الخالق.

أما النظرة التجسيمية التي تبنتها المدرسـة السـلفية ــ وحـدها من دون الأمة جميعا ــ فتسـير في اتجـاه مختلـف تمامـا.. ولـذلك نظــرت بعين الريبــة لجميــع العقلاء والعرفــاء والعلمــاء.. واتهمت الكل بالجنون والكفر والهرطقة والزندقة.

وهذه النظرة التجسيمية تنطلق من تحديد اللـه، وتنتهي بوضـع المقادير المرتبطة بطوله وحجمه وكتلته.. وكل مـا يتعلـق بـه.. ثم تضـع لـه خارطـة كونيـة تخـالف كـل خرائـط الـدنيا لتتناسـب مـع المقادير التي رواها لهم كعب الأحبار ووهب بن المنبه ومن تتلمــذ عليهم.

وحتى لا نكون متجنين عليهم، فإننا سننقل كلماتهم، ومن خلال مصــادرهم، بــل من خلال مصــادر من يعتــبرونهم، ويثقــون فيهم، وأولهم من يعتبرونه الشيخ الوحيد للإسلام: ابن تيمية.

فقد نقل ابن تيمية الكثير من النصوص في كتابه [بيـان تلـبيس الجهمية في تأسـيس بـدعهم الكلاميـة] الـتي تـدل على أن إثبـاب الحد لله من العقائـد الأساسـية الـتي يقتضـيها الإيمـان، ومن تلـك النقول ما نقله عن الدارمي ـ مقرا له ـ في كتابه (نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افـترى على اللـه تعـالى في التوحيد) قال فيه: (باب الحد والعرش: وادعى المعارض أيضًـا أنه ليس له حد ولا غاية ولا نهاية، قال: وهذا الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته واشتق منه أغلوطاته، وهي كلمة لم يبلغنـا أنـه سبق جهمًا إليها أحدٌ من العالمين، فقال له قائل ممن يحاوره: قد علمت مــرادك أيهــا الأعجمي، تعـني أن اللـه تعـالى لاشــيء، لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شيء يقع عليـه اسـم الشـيء إلا ولـه حـد وغايـة وصـفة، وأن لاشـيء ليس لـه حـد ولا غايـة ولا صـفة، فالشيء أبدًا موصوف لامحالة، ولا شيء يوصـف بلا حـد ولا غايـة،

وقولك لا حد له تعني أنه لا شيء)[1]

وهكذا نقل عن الخلال وعن أبي يعلى وغيرهم ممن يسميهم أهل السنة [2] النقول الكثيرة التي تنص على أن من ضروريات المعرفة الإلهية إثبات الحد لله، ومن تلك الروايات ما رواه الخلال عن محمد بن إبراهيم القيسي، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك -وقيل له: كيف نعرف ربنا؟- قال: في السماء السابعة على عرشه بحد. فقال أحمد: هكذا هو عندنا[3].

ومنها ما رروه عن حرب بن إسماعيل قال: قلت لإسحاق بن راهويه: هو على العرش بحد؟ قال: نعم بحد.

ومنها ما رووه عن ابن المبارك أنه قال: (هو على عرشه بائن من خلقه بحد)[4]

وقد علق ابن تيمية على هذه الروايات بقوله: (ولما كان الجهمية يقولون ما مضمونه إن الخالق لا يتميز عن الخلق فيجحدون صفاته التي تميز بها، ويجحدون قَدْرَهُ؛ حتى يقول المعتزلة إذا عرفوا أنه حي، عالم، قدير: قد عرفنا حقيقته وماهيته، ويقولون إنه لا يباين غيره. بل إما أن يصفوه بصفة المعدوم؛ فيقولوا: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا كذا ولا كذا. أو يجعلوه حالاً في المخلوقات أو وجوده وجود المخلوقات، فبين ابن المبارك أن الرب سبحانه وتعالى على عرشه مباين لخلقه منفصل عنه، وذكر الحد. لأن الجهمية كانوا يقولون ليس له حد، وما لا حد له لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم لأن ذلك مستلزم للحد)[5]

وبناء على هذا الذي ذكره ابن تيمية وغيره من السلف، فإن البناء المعرفي عند السلفية في هذا الجانب ينطلق من اعتقاد تحديد الله.. ولهذا أولوا هذا الأمر أهمية كبرى، واعتبروه من أصول العقائد التي تفرق بين السني والبدعي، بل بين المؤمن والكافر.. فالمؤمن عندهم والسني هو الذي يقول بمحدودية الله .. والكافر والبدعي هو من يقول بعدم محدوديته.

---

[1]() بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 605)

[2]() بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 612).

[3]() القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات (ق151/ب)، وأورده ابن تيمية في نقض تأسيس الجهمية (1/428)

[4]() نقض تأسيس الجهمية (2/34).

[5]() نقض تأسيس الجهمية (1/442-443).

ومن الكتب المؤلفة في هذا ما كتبه الحافظ محمود الدشتي بعنوان [إثبات الحد لله عز وجل وبأنه قاعد وجالس على عرشه]، والذي لقي العناية الكبيرة من السلفية الحديثة تحقيقا وطبعا ونشرا.

بعد هذا، فإن القول بالتحديد يقتضي البحث عن المقادير المرتبطة بالطول والحجم والكتلة ونحو ذلك.. ومع صعوبة هذا الأمر سنحاول هنا أن نذكر ما قالوه في أمثال هذه المسائل، وما رووه من روايات حولها.

وقد رأينا ـ من خلال استقراء ما ذكروه وما رووه ـ أن لجسم إلههم تقديرين مختلفين، بل متناقضين تماما: أحدهما كبير جدا.. والآخر صغير جدا.. وبينهما تقديرات أخرى..

وهذا مع غرابته إلا أنه الواقع .. فالتناقض الذي تعاملوا به مع النصوص المقدسة أو رثهم التناقض في كل المعارف التي اعتبروها حكرا لهم.

وسيرى القارئ الكريم ـ من خلال ما سنذكره من مقولاتهم ورواياتهم ـ أن كل الحسابات الرياضية والهندسية تتوقف، إلا إذا قال أصحاب هذه المدرسة بجواز التشكل على الله تعالى، وحينئذ سيلتزمون بالتزامات خطيرة تتناقض مع كل شيء، لأنهم حينها سيقولون بتعدد الآلهة، أو بتعدد الأقانيم.. أو بالأشكال المختلفة للإله.. وحينها ستسقط كل تلك الصيحات التي يصيحون بها في الحكم على الأمة بالشرك، لأنهم سيكتشفون أنهم لا يختلفون عن مشركي قريش وغيرهم إلا في شيء واحد، وهو أن آلهة قريش كانت في الأرض، وإلههم في السماء.

المقادير الكبرى:

ومشكلة هذا النوع من المقادير أنه يلغي كل ما أورده أعلام المدرسة السلفية من معارف تتعلق بالرؤية وبسكن الله مع المؤمنين في الجنة، وبالدنو والمماسة وغيرها، لأن الحسابات الرياضية تمنع كل ذلك.

وسنذكر هنا بعض مقولاتهم في هذا الجانب ونقارنها بما يقوله العلم الحديث لنرى حقيقة عظمة الله في تصوراتهم.. ونرى قبل ذلك وبعده سر نفورهم من العلم، وخاصة علم الفلك الذي فضح كل منظومتهم الفكرية والعقدية.

وقد رأينا من خلال استقراء ما ذكروه من مقادير في هذا

الجانب أنها تشمل ناحيتين: الحجم، والكتلة.

الحجم:

تجتهد المدرسة السلفية عند بيانها لعظمة الله تعالى في أن تصور عظمة الله تعالى الحسية، أو عظمة ذاته الجسمية من خلال تفسيرها الخاطئ لبعض النصوص المقدسة، وتورد لأجل ذلك معاني تتصورها عظيمة، بينما هي لا تساوي شيئا وفق ما دل عليه العلم الحديث.

لذلك فإن العظمة التي يطرحونها قد يصلح ذكرها لبدوي لم يعرف ما يقوله العلم، وليس له القدرة على التأمل العقلي .. أما أن يصلح مع أصحاب العقول السليمة، وخاصة من غذي منها بالمعارف والعلوم فإنه يستحيل عليه أن يقبل ذلك.. ولهذا نرى المدرسة السلفية تميل إلى العوام أكثر من ميلها للعلماء، وتميل إلى أصحاب العقول المنغلقة أكثر من ميلها لأصحاب العقول المنفتحة.

وكمثال على ذلك هذا الحديث الذي يوردونه في كل محل لبيان عظمة الله، وهو ما يروونه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]

فمع أن الآية واضحة في أن قدر الله لا يمكن أن يحاط بها.. ولذلك ضرب الله مثلا لذلك بأن كل شيء في قبضته، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو تعبير نستعمله في حياتنا العادية عندما نقول: الأمور في قبضتنا، أو تحت سيطرتنا.. ونحو ذلك.

لكن المدرسة السلفية تفهم من النص غير ذلك تماما، فتورد لذلك حادثة قد تكون صحيحة ثابتة، ولكنها تسيء فهمها إساءة بليغة.. وسنورد الحادثة، ثم نبين كيف فهمتها المدرسة السلفية، وكيف فهمها المنزهة من المتكلمين وغيرهم.. ثم نعرضها بعد ذلك على العلم الحديث ليحكم بينهما.

والحادثة رواها عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد: إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع.

فيقول: (أنا الملك)، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67][1]

والحادثة لا حرج في قبولها، لأن الكلام الوارد فيها كلام يهودي، وهو ممتلئ ـ كعادة اليهود ـ بالتجسيم، لكن الخلاف بين المنزهة والمجسمة في تفسير ضحك رسول الله ﷺ، وتفسير قراءة رسول الله ﷺ للآية.. فالمنزهة يرون أن ضحك رسول الله ﷺ كان لخفة عقول اليهود، ولعدم تقديرهم لله حق قدره.. ولذلك ورد في أول الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

يقول الفخر الرازي تعليقا على الرواية ـ نقلا عن الزمخشري صاحب (الكشاف) ـ: (وإنما ضحك أفصح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول كل شيء وآخره على الزبدة والخلاصة، التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام ولا تكتنهها الأذهان هينة عليه)[2]

لكن المدرسة السلفية لم تفهم ضحك رسول الله ﷺ بهذا المعنى، بل فهمت منه أن رسول الله ﷺ أقر اليهودي، وأعجب بكلماته، وربما يصورون أنه ﷺ استفاد منها معرفة جديدة بالله.. ولذلك نراهم يرددون هذا الحديث في كل محل.

وعند عرض هذا الحديث على العلم الحديث يتبين لنا مدى ضحالة ما طرحه اليهودي من معان تجسيمية.. فقد ذكر أن الله تعالى (وضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع)، انطلاقا من أن السموات في حجمها ـ في تصوره ـ تساوي الأرض، ولذلك وضعت السموات جميعا بنجومها ومجراتها في أصبع، والأرض في أصبع أخرى.. وكأنها تساويها في الحجم أو الكتلة ..

وهذا خلاف الحقائق العلمية التي تنص على أن الأرض لا تساوي شيئا أمام هذا الكون الواسع.. وسننقل هنا بعض ما ذكره

---

[1] () صحيح البخاري برقم (7414، 7415، 7451) والمسند (1/429) و2صحيح مسلم برقم (2786) وسنن الترمذي برقم (3238) والنسائي في السنن الكبرى برقم (11451).

[2] () مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (27/ 473).

العلم الحديث في هذا الجانب، لـنرى سـقم تلـك التصـورات الـتي تسربت إلى العقيدة الإسلامية..

فقد نص العلم الحـديث في حقائقـه القطعية[1] على أنـه يـدور حول الشمس ثمانية كواكب، بعضها ما هو أصغر من أرضنا وبعضه ما يفوق حجم أرضنا بأضعاف مضاعفة، فإذا علمنا أن قطر كوكب الأرض هو 12742 كم، فإن قطر كـوكب المشـتري أكـبر كـواكب المجموعة الشمسية هـو 139822 كم.. أي أن كـوكب المشـتري يتسع إلى 1300 أرض مثل أرضنا. أما الشمس، فـإن قطرهـا هـو 1.39 مليـون كم، وهي تتسـع إلى مليـون و300 ألـف أرض من أرضنا.

أما شمسنا العملاقة هذه، فهي مقارنة بغيرها من النجوم فهي ليست عملاقة، بل هي قزم مقارنـة بالعديـد من النجـوم الأخـرى، فنجمة الشعرى اليمانية مثلاً، وهي ألمع نجوم السماء وقـد عبـدها البعض في الزمن الغابر بسبب شدة لمعانها وأقسـم بهـا سـبحانه وتعالى، حيث قال تعالى عنهـا: ﴿وَأَنَّهُ هُـوَ رَبُّ الشِّـعْرَى ﴾ [النجم: 49]، فإن حجمها أكـبر من شمسـنا بخمس مـرات. أمـا نجم قلب العقرب، وهو من ألمع نجوم السماء ويمكن رؤيته بالعين المجردة بسهولة فإن قطـره يبلـغ حـوالي 1000 مليـون كم، أمّـا من حيث الحجم، فهو أكبر من الشمس بحوالي 512 مليون مرّة. ولو وضـع نجم قلب العقـرب مكـان شمسـنا لابتلـع مـدار عطـارد والزهـرة والأرض والمريخ ولوصل سطحه الخارجي إلى ما بين مدار المريخ والمشتري.

وانطلاقا ممـا سـبق يتـبين أن نجمنـا الشـمس عبـارة عن نجم متواضع مقارنة بغيره من النجوم، وما سبب لمعانه الشديد هذا إلا لأنّـه أقـرب النجـوم إلى الأرض. وجميـع النجـوم الـتي نراهـا في السماء ليلا تقع في مجرتنا درب التبانة، ويقدر العلمـاء أن مجرتنـا تحتوي ما بين 200 و500 مليار نجم، أحـدها هـو الشـمس. أي أن هناك عدداً هائلاً من الشـموس في مجرتنـا درب التبانـة. ومجرتنـا درب التبانـة عبـارة عن شـيء عظيم وواسـع. حيث يبلـغ قطرهـا حوالي 100 ألف سنة ضوئية. أي أنّ الضوء بسرعته الهائلـة الـتي تبلغ 300 ألف كيلومتر في الثانية يحتاج إلى 100 ألف سـنة حـتى يقطع مجرتنا من طـرف إلى طـرف مقابـل. وبلغـة الأرقـام الـتي

---

[1] () الكون الواسع.. حقائق فلكية، المهندس محمـد شـوكت عـوده، مجلـة البلاغ، بتـاريخ: 2012/01/13 على الرابط: [http://www.balagh.com/pages/tex.php?tid=274].

نعرفها فإنّ هذا يعني أن قطـر مجرتنـا يسـاوي حـوالي 950 ألـف مليوم مليون كم، أي قرابة مليوم مليون مليون كم.

لكن... مجرتنا ليست الوحيدة في هـذا الكـون. فيقـدر العلمـاء وجود ما بين 100 و200 مليار مجرة أخرى في الكون. ومما يثـير الدهشة أن عدد النجوم في مجرات أخـرى أكـبر من عـدد النجـوم في مجرتنا، فمجرة المرأة المسلسلة التي يمكن إعتبارهـا أقـرب مجـرة إلى مجرتنـا تحتـوي نحـو مليـون مليـون نجم. أي خمسـة أضعاف مجرتنا على أقل تقدير. أمّا أكبر مجرة مكتشفة حتى الآن فيقدر عدد نجومها بـ100 مليون مليون نجم. ومعدل هذه الأرقـام يعني أن عدد النجوم في كوننا المـرئي يسـاوي واحـداً بجانبـه 24 صفراً. أي 1000000000000000000000000 نجم.

فـأين هـذه الأعـداد جميعـا أمـام ذلـك التصـور الـذي نطـق بـه اليهودي، وضحك عليه رسـول اللـه ﷺ.. وبين القـرآن الكـريم أنـه تصور تافه وحقير..

لكن السلفيين ـ ولغرامهم باليهود ـ آثـروا مـا ذكـره اليهـودي، واعتـبروه عقيـدة، وخـالفوا بـذلك العقـل والنقـل.. وكـل حقـائق الوجود.

بل أضافوا إلى تلك الروايـة روايـات أخـرى رفعوهـا إلى النـبي ﷺ، وفسروا بها القرآن الكريم.. وراحـوا من خلالهـا يتبـاهون على خصومهم من المنزهة، بأنهم أكثر تعظيما لله.

فمن الروايات التي أوردوهـا مـا رواه أبـو الشـيخ في العظمـة يرفعه إلى رسول الله ﷺ: (يطوي الله عز وجل السـموات السـبع بما فيهن من الخلائق والأرضين بما فيهن من الخلائـق يطـوي كـل ذلك بيمينه فلا ُيرى من عند الإبهام شيء ولا يرى من عند الخنصر شيء فيكون ذلك كله في كفه بمنزلة خردلة)[1]

ومنها ما ذكره ابن تيمية في (الرسـالة العرشـية)، حيث قـال: (والحديث مـروي فى الصـحيح والمسـانيد وغيرهـا بألفـاظ يصـدق بعضها بعضا وفى بعض ألفاظه قال: قرأ ﷺ على المنبر: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ ﴾ [الزمـر: 67]، ثم قـال: (مطويـة فى كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة).. وفى لفـظ (يأخـذ الجبـار سمواته وأرضه بيـده فيجعلهـا فى كفـه ثم يقـول بهمـا هكـذا كمـا تقول الصبيان بالكرة: أنـا اللـه الواحـد)، وقـال ابن عبـاس: يقبض

[1] () العظمة 2/445(136)

الله عليهما، فما ترى طرفاهما بيده)[1]

وقال: (وفي لفظ قال: رأيت رسول اللـه ﷺ على المنـبر وهـو يقول: (يأخذ الجبـار سـمواته وأرضـه، وقبض بيـده وجعـل يقبضـها ويبسطها ويقول: أنا الرحمن، أنا الملك، أنا القـدوس، أنـا السـلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا، أنـا الـذي أعـدتها، أين المتكـبرون؟ أين الجبارون؟)[2]

والعجب أنهم – بمـا يروونـه من خرافـات وأسـاطير – صـاروا يعتقدون أن الأرض تساوي السماوات في ضخامتها، ولهذا تجـدهم يصـححون الروايـات الـتي تصـور أن اللـه يضـع الأرض في يـد والسموات بما فيها من نجوم وكواكب وغيرها في يـد أخـرى، لقـد قال ابن القيم يشرح ذلك، أو يصوره: (إذا كانت السـموات السـبع في يده كالخردلة في يد أحدنا، والأرضون السبع في يـده الأخـرى كذلك فكيف يقدره حق قدره من أنكر أن يكون له يدان فضلاً عن أن يقبض بهما شـيئاً، فلا يـد عنـد المعطلـة ولا قبض في الحقيقـة وإنما ذلك مجاز لا حقيقة لـه، وللجهميـة والمعطلـة من هـذا الـذم أوفر نصيب)[3]

هذا مثال عن تصور السلفيين لعظمـة اللـه .. والمثـال الثـاني، وهم أيضـا يكـثرون من ذكـره عنـد حـديثهم عن العظمـة الحسـية الجسمية لله، وهي حديثهم عن عظمة العـرش.. وهـو ــ وإن كـان قـد يكـون صـحيحا في بعض دلالاتـه ــ لكن مشـكلتهم هـو أنهم يربطونه بالله، لا من زاوية قدرته على الخلـق والإبـداع، وإنمـا من زاوية عظمة ذات الله، أو جسم الله تعالى الله عما يقولـون علـوا عظيما.

ذلك أنهم يتحدثون عن عظمة العرش، باعتباره محلا للجلوس، وبقدر الجالس يكون الكرسي، وبقدر الراكب يكون المركب.. ولها نراهم يبالغون في وصف عظمة العرش.. ليبينوا من خلاله عظمـة حجم الـذي يقعـد عليـه، ولكنهم لا يعلمـون أن تلـك الأرقـام الـتي يوردونها لا تساوي شيئا أمام ما اكتشفه العلم الحديث من عظمـة الكون.

وسـنورد هنـا روايـاتهم في ذلـك، والحسـابات الـتي ذكروهـا،

---

[1] () الرسالة العرشية (ص: 18)

[2] () الرسالة العرشية (ص: 17)

[3] () الصواعق المرسلة 4/1364

واعتمدوها، ثم نقارنها بما يقوله العلم الذي يبغضـونه بشـدة [علم الفلك الحديث]

وأول رواية يرفعونها للنبي ﷺ هي ما رووه عن أبي ذر الغفاري قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلسـت إليه، فقلت: يا رسول الله أيما آية أنزلت عليك أفضل؟ قـال: (آيـة الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بـأرض فلاة، وفضل العـرش على الكرسـي كفضـل تلـك الفلاة على تلـك الحلقة)[1]

وهم يؤكدون ـ كعادتهم ـ مـا يروونـه عن النـبي ﷺ بمـا يروونـه عن سلفهم إما من باب التأكيد المجرد، أو لزياد الفائدة:

ومن باب التأكيد المجرد، ما رووه عن مجاهـد من قولـه: (مـا السموات والأرض في العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة)[2].

ومن من بـاب زيـادة الفائـدة مـا رووه عن وهب بن منبـه من قوله: (العرش مسيرة خمسين ألف سنة)[3]

ورووا عن ابن مســعود تحديــدا أكــثر دقــة للمســافة يمكن للفلكيين المعاصرين الاستفادة منـه للوصـول إلى محـل العـرش، فقد رووا عنه قوله: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عـام، وبين السـماء السـابعة والكرسـي خمسمائة عام، وبين الكرسـي والمـاء خمسـمائة عـام، والعـرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)[4]

وقد فرحت المدرسـة السـلفية سـلفها وخلفهـا بهـذه الروايـة، حيث صححها ابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية)[5]، ومثلــه الذهبي ـ مع تشدده في التصحيح ـ في (العلو)[6]

أما موقـف المعاصـرين، فقـد قـال الشـيخ ابن عـثيمين: (هـذا الحديث موقوف على ابن مسعود، لكنه من الأشياء التي لا مجــال للـرأي فيهـا، فيكـون لهـا حكم الرفـع، لأن ابن مسـعود لم يُعـرف

[1] () رواه نعيم في الحليـة: (1/ـ 166)، والـبيهقي في الأسـماء والصـفات: ص 511، قـال الألباني في (الصحيحة): رقم 109: (وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح)

[2] () عبد الله بن الإمام أحمد في السنة: ص 71، الدارمي في الرد على بشر المريسي: ص 74.

[3] () أورده الذهبي في العلو: ص 61، وأورده ابن كثير في البداية: (1/ 11)

[4] () رواه ابن خزيمة في التوحيد (ص 105)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص 401).

[5] () اجتماع الجيوش الإسلامية (ص 100).

[6] () العلو (ص 64).

بالأخذ من الإسرائيليات)[1]

وقد اعتنى بها كذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي استنبط منها فوائد كثيرة منها (.. التاسعة: عِظَم الكرسي بالنسبة إلى السماء .. العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي .. الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء)[2]

ولكن المشكلة هي أن هؤلاء الذين اعتنوا برواية مسعود في تحديد المسافات هم أنفسهم الذين صححوا حديثا مرفوعا للنبي ﷺ يعطي مسافات أخرى، فقد رووا أن رسول الله ﷺ قال: (تدرون كم بعد ما بين السماء والأراضين، قالوا: لا، قال: إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعين سنة، ثم السماء فوق ذلك، حتى عد سبع سموات، ثم فوق السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك كله ثمانية أملاك أوعال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء،، ثم فوق ظهورهم العرش بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، والله تعالى فوق ذلك)[3]

وقد صحح ابن تيمية هذا الحديث، وقال: (إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولا إلى النبي ﷺ، والإثبات مقدم على النفي)[4]

ومثله ابن جبرين الذي قال: (فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف على نفله وقبوله ولم يتعرضوا لرده ولا تأوله ولا تشبيهه ولا تمثيله)[5]

ولكن الإشكال الذي يعرض لنا من ناحية الاختلاف في الحساب بين الروايتين، حله ابن القيم بطريقة مبسطة تنفي الإشكالات والتناقضات بين الروايات فقال: (..فإن المسافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها، فسير البريد

---

[1] () القول المفيد شرح كتاب التوحيد (3 / 379).

[2] () شرح كتاب التوحيد (ص 667، 668) ..

[3] () رواه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية: (1/ 69)، والإمام أحمد في مسنده: (1/ـ 257)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية: (5/ـ 93)، والدارمي في الرد على بشر المريسي: ص 448، والآجري في الشريعة: ص 292، واللالكائي في السنة: (3/ 390)

[4] () الفتاوى (3/192)، ومثله مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه، انظر: تهذيب التهذيب: (7/ 92، 93).

[5] () وهو عبد الله الجبرين في التعليقات على متن لمعة الاعتقاد 84

مثلاً يقطع بقدر سير ركاب الإبل سبع مرات، وهذا معلـوم بـالواقع فما تسيره الإبل سيراً قاصداً في عشرين يوماً يقطعـه البريـد في ثلاثة فحيث قدر النـبي ﷺ بالسـبعين أراد بـه السـير السـريع سـير البريد وحيث قدر بالخمسمائة أراد به السـير الـذي يعرفونـه سـير الإبل والركاب، فكل منهما يصدق الآخر ويشهد بصحته)[1]

وبناء على هـذا يمكن للرياضـيين أن يعتمـدوا المسـافة الأبعـد، ليصـلوا إلى التحديـد الـدقيق وفـق الوحـدات الـتي نسـتعملها في عصرنا الحاضر، وخاصة في علم الفلك الذي استغنى عن مســيرة الإنسان ومسيرة الراحلة بمسيرة الضوء..

والحسابات الفلكية الدقيقة تذكر أن المسافة بيننـا وبين جارنـا القريب القمر تبعد 384 ألف كم، ويحتـاج الضـوء إلى ثانيـة وثلث الثانية فقط ليقطع كل هذه المسافة من القمر إلى الأرض.

أمّا الشمس التي تبعد عنا حوالي 150 مليون كم تقريباً، فـإنّ الضوء يحتاج إلى 8.3 دقيقة ليصل منها إلى الأرض.

أمّا أقرب النجوم إلينا بعد الشمس وهي نجمة ألفـا قنطـورس فإنّهـا تبعـد عنـا 4.22 سـنة ضـوئية، وحيث إنّ السـنة الضـوئية (المسـافة الـتي يقطعهـا الضـوء في سـنة) تسـاوي 9.46 مليـوم مليون كم. فهذا يعني أن أقرب النجوم إلينا بعد الشمس تبعد عنـا نحو 40 مليون مليون كم.

أمّا النجم القطبي الذي لطالما اسـتخدمه النـاس للإهتـداء عن الجهات، فإنّه يبعد عنا 433 سنة ضوئية، أي أنّ الضـوء يحتـاج إلى 433 سنة حتى يصل إلينا منـه، وهـذا يسـاوي نحـو 4 آلاف مليـوم مليون كم.

أمّـا أقـرب مجـرة إلينـا وهي المـرأة المسلسـلة والـتي يمكن رؤيتها بـالعين المجـردة من مكـان مظلم كبقعـة غبشـاء بحجم أي نجمة أخرى تقريباً فإنّها تبعد عنا 2.5 مليون سنة ضـوئية، أي نحـو 24 مليون مليون مليون كم..

أما أبعد جرم سماوي يمكن رؤيته بالعين المجردة ـ في الوقت الذي أكتب فيه هذه الكلمات ـ فهي مجرة المثلث فإنها تبعد عنا 3 ملايين سنة ضوئية، وما زال في كوننا ما هو أبعد من ذلك بكثير.

وحتى ندرك جيدا مدى ضـحالة العقـل السـلفي وبدائيتـه نـذكر نموذجـا مصـغرا ذكـره الفلكيـون لنظامنـا الشمسـي وجيرانـه في حديقة ما، فـإذا كـان حجم الأرض بحجم كـرة السـلة، فـإنّ القمـر

---

[1] () حاشية ابن القيم13/8.

سيكون بحجم كـرة التنس الأرضـي تقريبـاً، وسنضـع القمـر (كـرة التنس) على بعد 7.4 متر من الأرض (كرة السـلة). أمّـا الشـمس فسيكون قطرها 26 متراً (حجم منزل) وسـتقع على بعـد 2.8 كم من الأرض (كرة السلة). أمّا نجم ألفـا قنطـورس (أقـرب النجـوم إلينا) فإنّه سيقع على بعد 177 ألف كم من الأرض (كـرة السـلة). أمـا مجرتنـا درب التبانـة وهي الحديثـة الـتي سنضـع فيهـا نظامنـا الشمسي فسيكون طولها 17.6 مليون مليون كم.

ولست أدري أين أضع الأرقام الهزيلـة الـتي وضـعوها .. والـتي تجعل الكون جميعا بعرشه وبفرشه لا يتجاوز المجموعة الشمسية في أحسن الأحوال.

الكتلة:

مثلمـا أعطى السـلفيون الأهميـة الكـبرى لبيـان عظم حجم إلههم، فقد أولوا أهمية كبرى لبيان ثقله العظيم.. وقد اعتمدوا في ذلك على مقدمتين صحيحتين من الناحية المنطقية:

الأولى: بيان عظمة حملة العرش وقدراتهم الهائلة.

الثانية: هي بيان عجـز وضـعف هـؤلاء الحملـة أمـام العـرش، وثقله عليهم.

والنتيجة الضرورية لهذا هي أن الله عظيم جدا..

ولكنا مع ذلك .. وبمعطيات العلم الحديث سنجد كل ما ذكـروه من عرش وحملة عرش بل ما فوق ذلك كله لا يسـاوي جرمـا من الأجرام السماوية .. بـل قـد لا يسـاوي ثقبـا من الثقـوب السـوداء التي تملأ السماء.

وسنورد هنـا بعض روايـاتهم في ذلـك، ومن شـاء أن ينظـر مـا يقوله العلم الحديث في ذلك، فإنه يمكنه أن يزور المواقع الفلكية ليتأكـد بنفسـه.. ويستحسـن للمـتردد أو المتذبـذب بين التنزيـه والتجسيم أن يزور المواقع الفلكية الإسلامية لأن المواقـع الفلكيـة الكافرة لا ثقة فيها ـ كما يقول السلفيون ـ

ولـو كـان هـذا المـتردد يعـرف القـرآن الكـريم، ويعظمـه، ولم يتلطخ بتحريفات التفاسير له، فيمكنه فقط أن يجلس ويتأمـل في قولـه تعـالى: ﴿فَلَا أُقْسِـمُ بِمَوَاقِـعِ النُّجُـومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَـمٌ لَـوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 75، 76] ليجد الحقيقة ناصعة واضحة لا تحتاج لا إلى ابن خزيمة ولا إلى ابن تيمية ولا إلى غيرهما.

وأول الروايات وأشهرها وأكثرها تـداولا في المصـادر السـلفية

هي مـا يروونـه عن رسـول اللـه ﷺ من قوله: (أذن لي أن أحـدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنـه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)[1]

ويـروون عن ابن عبـاس قولـه: (حملـة العـرش مـا بين كعب أحـدهم إلى أسـفل قدميـه مسـيرة خمسـمائة عـام، وزعمـوا أن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب)[2]

وقـد سـبق أن أشـرنا إلى عظم خلـق هـؤلاء الملائكـة، وإلى أنواعهم وأشكالهم أيضا ـ كما توردها المصادر السلفية ــ وغرضـنا هنا هو أن نبين أن هؤلاء الملائكة مـع قـوتهم العظيمـة لا يطيقـون هذا الحمل العظيم الذي ذكره أحد أعلامهم المتقدمين، وهـو خالـد بن معدان بكل جرأة، فقال: (إنَّ الرحمن جل وعز سـبحانه ليثقـل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون، حتى إذا قام المُسَبِّحُونَ خُفِّفَ عن حملة العرش)[3]

وهذه الرواية قد تفيد الباحثين في معرفـة الخصـائص العجيبـة التي يتصف بها العرش الـذي يـؤمن بـه السـلفية، وهـو أنـه يخـف ويثقل بحسب التسبيح.. فيخف عند التسـبيح، ويثقـل عنـد عدمـه.. ولعل هذا أيضـا مـا يجعـل السـلفي يمن على حملـة العـرش عنـد قيامه بالتسبيح لما يؤدي ذلك من تخفيف الحمل عليهم.

وقد رويت روايات كثيرة تذكر أطيط العرش[4]، وتربطـه بثقـل الله عليه.. ومنها ما رووه عن عمر أنه قـال: (إذا جلس عـز وجـل على الكرسي سُمِعَ له أطيط كأطيط الرحل الجديد)، وقد ذكر في الرواية (فاقشعر رجل سَمَّاهُ أبي عنـد وكيـعٍ فغضـب وكيـعٌ وقـال: أدركنا الأعمش وسفيان يُحَدِّثُونَ بهذه الأحاديث لاينكرونها)[5]

وقد علق البغوي على هذه الروايـة بقولـه: (هـذا حـديث أورده

---

[1] () رواه أبـو داود في كتـاب السـنة بـاب في الجهميـة رقم 3701الحـديث: سـكت عنـه المنذري وقال المناوي: إسناده صحيح كما رمز السيوطي لذلك. راجع عـون المعبـود 13/36 وفيض القدير 1/458)

[2] () البيهقي في الأسماء والصفادت: ص 505،

[3] () رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة(رقم1026)، والدينوري في المجالسة(رقم23، 2812) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية(ص/252).

[4] () الأطيط: نقيض صوت المحامل والرحال إذا ثقل عليها الركبان، وأط الرحل والنسع يئط أطا وأطيطا: صوت، وكذلك كل شيء أشبه صوت الرحل الجديد. لسان العرب: (1/ 92)

[5] () رواه عبدالله في السـنة(رقم587)، والخطيب في تـاريخ بغـداد(8/52)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة(2/67).

أبو داود سليمان بن الأشعث في الرد على الجهمية والمعتزلة. قال أبو سليمان الخطابي: وقوله: (إنه ليئط به) معناه: إنه ليعجز جلاله وعظمته حتى يئط به، إذ كان معلوما أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه ولعجزه عن احتماله)[1]

وقد رووا أنه لشدة قرب أهل الجنة من الله تعالى يسمعون صوت الأطيط، فقد رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سلوا الله جنة الفردوس، فإنها صرة الجنة، وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش)[2]

نونيته[3]:

واذكر حديثا لابن اسحاق الرضى

ذاك الصدوق الحافظ الرباني

في قصة استسقائهم يستشفعون

---

1 () شَرْحُ السُّنَّةِ(1/175-176).

2() ابن بطة في الإبانة: ق (195/ ب)، والحاكم في المستدرك: (2/ـ 371)، والطبراني في المعجم الكبير: ص 7966.

3() شرح قصيدة ابن القيم 1/522 وانظر اجتماع الجيوش 50 .

إلى الرسول بربه المنان

فاستعظم المختار ذاك وقال شأن

الله رب العرش أعظم شان

الله فوق العرش فوق سمائه

سبحان ذي الملكوت والسلطان

ولعرشه منه أطيط مثل ما

قد أط رحل الراكب العجلان

لله ما لقي ابن اسحاق من

الجهمي إذ يرميه بالعدوان

ويظل يمدحه إذا كان الذي

يروي يوافق مذهب الطعّان

ويبدو من خلال الروايات التي يروونها وينتصرون لصحتها أن الملائكة حملة العرش يعانون كثيرا بسبب الثقل الكبير، وقد أوردوا من الروايات ما يوضح مواقيت ذلك بدقة، فقد رووا عن ابن مسعود أنه قال: (إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار. نور السموات من نور وجهه وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتا عشرة ساعة، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار، اليوم فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع فيها على ما يكره، فيغيظه ذلك، فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقل عليهم، فيسبحه الذين يحملون العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة)[1]

بالإضافة إلى ذلك، فهم لا يعانون فقط ـ بحسب رواياتهم ـ من غضب الله، بل يعانون أيضا من رضاه، لأن رضاه أيضا يحدث اهتزازا في العرش، فقد رووا عن النبي ﷺ أنه قال: (اهتز العرش لحب لقاء الله سعدا)[2]

ورووا عن عن امرأة من الأنصار يقال لها أسماء بنت قيس بن السكن قالت: لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمه، فقال لها رسول الله ﷺ: (لا يرقأ دمعك ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له عرش الرحمن)[3]

بالإضافة إلى ذلك، فهم يروون أن حملة العرش لا يستطيعون رفع أبصارهم من شدة النور، وقد قال بعض سلفهم في ذلك ـ: (أرجلهم في التخوم، لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور)[4]

ولا يكتفي السلفيون بأمثال هذه الروايات، بل إنهم يؤولون القرآن الكريم لينسجم مع هذه المعاني التجسيمية، فهم يروون

---

[1]() الطبراني في الكبير، حديث 8886،ـ 9/ـ 200، ونقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد (1/ 476)

[2]() ابن أبي شيبة في المصنف: (12366)، وابن سعد في الطبقات: (3/433)، والحاكم في المستدرك: (3/ 206)، وأورده الذهبي في العلو: ص71.

[3]() ابن خزيمة في التوحيد: ص 237، والإمام أحمد في المسند: (6/ـ 456)، وفي فضائل الصحابة: (1500)، وابن سعد: (3/ 434)، وابن أبي شيبة في المصنف: (12368)، والحاكم في المستدرك: (3/306)، والطبراني في الكبير: (6/14)، وابن أبي عاصم في السنة: (2/246)

[4]() ابن جرير في تفسيره: (29/59)

عن ابن عباس قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ﴾: (ممن فوقهن من الثقل)، وفي رواية (يعني من ثقل الرحمن وعظمته- تبارك وتعالى-)[1]

وهكذا صارت عظمة الله بالمفهوم السلفي تعني ثقله الشديد، وحجمه الكبير.

المقادير الصغرى:

ومشكلة هذا النوع من المقادير أنه مع وفائه مع الروايات التي يحملها السلفيون على ظاهرها، والتي تتعلق بالرؤية وبسكن الله مع المؤمنين في الجنة، وبالدنو والمماسة وغيرها، كما سنراه في محله إلا أنها لا تتفق مع العظمة التي ذكروها في المقادير السابقة.

وهنا تحصل رجة كبيرة للعقل السلفي، فيقرر حينها الانتحار.. لأن الجمع بين الحجم الكبير جدا، والصغير جدا لا يمكن إلا في حالة واحدة هي الانكماش، أو التشكل.. وكلاهما يحملان من المستحيلات العقلية ما لا يمكن حصره.

ولهذا يفر العقلي السلفي إلى تحريم استعمال العقل.. والعجب في ذلك أنه يذكر ألفاظا ليس لها إلا دلالة واحدة، ثم يقول بعدها بلا كيف.

ومن أمثلة ذلك أنه يذكر الأعداد كما رأينا ذلك سابقا.. وهل يمكن للأعداد أن تكون لها كيفيات.. ومثل ذلك ـ كما سنرى ـ يذكر الألوان، واللون الأخضر خصوصا.. ثم يقول: بلا كيف.. وهل يمكن أن يكون الأخضر غير الأخضر؟

ومن أمثلة الحجم الصغير للجسم الذي يعتقدونه للإله ما رووه عن عن عبد الله بن سلمة أنه قال: أرسل ابن عمر إلى ابن عباس يسأله، هل رأى محمد ربه، فأرسل إليه ابن عباس: أن نعم، قال: فرد عليه ابن عمر رسوله: أن كيف رآه، قال: رآه في روضة خضراء روضة من الفردوس دونه فراش من ذهب، على سرير من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة، ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة أسد، وملك في صورة نسر[2].

فهذا الحديث، وبهذه الصورة لا يمكن حمله إلا على جسم

---

[1]() الحاكم في مستدركه: (2 / 442)، وابن جرير في تفسيره: (25/7)

صغير، أو هو أقل بكثير من حجم الكـواكب والنجـوم والمجـرات .. بل إن رؤيته في روضة خضراء يـدل على أن الروضـة أكـبر منـه.. والسرير الذي يحمله أكبر منه.

ومن الروايـات القريبـة من هـذا مـا رووه عن أنس بن مالـك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أتاني جبريل فقـال: إن الـرب اتخذ في الجنة واديا من مسك أفيح، فإذا كان يوم الجمعـة فيـنزل عن كرسـيه من علـيين، وحـف الكرسـي بمنـابر من ذهب مكللـة بـالجواهر، ويجيء النـبيون فيجلسـون على تلـك المنـابر، ثم يـنزل أهــل الغــرف فيجلســون على ذلــك الكــثيب، ويتجلى لهم ربهم، فيقول: أنـا الـذي صـدقتكم وعـدي، وأتممت عليكم نعمـتي، وهـذا محل كرامتي فاسألوني قال: فيسألونه الرضـا، قـال: فليسـوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا النظر إلى وجـه ربهم - عز وجل-)[1]

فصـورة هـذا الحـديث كـذلك تـدل على أن الحجم والمقـادير محدودة جدا، بل كأن الله عز وجل في هذا الحديث لا يختلـف عن أولئك الملوك الذين يجمعون حاشيتهم، ويصلونهم بأنواع الصلات.

ومن الروايات الـواردة في هـذا عن أبي النضـرة قـال: خطبنـا ابن عباس بالبصرة على هذا المنـبر فقـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (آتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب، فـأقرع البـاب، فيقـال لي: من أنت؟ فـأقول: أنـا محمــد؟ فيفتح لي، فيتجلى لي ربي عــز وجــل فأخر له ساجدا وهو على سريره أو على كرسيه- شك حماد-)[2]

وفي روايــة أخــرى: (حــتى آتي الجنــة فآخــذ بحلقــة البــاب، فأستفتح، فيفتح لي، وأحيا ويرحب بي؟ فـإذا دخلت الجنـة نظـرت إلى ربي- عز وجل- على عرشه فخررت ساجدا)

وقد ورد في الرواية في صحيح البخـاري أن النـبي ﷺ يسـتأذن على الله في داره، فقد ورد فيها الحديث بهـذه الصـيغة، قـال ابن القيم: (وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه (فاستأذن على ربي في داره فيــؤذن لي عليــه)، قــال عبــد الحــق في الجمــع بين

---

[2]() رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيـد: ص 198، والآجـري في الشـريعة: ص 494، وعبـد الله بن الإمام أحمد في كتـاب السـنة: ص 35، والـبيهقي في الأسـماء والصـفات: ص 557-558.

[1]() أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية: ص 45، وعبـد اللـه بن الإمـام أحمـد في كتـاب السنة: ص 48، 49، والـذهبي في العلـو: ص 28. قـال الـذهبي: هـذا حـديث مشـهور وافـر الطرق.

[2]() الدارمي في الرد على بشر المريسي: ص 347، أحمـد في مسـنده: (1/ـ 281ـ 282، 295- 296)

الصحيحين هكـذا قـال في داره في المواضـع الثلاث يريـد مواضـع الشفاعات التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه)[1]

وقال الشيخ ابن عـثيمين في شـرحه على كتـاب التوحيـد من صحيح البخاري على هذا الحديث: (هذا الحديث ليس فيـه إشـكال إلا قولـــه: (أســـتأذن على ربي في داره)، فيقـــال: إن دار اللـــه عزوجل التي جاءت في هذا الحديث لا تشبه دور البشر، تكنــه من الحر ومن البرد ومن المطر، ومن الريـاح، لكن هي دار اللـه أعلم بها)

وهذا أيضا يدل على الحجم الصغير لإلههم مقارنــة بحجم داره، لأن الدار في العادة أكبر من صـاحبها.. وهـذا الحـديث ــ وهـو في صـحيح البخـاري كمـا ذكرنـا ــ يجعـل السـلفيين في حـيرة من أمرهم:فهل إلههم فوق العرش؟ أم أنـه في داره في الجنـة؟.. أم أنه في السماء الدنيا..؟

بل ورد في بعض الأحاديث التي اهتم بها جميـع السـلفيين بمن فيهم ابن تيميـــة وابن القيم مـــا يـــدل على أن إلههم يـــنزل إلى الأرض.. وهو في هذه الحالة أصغر منها بكثير..

وقد ذكر ابن تيمية في غرائب حديث النزول هذه الرواية الــتي تطفح بالتجسيم والتشبيه: (ثم تبعث الصيحة فلَعَمْر إلهك ما تــدعُ على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربـك عـز وجـل فأصبح ربك يطوف في الأرض وخلت عليه البلاد فأرسل ربـك عـز وجل السماء.. قلت يا رسول الله فما يعمل بنا ربنـا جـل وعـز إذا لقيناه ؟ قـال تعرضـون عليـه باديـة لـه صـفحاتكم لا تخفى عليـه منكم خافية فيأخـذ ربـك عـز وجـل بيـده غرفـة من المـاء فينضـح قِبَلكم بها فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أحدكم منها قطرة)[2]

فهذه الرواية تصور الله العلي العظيم وهو يطـوف في الأرض، وتصوره وهو يأخذ بيده غرفة من الماء فينضح بهـا.. وقـد قـال ابن القيم تلميذ ابن تيمية النجيب بعد إيراده الرواية: (هذا حديث كبــير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشـكاة النبـوة لا يعـرف إلا من حـديث عبـد الـرحمن بن المغـيرة بن عبـد الرحمن المدني رواه عنـه إبـراهيم بن حمـزة الزبـيري، وهمـا من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهمـا إمـام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري. ورواه أئمة أهـل السـنة

---

[1] () اجتماع الجيوش الإسلامية (53).

[2] () مجموع الفتاوى (4/ 184)

في كتبهم وتلقوه بـالقبول وقـابلوه بالتسـليم والانقيـاد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته. فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمـد بن حنبـل في مسـند أبيـه وفي كتاب السنة.. ومنهم الحافظ الجليل أبـو بكـر أحمـد بن عمـرو بن أبي عاصم النبيل في كتـاب السـنة لـه، ومنهم الحافـظ أبـو أحمـد محمـــد بن أحمـــد بن إبـــراهيم بن ســليمان العســـال في كتـــاب المعرفة، ومنهم الحافظ أبو محمد عبدالله بن محمد بن حيـان أبـو الشـيخ الأصـبهاني في كتـاب السـنة، ومنهم الحافـظ أبـو عبداللـه محمــــد بن إســـحاق بن محمــــد بن يحـــيى بن منـــدة حافـــظ أصبهان، ..وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم) [1]

بل إنه يرتب على منكر هـذا حكمـا خطـيرا، فينقـل عن سـلفه أبي عبد الله بن مندة مقرا له: (ولا ينكر هذا الحـديث إلا جاحـد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة)[2]

ثم لا يكتفي بـذلك.. بـل يـذهب يفسـر الحـديث حرفـا حرفـا يسـتنبط منـه كـل صـنوف التجسـيم والتشـبيه، فيقـول: (وقولـه **فيظل يضحك هو من صفات أفعاله** سبحانه وتعـالى الـتي لا يشبهه فيها شـيء من مخلوقاتـه كصـفات ذاتـه، وقـد وردت هـذه الصـفة في أحـاديث كثـيرة لا سـبيل إلى ردهـا كمـا لا سـبيل إلى تشبيهها وتحريفها.. وكـذلك **فأصـبح ربـك يطـوف في الأرض** هو من صـفات فعلـه..والكلام في الجميـع صـراط واحـد مسـتقيم إثبات بلا تمثيل بلا تحريف ولا تعطيـل.. وقولـه: فيأخـذ ربـك بيـده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم فيه إثبات صفة اليد لـه سـبحانه بقوله وإثبات الفعل الذي هو النضح)[3]

وقد علم ابن تيمية الإشـكالات الـتي قـد تطـرح من وراء هـذه الرواية، وأنها تقضـي على كـل مـا صـوروه عنـد ذكـر العـرش من عظمة الله، فقـال ــ ردا عليهم بغلظتـه المعهـودة ــ: (يقـال لهـذا البَقْبَاق النفاخ إن الله أعظم من كل شيء وأكبر من كل خلق ولم يحمله العرش عِظَمًا ولاقوة ولا حملة العـرش حملـوه بقـوتهم ولا استقلوا بعرشه ولكنهم حملوه بقدرته وقـد بلغنـا أنهم حين حملـوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضَعفوا عن حمله واسـتكانوا وجَثَوا على رُكَبِهم حتى لُقِّنوا لا حول ولا قوة إلا بالله فاستقلوا بـه بقدرة الله وإرادته ولولا ذلك ما استقلّ به العـرش ولا الحملـة ولا

[1]() زاد المعاد 3/677-682 .
[2]() زاد المعاد 3/677-682 .
[3]() زاد المعاد 3/677-682 .

السموات والأرض ولا من فيهن ولـو قـد شـاء لاسـتقر على ظهـر بعوضة فاستقلت به)[1]

وهكذا تنتهي حدود عظمة الله عند السـلفية إلى هـذه الحكمـة التيمية العظيمة: (ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به)

[1] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (3/ 242)

أعضاء .. ووظائف

يرى أصحاب الرؤية التنزيهية ـ سواء كانوا من أهل البرهـان أو من أهـل العرفـان ــ أن من مقتضـيات تقـديس اللـه تعـالى عن الحـدود والمقـادير ومـا يلـزم عنهمـا، ويرتبـط بهمـا، كونـه تعـالى مقدسا أيضـا عن الـتركيب والأعضـاء ومـا شـاكلهما، لأن الـتركيب تعدد، والتعدد شرك.. والمركب فقير، والله غني..

فالجزء في التركيب مقدّم على الكل .. وكلّ جزء من المركّب مغاير لغيره.. وبذلك يكـون المـركّب مفتقـراً إلى أجزائـه.. وغـنى الله تعالى المطلق يحيل عليه كل أنواع الافتقار.

ثم إنه لو افتقرت الذات الإلهية إلى التركيب، فإنّ الأجزاء التي سـتركب منهـا لا تخلـو من أن تكـون أجـزاء قديمـة، فيلـزم تعـدّد القدماء، وهـذا باطـل.. أو أن تكـون أجـزاء حادثـة، فيلـزم تـركيب الواجب من أجزاء غير واجبة، وهذا باطل.

وبالإضافة إلى ذلك كله، فـإن المـركّب بحاجـة إلى من يركّبـه، وهو منفي عن الذات الإلهية، لأنها بذلك لن تبقى ذاتا إلهية..

ثم إن الكـل المـركب من أجـزاء لابـد أن يكـون كـل جـزء من أجزائه عالما خاص، ويكون مختلفا عن سائر الأجزاء اختلافا كليا .. وهـو بـذلك يكـون منعـدما عن الأجـزاء الأخـرى، ويكـون بجوانبـه الأخرى منعدما عن هذا الجانب.. فيلزم هذا الأمر النقص في جميع الجوانب، وبالتالي يستوجب هذا الأمر النقص والقصور في الـذات الإلهية، وهذا باطل.

ثم إنه لو كان الله تعالى مركّباً من الأجزاء لكان علمه وقدرتـه ثابتة لكلّ واحدة من أجزائه المتغايرة، فيكـون كـلّ جـزء من اللـه عالماً قادراً، فتتعدّد الآلهة، وهذا باطل[1] .

هذه بعض الوجوه العقلية البديهيـة الـتي يسـتند إليهـا أصـحاب الرؤيــة التنزيهيــة في القــول بالوحــدة المطلقــة للــه: الوحــدة المتصلة .. والوحدة المنفصلة.

ولهذا اعتبر جميع منزهة الأمة من أشاعرة وماتريدية ومعتزلـة وإمامية وزيديـة وإباضـية وصـوفية أن من مقتضـيات التوحيـد نفي التركيب عن الله تعالى، لأنه يدخل ضمن الأركان الكـبرى للوحـدة

---

[1] () انظر في الـردود على الـتركيب معظم كتب الكلام، ومنهـا: كشـف المـراد، العلاّمـة الحلّي: ص 405، قواعد العقائدص 68، وغيرها من كتب العقائد.

الإلهية، والتي تشمل نفي كـل أنـواع الكميـات (الكم المتصـل في الذات وهو تركبها من أجـزاء.. والكم المنفصـل فيهـا وهـو تعـددها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر)[1]

ويشير إلى هذا النوع من التوحيد كل النصوص الـتي تخـبر عن تنزيــه اللــه وغنــاه المطلــق، كقولــه تعــالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَـرَاءُ ﴾ [محمـد: 38]، وقولـه: ﴿يَاأَيُّهَـا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَـرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشـورى: 11]، وقـد قـال الفخـر الـرازي في وجـه دلالتهـا على هـذا النـوع من التوحيد: (احتج علمـاء التوحيـد قـديما وحـديثا بهـذه الآيـة في نفي كونه تعالى جسما مركبا من الأعضاء والأجزاء وحاصلا في المكـان والجهة، وقالوا لو كـان جسـما لكـان مثلا لسـائر الأجسـام، فيلـزم حصول الأمثال والأشباه له، وذلك باطل بصريح قوله تعـالى: ليس كمثله شيء ويمكن إيراد هذه الحجة على وجه آخر، فيقال إمـا أن يكون المراد ليس كمثلـه شـيء في ماهيـات الـذات، أو أن يكـون المراد ليس كمثله في الصفات شـيء، والثـاني باطـل، لأن العبـاد يوصفون بكونهم عالمين قادرين، كما أن الله تعالى يوصف بـذلك، وكذلك يوصفون بكـونهم معلـومين مـذكورين، مـع أن اللـه تعـالى يوصـف بـذلك، فثبت أن المـراد بالمماثلـة المسـاواة في حقيقـة الذات، فيكون المعنى أن شيئا من الـذوات لا يسـاوي اللـه تعـالى في الذاتية، فلو كان الله تعالى جسـما، لكـان كونـه جسـما ذاتـا لا صفة، فإذا كان سائر الأجسام مساوية له في الجسمية، أعـني في كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة، فحينئذ تكون سـائر الأجسـام مماثلة لذات الله تعالى في كونه ذاتا، والنص ينفي ذلك فوجب أن لا يكون جسما)[2]

ويدل عليه دلالة خاصة قوله تعالى: ﴿قُـلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَـدٌ (1)ـ ﴾ [الإخلاص: 1،ـ 2]، فاسم الله الأحد يشير إلى الوحدانيـة المطلقـة لله في جميع جوانبها.

بالإضافة إلى هذا، فإن الرؤية التنزيهية لله تنزه الله تعالى عن الحاجة إلى الجارحة أو أي آلة، فهو يسمع من غير حاجـة إلى أذن، ويبصر من غير حاجـة إلى عين، وهكـذا يفعـل كـل شـيء من غـير

---

[1] () انظر تفاصيل ذلك في شرح الجوهرة 152،153،وحاشية ابن الأمير 140،والاعتقـاد والهداية للبيهقي 52.

[2] () مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (27/ 582)

حاجة لأي شيء، لأنه الغـني بذاتـه عن كـل شـيء، فلا يحتـاج إلى شيء.

وهذا أيضا من المقتضيات العقلية التي تنزه الله عن الأعضاء.. فما حاجة الله العظيم لأعضاء لا يستعملها؟

هذه هي الرؤية التنزيهية لله تعالى.. وهي ـ كما رأينا ـ متوافقة مـع القـرآن والبرهـان والعرفـان.. ويشـهد لهـا كـل شـيء.. وهي لبساطتها يسهل تقبلها والتسليم لهـا .. وهي لا تثـير من الشـبهات ما يثيره اعتقاد التركيب..

أمـا الرؤيـة السـلفية لهـذه المسـألة العقديـة الخطـيرة، فهي مختلفة تماما .. ولذلك تعتبر ــ من وجهـة نظـر الرؤيـة التنزيهيـة ـ رؤيـة شـركية، لأنهـا لا تنفي الكم المتصـل.. وبـذلك تقـول بتعـدد القدماء..

ولهـذا أطلـق الفخـر الـرازي على كتـاب التوحيـد لابن خزيمـة وصـف (كتـاب الشـرك)، لأنـه اعتمـد على ذكـر مـا يمكن اعتبـاره أبعاضا لله.. يقول في ذلك: (اعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد اسـتدلال أصـحابنا بهـذه الآيـة في الكتـاب الـذي سـماه «بالتوحيد»، وهو في الحقيقة كتاب الشرك، واعـترض عليهـا، وأنـا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات، لأنـه كـان رجلا مضـطرب الكلام، قليـل الفهم، نـاقص العقـل، فقـال: «نحن نثبت للـه وجهـا ونقول: إن لوجه ربنا من النور والضياء والبهاء، ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركـه بصـره، ووجـه ربنـا منفي عنه الهلاك والفنـاء، ونقـول إن لبـني آدم وجوهـا كتب اللـه عليهـا الهلاك والفناء..)[1]

وبعد أن حكى كلامه، والذي سنذكر أمثاله في هذا الفصـل، رد عليه بقوله: (وأقول: هـذا المسـكين الجاهـل إنمـا وقـع في أمثـال هذه الخرافات لأنه لم يعرف حقيقة المثلين وعلماء التوحيد حققوا الكلام في المثلين، ثم فرعوا عليه الاستدلال بهذه الآية [أي بقولـه تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، فنقـول المثلان همـا اللذان يقـوم كـل واحـد منهمـا مقـام الآخـر في حقيقتـه وماهيتـه، وتحقيق الكلام فيه مسبوق بمقدمة أخرى فنقول: المعتبر في كـل شيء، إما تمام ماهيته وإما جزء من أجزاء ماهيته وإما أمـر خـارج عن ماهيته، ولكنـه من لـوازم تلـك الماهيـة، وإمـا أمـر خـارج عن ماهيته ولكنه ليس من لوازم تلك الماهية وهذا التقسيم مبني على

[1] () مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (27/ 582)

الفـرق بين ذات الشـيء وبين الصـفات القائمـة بـه وذلـك معلـوم بالبديهـة، فإنـا نـرى الحبـة من الحصـرم كـانت في غايـة الخضـرة والحموضـة ثم صـارت في غايـة السـواد والحلاوة، فالـذات باقيـة والصفات مختلفة والذات الباقية مغايرة للصفات المختلفة، وأيضـا نرى الشعر قد كـان في غايـة السـواد ثم صـار في غايـة البيـاض، فالذات باقية والصفات متبدلة والبـاقي غـير المتبـدل، فظهـر بمـا ذكرنا أن الذوات مغايرة للصفات. إذا عرفت هـذا فنقـول: اختلاف الصفات لا يوجب اختلاف الذوات البتـة، لأنـا نـرى الجسـم الواحـد كان ساكنا ثم يصير متحركا، ثم يسـكن بعـد ذلـك، فالـذوات باقيـة في الأحوال كلها على نهج واحد ونسـق واحـد، والصـفات متعاقبـة متزايلـــة، فثبت بهـــذا أن اختلاف الصـــفات والأعـــراض لا يـــوجب اختلاف الذوات، إذا عرفت هذا فنقول: الأجسـام منهـا تـألف وجـه الكلب والقـرد مسـاوية للأجسـام الـتي تـألف منهـا وجـه الإنسـان والفــرس وإنمــا حصــل الاختلاف بســبب الأعــراض القائمــة وهي الألوان والأشكال والخشونة والملاسة وحصول الشعور فيه وعــدم حصـــولها، فـــالاختلاف إنمـــا وقـــع بســـبب الاختلاف في الصـــفات والأعــراض، فأمــا ذوات الأجســام فهي متماثلــة إلا أن العــوام لا يعرفـون الفـرق بين الـذوات وبين الصـفات، فلا جـرم يقولـون إن وجه الإنسان مخالف لوجه الحمار، ولقد صدقوا فإنه حصـلت تلـك بسبب الشكل واللون وسائر الصفات، فأما الأجسام من حيث إنها أجسـام فهي متماثلـة متسـاوية، فثبت أن الكلام الـذي أورده إنمـا ذكره لأجل أنـه كـان من العـوام ومـا كـان يعـرف أن المعتـبر في التماثل والاختلاف حقائق الأشياء وماهياتها لا الأعــراض والصــفات القائمة بها) [1]

إلى آخر رده المفصل، وهـو يرينـا مـدى المعانـاة الـتي يعانيهـا المنزهــة في إثبــات أغراضــهم للمجســمة.. وخاصــة مــع بغضــهم الشديد للتحليل العقلي.. فهم لا يريدون من محاورهم إلا أن يــورد الآثار والحكايات التي يتيسر على عقولهم هضمها.

ولهذا نراهم يواجهون المتكلمين أمثـال الفخـر الـرازي وغـيره بما سمعوه من سلفهم من روايات تلقفوها كما يتلقفوا القــرآن .. وألغوا بها عقولهم وفطرتهم وإنسانيتهم.

ومن تلك الروايـات الـتي يكـثرون من الاسـتدلال بهـا في هـذا المقـام خصوصـا للدلالـة على عـدم انتفـاء الـتركيب عن اللـه مـا

[1] () مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (27/ 583)

أوردوه في تفسير قوله تعالى: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً [الأعراف: 143]

فقد رووا عن أنس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ قال: هكذا، يعني أنه أخرج طرف الخنصر، قال أحمد أرانا معاذ قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد، قال: فضرب صدره ضربة شديدة، وقال من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ فتقول أنت ما تريد إليه)[1]

وفي رواية أخرى عن أنس: أنَّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً قال حماد هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى، قال: فساخ الجبل وخَرَّ موسى صعقاً)[2]

ومن تلك الروايات ما يذكرونه عند وصف الله بما يطلقون عليهما صفتي [الْحُجْزَةُ وَالْحَقْوُ]، واللذان يعنيان في ظاهرهما [موضع عقد الإزار وشده]، ويذكرون أنهما (صفتان ذاتيان خبريَّتان ثابتتان بالسنة الصحيحة)، ويستدلون لهما بما رووه عن ابن عباس: (إنَّ الرحم شَجْنَةٌ آخذةٌ **بحُجزة** الرحمن ؛ يصل من وصلها، ويقطع من قطعها)[3]

وبما رووه عن أبي هريرة قال: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه ؛ قامت الرحم، فأخذت **بحقو** الرحمن، فقال: مه!قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة..)[4]

وهم يستدلون بهذا، ويأخذون بظاهره، معتبرين الحقو بعضا من الله، ولهذا تمسكت به الرحم، كما يتمسك أحدنا بآخر عند التوسل إليه، وقد قال الشيخ عبد الله الغنيمان في (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري) ناقلاً من (نقض التأسيس) لشيخ الإسلام، ومن (إبطال التأويلات) لأبي يعلى الفراء، ومعلقاً: (قال شيخ الإسلام رحمه الله في رده على الرازي في زعمه أنَّ هذا

---

[1]() أحمد في المسند: (3/125).

[2]() سنن الترمذي: (5/ 115)

[3]() رواه الإمام أحمد (2956-شاكر). وابن أبي عاصم في السنة (538) ؛ بإسناد حسن . وانظر: السلسلة الصحيحة (1602).

[4]() رواه البخاري (4830) وغيره.

الحديث: (يعني: حديث أبي هريـرة المتقـدم) يجب تأويلـه: قـــال: فيـقال له: بل هذا من الأخبار التي يقرها من يقـر نظـيره، والنِّزاع فيه كالنِّزاع في نظيره ؛ فدعواك أنه لا بدَّ فيه من التأويل بلا حجة تخصـه ؛ لا تصـح. وقـال: وهـذا الحـديث في الجملـة من أحـاديث الصفات، التي نص الأئمة على أنـه يمـر كمـا جـاء، وردوا على من نفى موجبه، وما ذكره الخطابي وغيره أنَّ هذا الحديث ممـا يتـأول بالاتفـاق ؛ فهـذا بحسـب علمـه، حيث لم يبلغـه فيـه عن أحـد من العلماء أنه جعله من أحاديث الصفات التي تمـر كمـا جـاءت. قـال ابن حامد: ومما يجب التصديق به: أنَّ للـه حَقْـواً. قـال المـروزي: قرأت على أبي عبد الله كتاباً، فَمَرَّ فيه ذكر حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (إنَّ الله خلق الرحم، حتى إذا فـرغ منهـا ؛ أخـذت بحقـو الرحمن)، فرفع المحدث رأسـه، وقـال: أخـاف أنَّ تكـون كفـرت. قال أبو عبد الله: هذا جهمي. وقال أبو طالب: سمعت أبا عبد الله يسأل عن حديث هشام بن عمار ؛ أنه قريء عليـه حـديث الـرحم: (تجيء يوم القيامـة فتعلـق بـالرحمن تعـالى..)، فقـال: أخـاف أنَّ تكون قـد كفـرت.فقـال: هـذا شـامي ؛ مـا لـه ولهـذا ؟ قلت: فمـا تقول ؟ قال: يمضـي كـل حـديث على ماجـاء. وقـال القاضـي أبـو يعلى: اعلم أنـه غـير ممتنـع حمـل هـذا الخـبر على ظـاهره، وأنَّ (الحقو) و(الحجزة) صفة ذات، لا على وجه الجارحـة والبعض، وأنَّ الرحم آخذة بها، لا على وجه الاتصال والمماسـة، بـل نطلـق ذلـك تسمية كما أطلقها الشرع، وقد ذكر شيخنا أبـو عبـد اللـه - رحمـه الله - هذا الحديث في كتابه، وأخذ بظاهره، وهو ظاهر كلام أحمد. قلت: قولـــه: (لا على وجـــه الجارحـــة والبعض)، وقولـــه: (لا على وجه الاتصال والمماسة) ؛ قول غـير سـديد، وهـو من أقـوال أهـل البـدع الـتي أفسـدت عقـولَ كثـير من النـاس ؛ فمثـل هـذا الكلام المجمل لا يجوز نفيه مطلقاً، ولا إثباته مطلقـاً ؛ لأنـه يحتمـل حقـاً وباطلاً، فلا بدَّ من التفصـيل في ذلـك، والإعـراض عنـه أولى ؛ لأنَّ كلام رسول الله ﷺ خال منه، وليس هو بحاجة إليـه ؛ فهـو واضـح، وليس ظـــاهر هـــذا الحـــديث أنَّ للـــه إزاراً ورداءً من جنس الأزر والأردية التي يلبسها الناس، مما يصنع من الجلود والكتان والقطن وغيره، بل هذا الحديث نص في نفي هذا المعنى الفاسد ؛ فإنه لـو قيـل عن بعض العبـاد: إنَّ العظمـة إزاره والكبريـاء رداؤه؛ لكـان إخباره بذلك عن العظمة والكبرياء اللذين ليسا من جنس ما يلبس من الثيـاب. فـإذا كـان هـذا المعـنى الفاسـد لا يظهـر من وصـف

المخلـوق ؛ لأنَّ تـركيب اللفـظ يمنـع ذلـك، وبين المعـنى المـراد ؛ فكيف يدعى أنَّ هذا المعنى ظاهر اللفظ في حق الله تعالى، فـإنَّ كل من يفهم الخطاب ويعرف اللغة ؛ يعلم أنَّ الرسول ﷺ لم يخبر عن ربه بلبس الأكسية والثياب)[1]

هذا نموذج من طروحاتهم المتعلقة بما يسمونه (صفات ذات)، وهي في الحقيقة ليست سوى أعضاء وتراكيب للـه.. وإنمـا ذكرنـا النص بطوله لنتبين المنطلقـات الفكريـة الـتي يصـدرون منهـا في أمثال هذه العقائد الخطيرة .. فهم لا يصدرون من بـراهين عقليـة ولا قرآنيــة .. وإنمــا من كلام أسـلافهم الـذين ملأوهم خوفـا من التجهم .. فصـاروا يفضـلون التشـبيه والتجسـيم على أن يرمـوا بالتجهم والتعطيل.

ومن الروايات الصريحة التي يستندون إليهـا في القـول بجـواز التركيب على الله ما رووه عن عكرمة قال: (إن الله عز وجـل إذا أراد أن يخـوف عبـاده **أبـدى عن بعضه** إلى الأرض فعنـد ذلـك تزلزل، وإذا أراد أن تدمدم على قوم تجلى لها)[2]

وقد صرح ابن القيم بصحة هذه الرواية، بل اعتبر مـا ورد فيهـا من العقائـد الـتي أثبتهـا في نونيتـه المشـهورة الـتي لا يـزال السلفيون يحفظونها، ويحرصون عليها، فقد جاء فيها:

وزعمت أن الله أبدى بعضه   للطور حتى عاد كالكثبان
لما تجلى يوم تكليم الرضى   موسى الكليم مكلّم الرحمن[3]

وقد استشهد ابن تيمية بهذه الروايـة على صـحة إطلاق القـول بأن الصفة بعض الموصوف ـ وهـو يريـد في الحقيقـة بـأن العضـو بعض الجسـم ــ فيقـول: (وأمـا إطلاق القـول بـأن الصـفة بعض الموصوف وأنها ليست غيره، فقد قال ذلك طوائف من أئمة أهـل الكلام وفرسانُهم. وإذا حُقق الأمر في كثير من هذه المنازعات لم يجد العاقل السليم العقل ما يخالف ضرورة العقل لغير غرض، بل كثير من المنازعات يكون لفظياً أو اعتبارياً، فمن قال إن الأعراض بعض الجسم أو أنها ليست غيره، ومن قال إنها غيره يعـود الـنزاع بين محققيهم إلى لفـظٍ واعتبـار واختلافِ اصـطلاح في مسـمى (بعض) و(غير) كما قد أوضحنا ذلك في بيان تلبيس الجهمية الـذي

---

[1] () شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (2/383).

[2] () السنة 2/470(1069) الفردوس بمأثور الخطاب للـديلمي 1/248(961) وعـزاه ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 5/87 إلى الطبراني في كتاب السنة.

[3] () انظر شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم 1/230

وضعه أبو عبد الله الـرازي في نفي الصـفات الخبريـة وبـنى ذلـك على أن ثبوتها يستلزم افتقار الرب تعـالى إلى غـيره وتركيبـه من الأبعاض وبينا ما في ذلك من الألفاظ المشـتركة المجملـة.. فهـذا إن كان أحد أطلق البعض على الـذات وغـيره من الصـفات وقـال إنه بعض الله وأنكر ذلك عليه لأن الصـفة ليسـت غـير الموصـوف مطلقا. وإن كان الإنكار لأنه لا يقال في صفات اللـه لفـظ البعض فهذا اللفظ قد نطق به أئمة الصـحابة والتـابعين وتـابعيهم ذاكـرين وآثرين) [1]

ثم نقل الرواية التي ذكرناها، ثم قال: (وقد جـاء في الأحـاديث المرفوعة في تجليه سبحانه للجبل والتي فيها أنه ما تجلى منـه إلا مثل الخنصر، وفي قصة داود: قال: يدنيه حتى يمس بعضه. **وهذا متـواتر عن هـؤلاء**.. ولا ريب أن لفـظ البعض والجـزء والغـير ألفاظ مجملة فيها إيهام وإبهام. فإنه قد يقال ذلك على مـا يجـوز أن يوجد منه شيء دون شيء بحيث يجوز أن يفارق بعضـه بعضـاً وينفصل بعضه عن بعض، أو يمكنُ ذلك فيه كما يقال حـدُّ الغـيرين مـا جـاز مفارقـة أحـدهما للآخـر كصـفات الأجسـام المخلوقـة من أجزائها وأعراضها فإنه يجوز أن تتفرق وتنفصل والله سبحانه منزه عن ذلك كله مقدس عن النقائص والآفات. وقد يراد بذلك ما يعلم منه شيء دون شيء فيكون المعلـوم ليس هـو غـير المعلـوم وإن كان لازما له لا يفارقه والتغاير بهذا المعنى ثابت لكل موجود فـإن العبد قد يعلم وجود الحق ثم يعلم أنه قادر ثم أنه عالم..فمن نفى عنه وعن صفاته التغاير والتبعيض بهذا المعنى فهـو معطـل جاحـد للرب فـإن هـذا التغـاير لا ينتفي إلا عن المعـدوم..فقـول السـلف والأئمة ما وصف به الله من الله وصفاته منـه وعِلم اللـه من اللـه ونحو ذلك ممـا اسـتعملوا فيـه لفـظ (من) وإن قـال قائـل معناهـا التبعيض فهو تبعيض بهذا الاعتبار كما يقال إنه تغاير بهـذا الاعتبـار) [2]

ومن الروايات التي استدلوها بها كذلك ما أوردوه عنـد تفسـير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: 25]، فقـد رووا عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: (حتى يضـع بعضـه عليـه) [3]، وفي رواية: (ذكر الدنو منه حتى ذكر أنه يمس بعضـه)[4]، وفي

---

[1] الفتاوى الكبرى 5/85-92 وانظر كلام الفراء في إبطال التأويلات 2/340.

[2] الفتاوى الكبرى 5/85-92 .

[3] السنة 2/475(1086) و2/507 (1180) الخلال في السنة 1/262(319)

[4] السنة 2/503(1165)

رواية:(ما يأمن داود عليه السلام يوم القيامة حتى يقال له أُدنه فيقول ذنبي ذنبي حتى بلغ فيقال أُدنه فيقول ذنبي ذنبي فيقال له أُدنه فيقول ذنبي ذنبي حتى بلغ مكاناً الله أعلم به قال سفيان كأنه يمسك شيئا)[1]، وفي رواية عن مجاهد: (حتى يأخذ بقدمه)[2]، وفي رواية عن مجاهد: (إذا كان يوم القيامة ذكر داود ذنبه فيقول الله عز وجل له كن أمامي فيقول رب ذنبي ذنبي فيقول الله له كن خلفي فيقول رب ذنبي ذنبي فيقول الله عز وجل خذ بقدمي)[3] وفي رواية: (حتى يضع يده في يده)[4]

وغيرها من الروايات، والتي لا يستفاد منها غير تركيب الله تعالى من أجزاء وأبعاض وأعضاء.. ولهذا قال القاضي أبو يعلى تعليقا عليها:(اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره إذ ليس فيه ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأنا لا نثبت قدماً وفخذاً وجارحة ولا أبعاضاً بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا الذات والوجه واليدي)[5]

وقال ابن القيم مشيرا إلى أمثال هذه الروايات معتبرا المنكر لها جهميا معطلا: (وقد قال غير واحد من السلف كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، قالوا ولهذا قال سبحانه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: 25]، فزاده على المغفرة أمرين الزلفى وهي درجة القرب منه وقد قال فيها سلف الأمة وأئمتها ما لا تحتمله عقول الجهمية وفراخهم ومن أراد معرفتها فعليه بتفاسير السلف)[6]

بعد بيان قول السلفية بجواز التركيب على الله تعالى، نحاول في هذا الفصل أن نذكر بعض الأعضاء التي يحرص السلفية على التعريف بالله من خلالها، مع ذكر وظائف كل عضو منها، وسنكتفي بذكر الروايات التي اعتمدوها، واستنباطاتهم منها، فخير ما يبرهن على فساد أقوالهم فيها هو حكايتها.. وسنبدأ بالطريقة التي يرتبون بها أمثال هذه الصفات من الأعلى إلى الأسفل.. أو من الوجه إلى القدم.

وكنا نود لو قسمنا هذه الأعضاء كما نقسم جسم الإنسان إلى

(1) السنة 2/502 (1161)

(2) السنة 2/507 (1182)

(3) السنة 1/262(322) ابن أبي شيبة في المصنف6/342 (31888)

(4) السنة 2/502(1163)

(5) انظر حاشية المرجع السابق 1/207-210

(6) طريق الهجرتين 1/357

رأس وجذع وأطراف، ولكن منعنا من ذلك أنهم لا يقولون بهذه التسميات، بل يحرمون أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه، مع أنهم في قرارة نفوسهم، بل في كتبهم يصرحون بمعاني هذه الأمور جميعا.

فهم يثبتون لله شعرا ووجها وفما وأضراسا وعينين .. وكل شيء يرتبط بالرأس.

وهم يثبتون الله صدرا وحقوا.. وهذا يرتبط بالجذع.

وهم يثبتون لله يدين وذراعين وأصابع وأنامل، ورجلين وقدمين.. وكل هذه ترتبط بالأطراف.

وبناء على هذا سنقتصر على الأعضاء الكبرى التي ذكروها، وندخل ضمنها التفاصيل المرتبطة بها، وهذه الأعضاء الكبرى هي: الوجه، والفم، والعين، واليد، والأصابع، والقدم والساق.. وضمنها سنذكر باقي الأعضاء كالفم والأضراس والذراع والأنامل وغيرها..

الوجه:

وهو من الصفات التي أعطاها السلفية مساحة كبيرة من اهتمامهم، وسنرى كلامهم عليها بتفصيل عند الحديث عن الصورة.. لأن كمال الوجه في صورته .. ولهذا يذكرون عند حديثهم عن جمال الله جمال وجهه، وأن المؤمنين في الجنة عند النظر إليه ينسون كل أنواع اللذات الأخرى.

وهم يعتبرون الوجه كغيره من الصفات الذاتية التي يجب الإيمان بها، ومن لم يؤمن بها على الهيئة التي يذكرونها يكون جهميا ومعطلا وكافرا..بل أكفر من اليهود والنصارى، لأن اليهود والنصارى يثبتون الوجه لله، والمنزه ينفيه.

يقول ابن خزيمة بعد إيراده للنصوص التي يرى أنها تثبت صفة الوَجْه لله تعالى: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ؛ مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا ؛ من غير أن نشبه وَجْه خالقنا بوَجْه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين)[1]

ومن الأدلة التي يستدلون بها على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾ [البقرة: 272]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ

---

[1] () كتاب التوحيد (1/25).

صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ [الرعد: 22]، وهذا استدلال عجيب جدا.. فهل عمل المؤمن ابتغاء لله جميعا، أم ابتغاء لوجهه فقط؟

وهذا الإشكال يرد عليهم في خصوص قوله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص: 88]، وقوله تعالى: وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن: 27]

والذي يدل دلالة واضحة على أن المراد بوجه الله ذاته، وليس عضوا منه، كما نص على ذلك المنزهة، قال الشريف الرضي: وقوله تعالى كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص: 88] وهذه استعارة، والوجه هنا عبارة عن ذات الشيء ونفسه، وعلى هذا قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الرحمن سبحانه وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن: 27]ـ أي: ويبقى ذات ربك، ومن الدليل على ذلك: الرفع في قوله: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن:27]، لأنه صفة للوجه الذي هو الذات، ولو كان الوجه هنا بمعنى العضو المخصوص على ما ظنه الجهال، لكان وجه الكلام أن يكون: ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام، فيكون (ذي) صفة للجملة لا صفة للوجه الذي هو التخطيط المخصوص كما يقول القائل: رأيت وجه الأمير ذي الطول والإنعام، ولا يقول: ذا ؛ لأن الطول والإنعام من صفات جملته لا من صفات وجهه، ويوضح ذلك قوله في هذه السورة: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن: 78] لما كان الاسم غير المسمى وصف ـ سبحانه ـ المضاف إليه، ولما كان الوجه في الآية المتقدمة هو النفس والذات، قال تعالى: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ولم يقل: ذي الجلال والإكرام)[1]

ويقول: (ولو كان الكلام محمولا على ظاهره لكان فاسدا مستحيلا على قولنا وقول المخالفين ؛ لأنه لا أحد يقول من المشبهة والمجسمة الذين يثبتون لله ــ سبحانه ــ أبعاضا مؤلفة وأعضاء مصرفة أن وجه الله ـ تعالى ـ يبقى وسائره يبطل ويفنى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)[2]

ومثله قال الفخر الرازي: (لو كان الوجه هو العضو المخصوص، لزم أن يفنى جميع الجسد والبدن، وأن تفنى العين

---

[1] () تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي (ص204) .

[2] () تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص 275). وانظر: دفع شبه التشبيه (ص 113) .

التي على الوجه، وأن لا يبقى إلا مجرد الوجه)[1]

لكن المجسمة يعتبرون القول بهذا، وخاصة من علم كبير من أعلام اللغة مثل الشريف الرضي تجهما وتعطيلا، ولهذا، فإن أول ما يبادرون به من يعرضه عليهم مثل هذا اتهامه بالتجهم والتعطيل، وقد حدث يحيى بن شبل قال: كنت جالسا مع مقاتل بن سليمان وعباد بن كثير، إذ جاء شاب فقال: ما تقول في قوله عز وجل: ﴿كل شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، فقال مقاتل: هذا جهمي ثم قال: (ويحك إن جهما والله ما حج البيت ولا جالس العلماء، وإنما كان رجلا أعطي لسانا)[2]

بالإضافة إلى ذلك، فقد حاولوا أن يتنصلوا منه بوجوه من الحيل تخلوا بها عن نفيهم المطلق للتأويل، ومن تلك الردود هذا الرد العجيب الذي ذكره ابن تيمية يحكي فيه مجلسا من مجالس المناظرة التي جمعته مع المنزهة، وفيها نرى ابن تيمية، وكيف يحتال على خصومه بأنواع الحيل، وبما أن النص طويل، فقد اقتصرت منه على القدر الذي نحتاج إليه، قال ابن تيمية: (لما كان إثبات هذه الصفة [صفة الوجه] مذهب أهل الحديث والمتكلمة الصفاتية .. وكان نفيها مذهب الجهمية: من المعتزلة وغيرهم .. صار بعض الناس من الطائفتين كلما قرأ آية فيها ذكر الوجه جعلها من موارد النزاع، فالمثبت يجعلها من الصفات التي لا تتأول بالصرف، والنافي يرى أنه إذا قام الدليل على أنها ليست صفة فكذلك غيرها .. ولهذا لما اجتمعنا في المجلس المعقود وكنت قد قلت: أمهلت كل من خالفني ثلاث سنين إن جاء بحرف واحد عن السلف يخالف شيئا مما ذكرته كانت له الحجة وفعلت وفعلت وجعل المعارضون يفتشون الكتب فظفروا بما ذكره البيهقي في كتاب (الأسماء والصفات) في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115،] فإنه ذكر عن مجاهد والشافعي أن المراد قبلة الله فقال أحد كبرائهم - في المجلس الثاني - قد أحضرت نقلا عن السلف بالتأويل فوقع في قلبي ما أعد فقلت: لعلك قد ذكرت ما روي في الآية.. قال: نعم . قلت: المراد بها قبلة الله فقال: قد تأولها مجاهد والشافعي وهما من السلف، ولم يكن هذا السؤال يرد علي ؛ فإنه لم يكن شيء مما ناظروني فيه صفة الوجه ولا أثبتها لكن طلبوها من حيث

[1] أساس التقديس (ص155) .

[2] الإبانة (2/ 13/90 - 91/ 319) والسنة للخلال (5/ 84 - 85).

الجملة وكلامي كـان مقيـدا كمـا في الأجوبـة فلم أر إحقـاقهم في هذا المقام بل قلت هذه الآية ليست من آيـات الصـفات أصـلا، ولا تندرج في عموم قول من يقول: (لا تـؤول آيـات الصـفات)، قـال: أليس فيها ذكر الوجـه؟ فلمـا قلت: المـراد بهـا قبلـة اللـه . قـال: أليســت هــذه من آيـات الصــفات ؟ قلت: لا . ليســت من مــوارد النزاع فإني إنما أسلم أن المراد بالوجه - هنا - القبلة فإن (الوجه) هو الجهة في لغة العرب يقال: قصدت هـذا الوجـه وسـافرت إلى هذا (الوجه) أي: إلى هذه الجهـة وهـذا كثـير مشـهور فالوجـه هـو الجهة.. فالمعنى: أي موضـع اسـتقبلتموه فهنالـك وجـه اللـه فقـد جعل وجه الله في المكان الذي يستقبله هذا .. فـأخبر أن الجهـات له فدل على أن الإضافة إضافة تخصيص وتشريف؛ كأنه قال جهــة الله وقبلة الله)[1]

وهكذا يحتالون على النصوص بوجـوه الحيـل الـتي لا يمكن أن نسردها هنا..

ومثلما علقوا كل عضو من الأعضاء بأدوار يمارسها، فقد نصـوا على بعض أدوار الوجه في الرواية التالية، والـتي فهموهـا بمعناهـا الحرفي، وهي ما رووه عن ابن عمر قال: (إن الله عز وجل مقبل على عبده بوجهه ما أقبل إليه، فإذا التفت انصرف عنه)[2]

وفي رواية عن حذيفة: (لا تتفل بين يديك ولا عن يمينـك، فـإن عن يمينك كاتب الحسنات، فإن الرجل إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم قام فصلى، أقبل الله تعالى إليه بوجهه يناجيه، فلا يصرفه عنــه حتى ينصرف أو يحدث حدث سوء)[3]

ومن أدوار الوجهـة أو أوصـافه ــ كمـا ذكـروا ــ (الْبَشْبَشَـةُ أو الْبَشَاشَةُ)، وقد استدلوا لها بـالكثير من المرويـات، منهـا مـا رووه عن أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ قال: (ما توطن رجل مسلم المســاجد للصلاة والـذكر ؛ إلا تبشـبش اللـه لـه كمـا يتبشـبش أهـل الغـائب بغائبهم إذا قدم عليهم)[4]

وقد علق أبو يعلى على هذا الحديث وأمثاله بقوله: (.. وكذلك

---

[1] () الفتاوى 6/14-17.

[2] () أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (2/89) رقم (656)

[3] () أخرجه عبـد الـرزاق في مصـنفه (1/432 ـ 433). وابن خزيمـة في التوحيـد (1/35 ـ 36) رقم (9)

[4] () رواه ابن ماجه واللفظ له (صحيح سنن ابن ماجه/652). وأحمد في المسند (8332). والطيالسي (2334). والحاكم (1/213)

القـول في البشبشـة ؛ لأن معنـاه يقـارب معـنى الفـرح، والعـرب تقول: رأيت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحـاً، ويقولـون: فلان هش بش فـرح، إذا كـان منطلقـاً، فيجـوز إطلاق ذلـك كمـا جـاز إطلاق الفرح)[1]

وقال الـدارمي: (وبلغنـا أنَّ بعض أصـحاب المريسـي قـال لـه: كيف تصنع بهـذه الأسـانيد الجيـاد الـتي يحتجـون بهـا علينـا في رد مذاهبنا مما لا يمكن التكذيب بهـا ؛ مثـل: سـفيان عن منصـور عن الزهري، والزهري عن سـالم، وأيـوب بن عـوف عن ابن سـيرين، وعمـرو بن دينـار عن جـابر عن النـبي ﷺ .. ومـا أشـبهها؟) قـال: ((فقال المريسي: لا تردوه تفتضحوا، ولكن ؛ غـالطوهم بالتأويـل ؛ فتكونوا قد رددتموها بلطف ؛ إذ لم يمكنكم ردها بعنف ؛ كما فعـل هذا المعارض سواء.. وسننقل بعض ما روي في هـذه الأبـواب من الحب والبغض والسخط والكراهية وما أشبهه .. [ثم ذكـر أحـاديث في صـــفة الحب ثم البغض ثم الســـخط ثم الكـــره ثم العجب ثم الفرح، ثم حديث أبي هريرة السابق في البشاشـة، ثم قـال] وفي هذه الأبـواب روايـات كثـيرة أكـثر ممـا ذكـر، لم نـأت بهـا مخافـة التطويل)[2]

الفم:

وقد اعتبروه أيضا من صفات الله الذاتية، قال أبو يعلى: (اعلم أنه غير ممتنع إطلاق الفي عليه سبحانه، كما لم يمتنع إطلاق اليـــد والوجه والعين، وقد نص أحمد على ذلـك في رسـالة أبي العبـاس أحمد بن جعفر الفارسي: فقال: كلم الله موسى تكليمـا من فيـه)[3]

ومن الوظـائف المرتبطـة بـه الكلام والضـحك: أمـا **الكلام**، فسـنتحدث عنـه بتفصـيل في الفصـل الأخـير من هـذا الكتاب، لأنهم يعنون بـه الحـديث بالشـفتين .. وقـد رووا عن بعض سلفهم في ذلك أنه سئل: (كيف كلم الله عـز وجـل موسـى عليـه السـلام؟ قـال: مشـافهة) [4]، ورووا عن رسـول اللـه ﷺ أنـه قـال:

---

[1] () إبطال التأويلات (1/243).

[2] () في رده على بشر المريسي (ص 200).

[3] () إبطال التأويلات (ص: 387).

[4] () 1/286 (547). وأخرجه الطبري في التفسير 6/29

(كأن الخلق لم يسمعوا القرآن حين سمعوه من فيه يوم القيامـة)[1]

وأما **الضحك**، وهو عندهم من الصفات المرتبطـة بـالفم، فقـد أوردوا فيه نصوصا كثيرة، منها ما رووه عن أبي رزين،، أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (وضـحك ربنـا عـز وجـل من قنـوط عبـاده، وقـرب غيره)، وقال: قلت: أو يضحك الـرب عـز وجـل؟ قـال: نعم، قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا [2].

ورووا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (ضحك الله عـز وجـل من رجلين قتـل أحـدهما صـاحبه ثم دخلا الجنـة)[3]، ورووا عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قوله: «يتجلى لنا ربنا ضاحكًا»[4]

ورووا عن طلحة بن البراء، أن رسول الله ﷺ لما أخـبر بمـوت طلحة رفع رأسه إلى السـماء، ثم قـال: (اللهم القـه وهـو يضـحك وأنت تضحك إليه)[5]

بل ذكروا ـ فوق ذلك ـ أن للـه تعـالى في فمـه أضراسـا، وقـد رووا في ذلك عن جابر أنه سئل عن الورود، وذكر الحـديث، وقـال فيه: (فيقول الله، عز وجل: أنا ربكم، فيقولـون: حـتى ننظـر إليـك فيتجلى لهم يضحك) قال: سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (حـتى تبدو لهاته وأضراسه)[6]

وقد علق أبو يعلى على هذه الأحاديث وغيرها بقوله: (اعلم أنه غير ممتنع حمل هذه الأحاديث على ظاهرها من غـير تأويـل، وقـد نص أحمـد على ذلـك في روايـة الجماعـة، قـال في روايـة حنبـل: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصـديقها الرسـول ﷺ القـرآن، وقال المروذي: سألت أبـا عبـد اللـه عن عبـد اللـه الـتيمي فقـال: صـدوق، وقـد كتبت عنـه من الرقـايق، ولكن حكي عنـه أنـه ذكـر حديث الضـحك فقـال: مثـل الـزرع الضـحك، وهـذا كلام الجهميـة، قلت: مـا تقـول في حـديث ابن جـريج، عن أبي الزبـير، عن جـابر (فضحك حتى بدت)، قال: هذا يشنع به، قلت: فقد حدثت به، قال:

---

[1] () إبطال التأويلات (ص: 387).

[2] () رواه الإمـام أحمـد في المسـند 4/11 ورواه ابن ماجـه في السـنن 1/64 رقم (181)؛ ورواه ابن أبي عاصم في السنة 1/244.

[3] () رواه مسلم في صحيحه 3/1504، 1505.

[4] () رواه الدارمي في الرد على الجهمية ص288 .

[5] () إبطال التأويلات (ص: 216)

[6] () إبطال التأويلات (ص: 214)، وعزاه إلى الدارقطني في الصفات.

ما أعلم أني حدثت به إلا محمـد بن داود يعـني المصيصـي، وذلـك أنه طلب إلي فيه، قلت: أفليس العلماء تلقته بالقبول؟ قـال: بلى، قال أبو بكر الخلال: رأيت في كتـاب لهـرون المسـتملي أنـه قـال لأبي عبد الله: حديث جـابر بن عبـد اللـه (ضـحك ربنـا حـتى بـدت لهواتـه أو قـال أضراسـه) ممن سـمعته؟ قـال: حـدثنا روح، قـال رسول الله ﷺ:(يضحك حتى بدت لهواتـه أو قـال أضراسـه)، فقـد نص على صحة هذه الأحـاديث والأخـذ بظاهرهـا والإنكـار على من فسرها، وذلك أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صــفاته ولا يخرجها عما نستحقه)[1]

العين:

وقد اعتبروها أيضا من صفات الله الذاتيـة، بـل اعتبروهـا آلـة الإبصار لله.. بل ـ وللمزيد من التجسيم ـ أثبتوا لله عيـنين، وأولـوا ما ورد في القرآن الكريم مما يـدل على أكـثر من ذلـك، قـال ابن تيميـة ردا على من أود عليـه هـذا الاعـتراض: (دعـواه أن ظـاهر القرآن أن لله أعيناً كثيرة وأيدياً كثيرة باطلٌ وذلك أنه وإن كان قد قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمـر 14] وقـال: ﴿وَاصْـنَعِ الْفُلْـكَ بِأَعْيُنِنَـا وَوَحْيِنَـا﴾[هــود 37] وقــال: ﴿وَاصْــبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَــا ﴾ [الطور 48] وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّا خَلَقْنَـا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْـدِينَا ﴾ [يس 71]فقد قال في قصة موسـى: ﴿ وَلِتُصْـنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَـلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُـهُ﴾ [طـه 39-40] فقد جاء هذا بلفظ المفرد في موضـعين فلم يكن دعـواه الظهـور في معنى الكثرة لكونه جاء بلفظ الجمـع بـأولى من دعـوى غـيره الظهـور في معـنى الإفـراد لكونـه قـد جـاء بلفـظ المفـرد في موضعين)[2]

وقــد عقــد ابن خزيمــة مقارنــات عجيبــة بين عين اللــه وعين البشــر، وســنذكر النص مـع طولـه الشـديد، لنـبين من خلالـه أن اعتبارهم للعين صفة دجـل وخرافـة، لأنهم في قـرارة نفوسـهم لا يريدون بهـا إلا العضـو الـذي لا يختلـف عن عضـو الإنسـان إلا في كيفيته وشكله.

يقول ابن خزيمة في معرض دفاعه عن تنزيه المجسمة: (نحن

---

[1] () إبطال التأويلات (ص: 217)

[2] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (5/ 474).

نقـول: لربنـا الخـالق عينـان يبصـر بهمـا مـا تحت الـثرى، وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السماوات العلى، وما بينهما من صـغير وكبـير، لا يخفى على خالقنـا خافيـة في السـماوات السـبع والأرضـين السـبع، ولا ممـا بينهم ولا فـوقهم، ولا أسـفل منهن لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحـار ولججهـا كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه)[1]

هذا بالنسبة لعين الله، وهو كما نرى يـذكر وظائفهـا وقـدراتها، ويبين أن الله يرى بها، أي أنه يفتقر إليها لتحصل له الرؤية..

ثم يذكر وجوه الفرق بين عين الله وعين البشر، فيقول: (وبنـو آدم وإن كانت لهم عيون يبصرون بها فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم، مما لا حجاب ولا ستر بين المـرئي وبين أبصـارهم، ومـا يبعد منهم، إن كان يقع اسم القـرب عليـه في بعض الأحـوال، لأن العرب التي خوطبنا بلغتها قد تقول: قرية كذا منا قريبة، وبلدة كذا قريبة منا، ومن بلدنا، ومنزل فلان قريب منا، وإن كان بين البلدين وبين القريـتين وبين المـنزلين فراسـخ، والبصـير من بـني آدم لا يدرك ببصره شخصا آخر، من بـني آدم، وبينهمـا فرسـخان فـأكثر، وكـذلك لا يـرى أحـد من الآدمـيين مـا تحت الأرض إذا كـان فـوق المرئي من الأرض والتراب قدر أنملة، أو أقل منها بقدر مـا يغطى ويوارى الشيء، وكذلك لا يدرك بصره إذا كـان بينهمـا حجـاب من حائـط، أو ثـوب صـفيق، أو غيرهمـا ممـا يسـتر الشـيء عن عين الناظر، فكيف يكون يا ذوي الحجا مشبها من يصف عين اللـه بمـا ذكرنا، وأعين بني آدم بما وصفنا) [2]

ثم يذكر فروقا أخرى، فيقول: (ونزيد شرحا وبيانا نقـول: عين الله عز وجل قديمة، لم تزل باقية، ولا يـزال محكـوم لهـا بالبقـاء، منفي عنها الهلاك، والفناء، وعيون بني آدم محدثة مخلوقة، كـانت عدما غير مكونة، فكونها الله، وخلقها بكلامه الـذي هـو: صـفة من صفات ذاته، وقد قضـى اللـه وقـدر أن عيـون بـنى آدم تصـير إلى بلاء، عن قليـل، واللـه نسـأل خـير ذلـك المصـير، وقـد يعمي اللـه عيون كثير من الآدميين فيذهب بأبصـارها قبـل نـزول المنايـا بهم، ولعل كثيرا من أبصار الآدميين فيذهب بأبصارها قبل نـزول المنايـا بهم.. فما الذي يشبه - يا ذوي الحجا - عين الله التي هي موصوفة بما ذكرنا عيون بني آدم التي وصفناها بعد؟)

---

[1] () التوحيد لابن خزيمة (1/ 116)

[2] () التوحيد لابن خزيمة (1/ 116)

ثم ذكر أمـرا خطـيرا يـدل على مبلـغ التنزيـه السـلفي، فقـال: (ولست أحسب: لو قيل لبصـير لا آفـة ببصـره، ولا علـة بعينـه، ولا نقص، بل هـو أعين، أكحـل، أسـود الحـدق، شـديد بيـاض العيـنين، أهـدب الأشـفار: عينـك كعين فلان الـذي هـو صـغير العين، أزرق، أحمر بياض العينين، قد تناثرت أشفاره، وسقطت، أو كـان أخفش العين، أزرق، أحمر بياض العينين، قد تنـاثرت أشـفاره، وسـقطت، أو كان أخفش العين، أزرق، أحمر بياض شحمها، يـرى الموصـوف الأول: الشخص من بعيد، ولا يرى الثـاني مثـل ذلـك الشـخص من قدر عشر مـا يـرى الأول، لعلـة في بصـره، أو نقص في عينـه، إلا غضب من هذا وأنـف منـه، فلعلـه يخـرج إلى القائـل لـه ذلـك إلى المكـروه من الشـتم والأذى ولسـت أحسـب عـاقلا يسـمع هـذا المشبه عيني أحدهما بعيني الآخر، إلا هو يكذب هـذا المشـبه عين أحدهما بعين الآخر، ويرميه بالعته، والخبل والجنون، ويقول له: لـو كنت عاقلا يجري عليك القلم: لم تشبه عيني أحدهما بعيني الآخر، وإن كانا جميعا يسميان بصـيرين، إذ ليسـا بـأعميين، ويقـال: لكـل واحد منهمـا عينـان يبصـر بهمـا، فكيـف لـو قيـل لـه: عينـك كعين الخنزير، والقرد، والـدب، والكلب، أو غيرهـا من السـباع، أو هـوام الأرض، والبهائم، فتدبروا يا ذوي الألباب أبين عيـني خالقنـا الأزلي الـدائم البـاقي، الـذي لم يـزل ولا يـزال، وبين عيـني الإنسـان من الفرقان أكثر، أو مما بين أعين بني آدم وبين عيون ما ذكرنا؟)[1]

وانطلاقا من هذا يرد على من رماهم بالتشبيه بقولـه: (تعلمـوا وتستيقنوا أن من سمى علماءنا مشبهة غير عالم بلغة العـرب، ولا يفهم العلم، إذ لم يجز تشبيه أعين بني آدم بعيون المخلوقين، من السباع والبهائم، والهوام، وكلها لهـا عيـون يبصـرون بهـا، وعيـون جميعهم محدثة مخلوقـة، خلقهـا اللـه بعـد أن كـانت عـدما، وكلهـا تصير إلى فناء وبلى، وغير جائز إسقاط اسم العيون والأبصـار عن شيء منها، فكيف يحل لمسلم - لو كانت الجهميـة من المسـلمين - أن يرموا من يثبت لله عينا بالتشبيه، فلو كان كل مـا وقـع عليـه الاسم كان مشبها لما يقع عليه ذلك الاسم، لم يجـز قـراءة كتـاب الله، ووجب محو كل آية بين الدفتين فيها ذكر نفس الله، أو عينه، أو يده، ولوجب الكفر بكل مـا في كتـاب اللـه عـز وجـل من ذكـر صفات الـرب، كمـا يجب الكفـر بتشـبيه الخـالق بـالمخلوق، إلا أن القوم جهلة، لا يفهمون العلم، ولا يحسنون لغـة العـرب، فيضـلون

---

[1] () التوحيد لابن خزيمة (1/ 117)

ويضلون)[2]

اليد:

يركز السلفية كثيرا على وصف الله تعالى باليـد، باعتبارهـا من الصفات الذاتيـة الكـبرى للـه تعـالى، وهم يضـعون لهـا الكثـير من الصفات التابعة لها، وهي في الحقيقة عبارة عن وظائفهـا، ولكنهم يعـبرون عن الجميـع تعبـيرا واحـدا، وهـو (الصـفة)، لكن يفرقـون بينهما في نوع الصـفة، فاليـد والأصـابع الـتي ترتبـط بهـا يسـمونها (صفة ذات)، والوظائف التي تقوم بها اليد يسمونها (صـفة فعـل)، وقــد يقــع الخلاف الشــديد بينهم في التميــيز بين صــفات الــذات وصفات الفعل.

وهم ينطلقون في إثباتهم لهذه الصفة من النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية التي ذكرت اليد كما يذكر العرب اليد في كلامهم، وقد يريدون ظـاهره، وقـد لا يريدونـه.. ولكن السـلفية لا يفهمـون من اليد إلا اليد حـتى لـو أولـوا كـل مـا في النص، لكن اليـد تبقى دائما عندهم صفة ذاتية لله، ويعتبر جهميـا ومعطلا من لم يعتبرهـا كذلك.

ومن النصــوص الــتي يســتدلون بهــا على ذلــك قولــه تعــالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائـدة: 64] مـع أن الآيــة واضـحة في أن المراد منها هو نفي البخل عن الله لا إثبـات اليـد لـه، وهي مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْــطِ فَتَقْعُــدَ مَلُومًــا مَحْسُــورًا ﴾ [الإســراء: 29]، فلا أحــد من الفقهاء ـ حتى السلفية أنفسهم ـ يحرم قبض اليد أو بسطها.

ومثلها قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: 75] مع أن الآية الكريمـة واضـحة كـذلك في الدلالـة عـل القـدرة والفعل الإلهي، وليس على قصد اليد، كما قال تعـالى: ﴿ذَلِـكَ بِمَـا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران: 182]، فالجرائم الـتي يعـاقب عليهـا الكفار ليس ما يفعلونه بأيديهم فقط.

أما الأحاديث النبويـة الـتي يسـتدلون بهـا فهي كثـيرة جـدا، ولا يمكن مناقشتها هنا، ولا حتى الاسـتدلال بهـا لأن الكثـير منهـا روي بالمعنى، وقد يتصرف الـراوي في ألفـاظ الحـديث، ومن الصـعوبة

---

(2) التوحيد لابن خزيمة (1/ 117)

حينـذاك اسـتنباط قضـية عقديـة خطـيرة كهـذه من أمثـال تلـك الروايات.

ولكن المنهج السلفي ـ كما ذكرنا ـ يقبل كل مـا روي حـتى لـو كان من آحاد الناس ما دام موافقا لهم في التجسيم.. ولهذا كثرت عندهم الروايات والأخبار التي يستدلون بها على إثبات اليد لله.

يقـول ابن القيم: (ورد لفـظ اليـد في القـرآن والسـنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مئة موضع وروداً متنوعـاً متصـرفاً فيـه مقرونـاً بمـا يـدل على أنهـا يـد حقيقـة من الإمسـاك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات..)[1]

وقال أبو بكر الإسماعيلي: (وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيـف يشـاء، بلا اعتقـاد كيـف يـداه، إذ لم ينطـق كتاب الله تعالى فيه بكيف)[2]

وقال ابن تيمية: (إنَّ لله تعالى يـدين مختصـتان بـه ذاتيتـان لـه كما يليق بجلاله)[3]

وقال الشيخ عبد الله الغنيمـان: (هـذا ؛ وقـد تنـوعت النصـوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على إثبات اليدين لله تعـالى وإثبات الأصابع لهما، وإثبات القبض وتثنيتهمـا، وأنَّ إحـداهما يَمِين، وفي نصوص كثيرة، والأخـرى شـمال ؛ كمـا في (صـحيح مسـلم)، وأنه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وبالنهـار ليتـوب مسـيء الليـل، وأنـه تعـالى يتقبـل الصـدقة من الكسـب الطيب بيَمِينه، فيربيها لصاحبها، وأنَّ المقسـطين على منـابر من نـور عن يَمِين الرحمن، وكلتا يديه يَمِين، وغير ذلك ممـا هـو ثـابت عن اللـه ورسوله .. وقد أتانا ﷺ بذكر الأصابع، وبـذكر الكـف، وذكـر اليَمِين، والشِّمال، واليـدين مـرة مثنـاة، ومـرة منصـوص على واحـدة أنـه يفعل بها كذا وكذا، وأنَّ الأخرى فيها كـذا ؛ كمـا تقـدمت النصـوص بذلك)[4]

ومما يدل على أن مرادهم من اليد هو الجارحة، وليس الصـفة كما يزعمون هو تأويلهم لما ورد في القرآن من ذكر الأيدي بصيغة الجمع، لأنهم يذكرون أن لله يدين فقط، وليس أكثر من ذلـك، لأن صورته ـ كما سنرى ـ مثل صورة الإنسان.

---

[1] () مختصر الصواعق المرسلة (2/171).

[2] () في اعتقاد أئمة الحديث (ص 51) :.

[3] () مجموع الفتاوى (6/263).

[4] () انظر: شرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/311).

يقول ابن تيمية في تأويل ما ورد من الأيدي بصيغة الجمع: (فالله - سبحانه وتعالى - يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد، مظهرا أو مضمرا، وتارة بصيغة الجمع، كقوله: إنا فتحنا لك فتحا مبينا وأمثال ذلك. ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك، فلو قال: ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي. كان كقوله: مما عملت أيدينا، وهو نظير قوله: بيده الملك و بيدك الخير، ولو قال:خلقت بيدي. بصيغة الإفراد، لكان مفارقا له، فكيف إذا قال: خلقت بيدي بصيغة التثنية)[1]

ويقول الدارمي في (النقض على المريسي): (وروى المعارض أيضا عن ابن عباس: «الركن يمين الله في الأرض، يصافح به خلقه»[2]، فروى عن هذا الثلجي من غير سماع منه أنه قال:يمين الله: نعمته وبركته وكرامته، لا يمين الأيدي. فيقال لهذا الثلجي - الذي يريد أن ينفي عن الله بهذه الضلالات يديه اللتين خلق بهما آدم ويلك أيها الثلجي! إن تفسيره على خلاف ما ذهبت إليه، وقد علمنا يقينا أن الحجر الأسود ليس بيد الله نفسه، وأن يمين الله معه على العرش غير بائن منه، ولكن تأويله عند أهل العلم: كأن الذي يصافح الحجر الأسود ويستلمه كأنما يصافح الله، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: 10] فثبت له اليد التي هي اليد عند ذكر المبايعة، إذ سمى اليد مع اليد، واليد معه على العرش، وكقول النبي ﷺ: «إن الصدقة تقع في يد الرحمن قبل يد السائل». فثبت بهذا اليد التي هي اليد، وإن لم يضعها المتصدق في نفس يد الله)[3]

ولم يكتف السلفية بهذا، بل راحوا يختلفون في جواز إطلاق لفظ الشمال على يد الله الثانية.. مع اتفاقهم على أن إحدى يديه شمال، والأخرى يمين..

وقد قال بإثبات الشمال من أئمتهم الكبار المعتمدين: عثمان بن سعيد الدارمي، وأبو يعلى الفراء، ومحمد بن عبد الوهاب، وصديق حسن خان، ومحمد خليل الهرَّاس، وعبدالله الغنيمان،

---

[1] () التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع (ص: 75).

[2] () عبد الرزاق (8919)، والأزرقي في أخبار مكة (1/ 323، 324، 326)

[3] () النقض على المريسي (ص: 266).

وغيرهم مستدلين لذلك بأحاديث كثيرة منها ما رووه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (يطوي الله عَزَّ وجَلَّ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك! أين الجبارون؟أين المتكبرون؟ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أين الجبارون؟أين المتكبرون؟)[1]

ومنها ما رووه عن أبي الدرداء مرفوعاً إلى النبي ﷺ: (خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليَمِين فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحُمم، فقال للتي في يَمِينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للتي في يساره: إلى النار ولا أبالي)[2]

ومن أدلتهم العقلية على هذا أن وصف إحدى اليدين باليَمِين ؛ كما في الأحاديث السابقة، يقتضي أنَّ الأخرى ليست يَمِيناً، فتكون شمالاً، وفي بعض الأحاديث تذكر اليَمِين، ويذكر مقابلها: (بيده الأخرى))، وهذا يعني أنَّ الأخرى ليست اليَمِين، فتكون الشِّمال.

يقول أبو سعيد الدارمي: (وأعجب من هذا قول الثلجي الجاهل فيما ادعى تأويل حديث رسول الله ﷺ: (المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يَمِين الرحمن وكلتا يديه يَمِين))، فادعى الثلجي أنَّ النبي ﷺ تأول كلتا يديه يَمِين ؛ أنه خرج من تأويل الغلوليين أنها يَمِين الأيدي، وخرج من معنى اليدين إلى النعم ؛ يعني بالغلوليين: أهل السنة ؛ يعني أنه لا يكون لأحد يَمِينان، فلا يوصف أحد بيَمِينين، ولكن يَمِين وشمال بزعمه.. ويلك أيها المعارض! إنما عنى رسول الله ﷺ ما قد أطلق على التي في مقابلة اليَمِين الشِّمال، ولكن تأويله: (وكلتا يديه يَمِين)؛ أي: مُنَزَّه على النقص والضعف ؛ كما في أيدينا الشِّمال من النقص وعدم البطش، فقال: (كِلتا يدي الرحمن يَمِين) ؛ إجلالاً لله، وتعظيماً أن يوصف بالشِّمال، وقد وصفت يداه بالشِّمال واليسار، وكذلك لو لم يجز إطلاق الشِّمال واليسار ؛ لما أطلق رسول الله ﷺ، ولو لم يجز أن يُقال: كلتا يدي الرحمن يَمِين ؛ لم يقله رسول الله ﷺ، وهذا قد جوزه الناس في الخلق ؛ فكيف لا يجوز ابن الثلجي في يدي الله أنهما جميعاً يَمِينان، وقد سُمِّي من الناس ذا الشِّمالين، فجاز نفي دعوى ابن الثلجي أيضاً، ويخرج ذو الشِّمالين من معنى

---

[1] مسلم في صحيحه (2788).

[2] عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (1059). والبزار في مسنده (2144-كشف). وقال: إسناده حسن..

أصحاب الأيدي)[1]

وقال صديق حسن خان: (ومن صفاته سبحانه: اليد، واليَمِين، والكف، والإصبع، والشِّمال..)[2]

وقد ذهب إلى خلاف هذا، وأنَّ كلتا يدي الله يَمِين لا شمال ولا يسار فيهما ابن خزيمة، والإمام أحمد، والبيهقي، والألباني، مستدلين على ذلك بما رووه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يَمِين الرحمن عَزَّ وجَلَّ، وكلتا يديه يَمِين..)[3]

وبما رووه عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ: (لما خلق الله آدم، ونفخ فيه من روحه ؛ قال بيده وهما مقبوضتان: خذ أيهما شئت يا آدم، فقال: اخترت يَمِين ربي، وكلتا يداه يَمِين مباركة، ثم بسطها..)[4]

وقد قال ابن خزيمة في هذا: (باب: ذكر سنة ثامنة تبين وتوضح أنَّ لخالقنا جلَّ وعلا يدين، كلتاهما يَمِينان، لا يسار لخالقنا عَزَّ وجَلَّ ؛ إذ اليسار من صفة المخلوقين، فَجَلَّ ربنا عن أن يكون له يسار)[5]

وقال: (.. بل الأرض جميعاً قبضةُ ربنا جَلَّ وعلا، بإحدى يديه يوم القيامة، والسماوات مطويات بيَمِينه، وهي اليد الأخرى، وكلتا يدي ربنا يَمِين، لا شمال فيهما، جل ربنا وعز عن أن يكون له يسار ؛ إذ كون إحدى اليدين يساراً إنما يكون من علامات المخلوقين، جل ربنا وعز عن شبه خلقه)[6]

وقال الإمام أحمد: (وكما صح الخبر عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال: (وكلتا يديه يَمِين)، الإيمان بذلك، فمن لم يؤمن بذلك، ويعلم أنَّ ذلك حق كما قال رسول الله ﷺ ؛ فهو مُكَذِّبٌ برسول الله ﷺ)

---

[1] أبو سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي، ص 155.

[2] قطف الثمار (ص 66).

[3] مسلم في (صحيحه (1827).

[4] ابن أبي عاصم في السنة (206). وابن حبان (6167). والحاكم (1/64) وصحَّحَه. وعنه البيهقي في (الأسماء والصفات (2/56) . والحديث حسَّنه الألباني في تخريجه لـ (السنة)

[5] كتاب التوحيد (1/159).

[6] كتاب التوحيد (1/197).

(1)

ومن الوظائف التي ذكرهـا السـلفية لليـدين (البَسْـطُ والقَبْضُ)، وهمـا مصـطلحان قرآنيـان، ورد بهمـا اسـمي الباسـط والقابض، كما قال تعالى: ﴿وَاللـهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُـطُ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ﴾ [البقرة: 245]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمنْ يَشَـاءُ وَيَقْـدِرُ﴾ [الإسراء: 30]، ومع أن دلالتهما في القرآن الكريم عميقة جــدا إلا أن السلفية يربطونهما باليد..

ومن الأحاديث التي رووها للدلالة على هـذا مـا رووه في بعض صيغ حديث النزول وهي صيغة خطيرة جدا، لأنها تصور الله تعـالى بصورة الشحاذ المستجدي، فقد رووا عن أبي هريـرة قولـه: (.. ثم **يبسط** يديـه تبـارك وتعـالى ؛ يقـول: من يقـرض غـير عَـدُومٍ ولا ظَلُوم)[2]

قال ابن تيمية في تقرير هذه الوظيفة: (ووصف نفسه (يعـني: الله) ببسط اليدين، فقال﴿..بَل يَـدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ﴾، ووصـف بعض خلقه ببسط اليـد في قولــه تعـالى: ﴿وَلا تَجْعَـل يَـدَكَ مَغْلُولَـةً إِلَى عُنُقِـكَ وَلا تَبْسُـطْهَا كُـل البَسْـطِ﴾، وليس اليـد كاليـد، ولا البسـط كالبسط..)[3]، أي أن كيفية بسط لله ليده تختلف عن الكيفية الـتي يبسط بها الخلق أيديهم.

ومن الوظائف التي ذكرهـا السـلفية لليـدين (الْحَثْـوُ)، وقـد رووا للدلالـة على هـذه الوظيفـة أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (وعـدني ربي أنَّ يـدخل الجنـة من أمـتي سـبعين ألفـاً لا حسـاب عليهم ولا عـذاب، مـع كـل ألـف سـبعون ألفـاً، وثلاث حثيـات من **حثيات** ربي)[4]

وفي رواية: (إنَّ ربي وعدني أنَّ يدخل من أمتي الجنـة سـبعين ألفاً بغير حساب، ثم يتبع كـل ألـف سـبعين ألفـاً، ثم **يحثي** بكفـه ثلاث حثيات، فكبَّر عمر..)[5]

---

[1] () طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (1/313).

[2] () مسلم(758).

[3] () التدمرية (ص 29).

[4] () رواه أحمد (5/268). وابن أبي عاصم في السنة (589). و الترمـذي (صـحيح سـنن الترمذي 1984). وابن ماجه (4286). وغيرهم.

[5] () رواه عثمان بن سعيد الدارمي في (رده على بشـر المريسـي (ص 37). وابن حبـان في (صحيحه (7247). والفسوي في (المعرفة والتاريخ (2/341). والطـبراني في (الكبـير (17/126). و (الأوسط (404).

وخطورة هذا الحديث ـ بحسب الرؤية السلفية ـ هو أن القول به يعني إلغاء كل ما ورد في النصوص المقدسة من عقاب.. ذلك أن حثية[1] واحدة من حثيات الله بحسب الجرم الذي يصفونه لله كافية في شمولها الخلق جميعا.. فهم في هذا بين أمرين: بين أن يجعلوا يد الله صغيرة لا تطيق حمل خلقه.. وإما أن ينفوا العذاب نفيا نهائيا.

ومن الوظائف التي ذكرها السلفية لليدين (الأَخْذُ بِالْيَدِ)، وقد سبق ذكر بعض الأحاديث التي استدلوا بها عليها، ومنها ما رفعوه إلى النبي ﷺ من قوله: (يأخذ الله عَزَّ وجَلَّ سماواته وأراضيه بيديه، فيقول: أنا الله (ويقبض أصابعه ويبسطها ؛ أي: النبي ﷺ)، أنا الملك)[2]

ومنها ما رووه عن أبي هريرة مرفوعاً: (وما تصدق أحد بصدقة من طيِّب، ولا يقبل الله إلا الطيِّب ؛ إلا **أخذها** الرحمن بيمينه)[3]

ومنها ما رووه عن رسول الله ﷺ في الدعاء المعروف: (اللهم أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها)[4]

وقد علق عليه الشيخ عبد العزيز السلمان بقوله: (مما يستفاد من الحديث: (صفة الأخذ)[5]

وقال الشيخ ابن عثيمين: (من صفات الله تعالى المجيء والإتيان والأخذ والإمساك والبطش إلى غير ذلك من الصفات .. فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد)[6]

الأصابع:

وهي من الأعضاء المرتبطة باليد، كما ينص السلفيون، **ويستدلون لها بما رووه عن رسول الله ﷺ أنه قال**: (إن

[1] () قال المباركفوري في (تحفة الأحوذي (7/129): ((ثلاث حثيات) ؛ بفتح الحاء والمثلثة. جمع حثية. والحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير)

[2] () رواه مسلم (2788-25 و 26).

[3] () رواه مسلم (1014).

[4] () رواه مسلم رقم (2713) والترمذي رقم (3397) وأبو داود رقم (5051)

[5] () الكواشف الجلية (ص 487).

[6] () القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص30).

قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من **أصابع** الرحمن)[1]

وبالحديث الذي رووه عن عبد الله بن مسعود؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: (يا أبا القاسم!إن الله يمسك السماوات على **إصبع**، والأرضين على **إصبع** .. إلى أن قال: فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾)[2]

وقد ذكر هذه الأحاديث وغيرها أبو بكر بن خزيمة في كتاب (التوحيد) تحت عنوان: (باب إثبات الأصابع لله عَزَّ وجَلَّ)[3]، وذكرها أبو بكر الآجري في (الشريعة) تحت عنوان: (باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرب عَزَّ وجَلَّ، بلا كيف)

وقال البغوي تعليقا على الحديث السابق: (والإصْبَع المذكورة في الحديث صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجَلَّ، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب أو السنَّة من هذا القبيل من صفات الله تعالى ؛ كالنَّفس، والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنُّزُول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح)[4]

ومن غرائب المجادلات مع المنزهة التي يوردها السلفية في هذا المجال ما ينقلونه عن ابن قتيبة في حل الإشكالات الكثيرة التي ينشئها الحديث السابق: (ونحن نقول: إنَّ هذا الحديث صحيح، وإن الذي ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث ؛ لأنه عليه السلام قال في دعائه: (يا مقلب القلوب!ثبت قلبي على دينك)، فقالت له إحدى أزواجه: أوَ تخاف يا رسول الله على نفسك؟ فقال: (إنَّ قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عَزَّ وجَلَّ)، فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى ؛ فهو محفوظ بتينك النعمتين ؛ فلأي شيء دعا بالتثبيت؟ولِمَ احتج على المرأة التي قالت له: أتخاف على نفسك؟ بما يؤكد قولها؟ وكان ينبغي أن لا يخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين. فإن قال لنا: ما الإصبع عندك ها هنا؟ قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: (يحمل الأرض على إصبع)، وكذا على إصبعين، ولا يجوز أن تكون الإصبع ها هنا نعمة، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

---

[1] رواه مسلم (2654).

[2] رواه: البخاري (7415) ومسلم (2786).

[3] التوحيد (1/187).

[4] شرح السنة (1/168).

قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعـاً قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، ولم يجز ذلك. ولا نقول: إصبعٌ كأصابعنا، ولا يدٌ كأيدينا، ولا قبضةٌ كقبضاتنا ؛ لأن كل شيء منه عَزَّ وجَلَّ لا يشبه شيئاً منا)[1]

ومن الصـفات الـتي يربطونهـا بالأصـابع [الأَنَامِـلُ]، ويعتبرونها من الصفات الذاتيـة للـه تعـالى، ويسـتدلون لها بما رووه عن معاذ بن جبل قال: (.. فإذا أنا بربي عَزَّ وجَلَّ (يعني: في المنام، ورؤى الأنبياء حقٌ) في أحسن صورة، فقال: يا محمـــد!فيم يختصـــم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب! قـــال: يـــا محمـــد!فيم يختصـــم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب! قـــال: يـــا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب! فرأيته وضـع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد **أنامله** في صدري..)[2]

وقـد رد ابن تيميـة على تأويـل الفخـر الـرازي لهـذا الحـديث، فقال: (فقولـه (أي: الرازي): وجدت برد أنامله ؛ أي: معناه وجدت أثر تلك العناية. يقال له: أثر تلك العنايـة كـان حاصـلاً على ظهـره وفي فؤاده وصدره ؛ فتخصيص أثـر العنايـة لا يجـوز ؛ إذ عنـده لم يوضع بين الكتفين شيء قط، وإنما المعنى أنه صرف الرب عنايته إليه، فكان يجب أن يـبين أنَّ أثـر تلـك العنايـة متعلـق بمـا يعم، أو بأشـرف الأعضـاء، ومـا بين الثـديين كـذلك ؛ بخلاف مـا إذا قـرأ الحديث على وجهه؛ فإنه إذا وضعت الكف على ظهره ؛ ثقل بردها إلى الناحيـــة الأخـــرى، وهـــو الصـــدر، ومثـــل هـــذا يعلمـــه النـــاس بالإحساس وأيضاً فقول القائل: وضع يده بين كتفي حـتى وجـدت بـرد أناملـه بين ثـديي نصٌ لا يحتمـل التأويـل والتعبـير بمثـل هـذا اللفظ عن مجرد الاعتناء، [وهذا] أمـر يعلم بطلانـه بالضـرورة من اللغة العربية، وهو من غث كلام القرامطة والسوفسطائية..)[3]

ثم بين الوجـه الصـحيح الـذي يفهمـه السـلفية، فقـال: (الوجـه السادس: أنـه ﷺ ذكـر ثلاثـة أشـياء ؛ حيث قـال: (فوضـع يـده بين كتفي حتى وجدت بردها)، وفي روايـة: (بـرد أناملـه على صـدري، فعلمت ما بين المشرق والمغـرب)، فـذكر وضـع يـده بين كتفيـه، وذكر غاية ذلك أنه وجد برد أنامله بين ثدييه، وهذا معنى ثان، وهـو

---

[1] () تأويل مختلف الحديث) (ص 245).

[2] () رواه الترمذي (3235)، وأحمد (5/ 243) (22162). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح؛ سألت محمد بن إسـماعيل - البخـاري - عن هـذا الحـديث فقـال: هـذا حـديث حسـن صحيح..

[3] () نقض أساس التقديس (ق 524-526).

وجود هذا البرد عن شيء مخصـوص في محـل مخصـوص، وعقب ذلك بقولـه: الوضع الموجود [كـذا]، وكـل هـذا يـبين أنَّ أحـد هـذه المعاني ليس هو الآخر)[1]

القدم:

وهي من الصفات التي يفرق بها السلفية بين السني والبدعي، ويسمونها صفة [الرجل] أيضا، ويقصدون بها ما نعرفه من القدم.. لكن الفـرق بين قـدمنا وقـدم اللـه لا يمكن تصـوره، لأن أقـدامنا تحترق بالنار، بينما قدم الله لا تؤثر فيها النار..

وقد أوردوا في ذلـك حـديثا، يحرصـون على الفهم الظـاهري الحرفي له، بل يبدعون المخـالف لـذلك الفهم، وهـو مـا رووه عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يلقى في النار وتقـول: هـل من مزيد؟ حتى يضع رجله فيها، أو قدمه، فتقول: قط قط[2])[3]

وقد أشار علم من أعلام السلفية المعاصرين، وهو الشـيخ أبـو أحمد محمد أمان جامي إلى الصـراع الـذي حصـل بين التنزيهـيين والمجسمة في تفسير الحديث، فقال: (هـذه الصـفة كـالتي قبلهـا من الصـفات الخبريـة والفعليـة محـل صـراع حـادّ بين السـلف والخلف، أما السلف - فهم كعادتهم- يرون أن المقـام ليس مقـام اجتهاد أو قياس أو استحسان، وإنما هو مقام تسليم لله ولرسـوله ﷺ، وأنه لا قول لأحد مـع قـول اللـه وقـول رسـوله المعصـوم ﷺ، الذي أمره ربه أن يبلغ ما أنزل إليه. فمما بلغـه الرسـول عن اللـه لأمته بعضُ أوصـاف الجنـة والنـار، وذلـك من الأمـور الغيبيـة الـتي أطلع الله عليها نبيه ﷺ، ولا سبيل للإنسـان العـادي أن يقـول فيهـا قولاً اجتهاداً أو استحساناً.. ففي مثل هذا المقام التوقيفي لا ينبغي للمرء الناصح لنفسـه أن يحـاول اسـتخدام قـوة عقلـه أو سـلطان فلسفته أو ما ورثه من مشايخه ليقول في هذا النص النبوي قـولاً يخالف قول المعصوم، فيفسر الحديث كما يريد ويستحسن.. وفي هذه الصفة (القَدَم) قد صح عنه الحـديث السـابق آنفـاً الـذي رواه

---

[1] () نقض أساس التقديس (ق 524-526).

[2] () (قط) فيها ثلاث لغات: سكون الطاء، وكسر الطاء بتنوين، وكسرها بلا تنوين، وقد ترد (قد) بالدال بدل الطاء ومعناها: حسبي حسبي، وكفاني وامتلأت. شرح مسلم 17/162..

[3] () أخرجه البخاري في التفسير رقم (4848) وفي التوحيد رقم (6661، 7384)؛ ومسلم في صفة الجنة والنار رقم (2848)

الإمام مسلم في صحيحه، فما علينا إلا التسليم لرسوله ﷺ)[1]

ثم قال: (وموقف السلف من معنى الحديث هـو أن الحـديث من أحاديث الصفات، وأن القدم صفة من الصـفات الخبريـة الـتي تمر كما جـاءت دون تأويـل أو تحريـف في النص، ودون تشـبيه أو تمثيل لصفات الله بصفات خلقه، فلا تقاس قدمه بأقدام خلقه، ولا رجله بأرجل مخلوقاته، بـل يكتفى بـالمعنى الوضـعي للكلمـة دون محاولة لإدراك حقيقة قدمـه، وقـد عجزنـا عن إدراك حقيقـة ذاتـه سبحانه فآمنا وسلمنا لله ولرسوله، هذا موقـف لا يتغـير ولا يتبـدل بالنسبة لأتباع السلف، بـل موقـف ثـابت وهـو اتبـاع النصـوص في جميع الصفات خبرية أو غيرها) [2]

ثم ذكر موقف المنزهة من الحـديث منتقـدا لـه، فقـال: (وأمـا الخلف فقـد تكلفـوا في تأويـل هـذا الحـديث أكـثر من تكلفهم في تأويل أي نص آخر من نصوص الصفات، فتكلفهم هنا يشـبه تكلـف القرامطة في نصوص المعاد، بل لجميع نصوص الشـريعة، فـزعم المتكلمون الخلف هنا أن الحديث -كغـيره من نصـوص الصـفات - يـؤول بمـا يليـق باللـه - يـا سـبحان اللـه - فمـتى دلت النصـوص بظاهرها على ما لا يليق باللـه لـو فهمت.. فقـال بعضـهم: المـراد بالقدم هنا المتقدم ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها ما قدمـه لهـا من أهل العذاب.. وأنت تلاحظ أن هذا التأويل التقليدي لم يمكنهم من الانتباه للضمير (قدمه) أو (رجله) وأن الذي لا يختلف فيه أهل العلم أن الإضافة تخصص الصفة للموصوف، بمعـنى إذا قلنـا: علم الله وقدرة الله مثلاً، فلا يشترك علم المخلـوق أو قدرتـه في علم الله المختص بالإضافة بأي نوع من أنواع المشاركة وكذلك قدرته، لأن الاشـــتراك لا يقـــع إلا في المطلـــق الكلي غـــير المختص لا بـالمخلوق ولا بالخـالق. وكـذلك يقـال هنـا لأن القـدم لم تـرد إلا مضـافة مختصـة ولا يشـترك معهـا شـيء من أقـدام خلقـه، ولا مشابهة بينهما - وهذا التأويل الذي تـورط فيـه أتبـاع الفلاسـفة لم يفطن لهذا المعنى، وعدم التفطن لهـذا المعـنى هـو سـر تخبطهم في جميع الصفات الخبرية والفعلية.. وأما الرواية التي فيها (حـتى يضع الله فيها رجله)، فقد حاولوا فيها أولاً تضعيف الحديث ليريحوا أنفسهم من ذلك التأويل المستكره والمستنكر ولكنهم لم يفلحوا، لأن الحديث صحيح رواه مسلم في صحيحه، قـال الإمـام النـووي:

[1] الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: 320).

[2] الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: 320).

(فقد زعم ابن فورك أن هذه الرواية غـير ثابتـة عنـد أهـل النقـل، ولكن قد رواها مسلم وغيره في صـحيحه، فلجـأوا أخـيراً إلى نـوع غريب من التأويل حيث قالوا: يجوز أن يراد بالرّجـل الجماعـة من الناس، كما يقال: رجل من (جراد) أي قطعة منه، وهو تكلف غـني عن الإعلان عنه، بل هو يعلن عن نفسه، والاستشهاد برجْل الجراد أشد غرابـة كمـا تـرى، وهـو استشـهاد يضـحك (الحـزين) .. وقـال بعضهم: المراد بالقدم قوم استحقوها وخُلِقُوا لها، وقالوا: لا بد من صرف لفظة (القَـدَمِ) عن ظاهرهـا لقيـام الـدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى، فمن ذا الذي قال: إن قَدَمَ الله جارحة من الجوارح حـتى تضـطروا إلى مثـل هـذه المناقشـة واستعمال هذا الأسلوب، بل الـذي عليـه سـلف هـذه الأمـة - وهم أعلم وأدق وأقدم- أن قَدَمَ الله ووجه اللـه ويـده وعينـه وأصـابعه، وما في معناها من هذه الصفات الخبرية صفات لله على مـا يليـق به سبحانه، وليست بجوارح له، ولا نعلم عن كُنهها شـيئاً، بـل آمنـا بها على مراد الله ومراد رسوله من حيث الحقيقة والكُنه. ومعـنى الكلمـة معلـوم من الوضـع والكيـف مجهـول والبحث عن الكيفيـة بدعة، أحدثها علماء الكلام، والإيمان بها على أنها صفات ذاتية للـه واجب من واجبات الدين الإسلامي، ولا ينقضي عجبي عنـدما أقـرأ هـذه العبـارة التقليديـة المتوارثـة: (إن الـدليل العقلي القطعي يقتضي اسـتحالة قيـام الجـوارح باللـه) أو عبـارة قريبـة من هـذه، فكيـف يعتقـد مسـلم أن الآيـات القرآنيـة الـتي أنزلهـا اللـه العليم الحكيم، والأحـاديث النبويـة الـتي أوحاهـا إلى رسـوله ﷺ تـدل بظواهرها على ما لا يليق بالله أو على ما هو مسـتحيل على اللـه، ثم لا يبين الرسول الأمين ﷺ ما يليق بالله ومـا لا يليـق من كلامـه وكلام ربه سبحانه) [1]

إلى آخر كلامه، وقد ذكرنـاه بطولـه لـنرى تلـك الازدواجيـة في التعامل مع النصوص، حيث يتيحون لأنفسهم أن يؤولوا مـا شـاءوا، وأن يـردوا من الحـديث مـا شـاءوا، لكن إن انـبرى علم من أعلام الإسلام لتنزيه الله تعالى عمـا لا يقبلـه العقـل ولا يرتضـيه النقـل، تثور ثائرتهم.

والذي يدل على خلاف ما ذكره من أن المقصـود بالقـدم ليس الجارحة نسوق ما قاله من يطلقون عليه إمـام الأئمـة ابن خزيمـة في كتابه التوحيد، فقد وضع فصـلا خاصـا بالقـدم، ملأه بالأحـاديث

[1] الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: 320).

الغريبة المجسمة، وقال في مقدمته: (باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية، الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ قال الله عز وجل يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف: 195]، فأعلمنا ربنا جل وعلا أن من لا رجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل، فالمعطلة الجهمية: الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس: كالأنعام بل أضل؛ فالمعطلة الجهمية عندهم كالأنعام بل هم أضل)[1]

ونحن ندعو كل عاقل ليعيد قراءة ما ذكره ابن خزيمة الذي يعتبره ابن تيمية وكل السلفية (إمام الأئمة)، وهل يفيد شيئا غير كون القدم والرجل هي نفسها الجارحة؟

الساق:

وهي من الصفات أو الجوارح التي يحرص عليها السلفية من أولهم إلى آخرهم، بل يعتبرون إنكارها، أو تأويلها تجهما وتعطيلا.

وهم يستخدمون القرآن الكريم لتسويق هذه الجارحة، والآية التي يستخدمونها لذلك هي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42]

ومع كونها واضحة في الدلالة على شدة أهوال يوم القيامة.. كما قال الشاعر:

كَشَفَتْ لهمْ عن سَاقِها وبَدَا من الشَّرِّ صُراحُ

ومع أن ابن عباس فسرها بذلك، فقال: (هو يوم كربٍ وشدةٍ)[2]

ومع أن أعلام العربية قالوا بذلك، كما قال الزمخشريّ: (يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتدُ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثَمَ ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ولا غل وإنما هو البخل، وأما من شّبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم

---

[1] التوحيد لابن خزيمة (1/ 202).

[2] جامع البيان (29/ 38)

البيان)[1]

فمع هذا وغيره إلا أن السـلفية أولهم وآخـرهم يحرصـون على أن يفسروا الساق في الآية بالجارحـة، ويعتبرونهـا من الصـفات أو الأعضاء التي يتركب منها الله تعالى.

وقد عبر عن هذا الفهم السـلفي التجسـيمي ابن القيم، فقـال: (.. ومن حمل الآية على ذلك ـ أي أنها صفة الرحمن ـ قـال: قولـه تعـالى: ﴿يَـوْمَ يُكْشَـفُ عَنْ سَـاقٍ﴾ [القلم: 42] مطـابق لقولـه ﷺ يكشف عن ساقه .. وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال: (يكشف عن ساق عظيمة)، قالوا وحمل الآيـة على الشـدة لا يصـح بوجـه، فإن لغة القوم أن يقال كشفت الشدة عن القوم، لا كشفت عنها، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الزخرف: 50] العذاب هو المكشوف، لا المكشـوف عنـه، وأيضـا فهنـاك تحـدث شـدة لا تزول إلا بدخول الجنة، وهنا لا يـدعون لسـجود وإنمـا يـدعون اللـه أشد ما كانت الشدة)[2]

وهكــذا نــرى ابن القيم يعلم ابن عبــاس والزمخشــري اللغــة العربية.. وهكذا أيضا يتنازل السلفية عن كل مقــولاتهم في تعظيم الصحابة.. لأن الصحابة في تصـورهم هم المجسـمة، لا المنزهـة.. فكل من سار خلاف منهجهم رفضوه، ورفضوا قوله حـتى لـو كـان ذلك الذي يعتبرونه ترجمان القرآن.

وعلى خطى ابن القيم وغـــيره من الســـلف ســـار الســـلفية المعاصرة، وقد سـئل الشـيخ عبـدالعزيز بن بـاز عن معـنى الآيـة، فقـال: (الرسـول ﷺ فسّـرها بـأن المـراد يـوم يجيء الـرب يـوم القيامة، ويكشف لعبـاده المؤمـنين عن سـاقه وهي العلامـة الـتي بينه تعالى وبين عباده، فإذا كشف عن ساقه، عرفوه وتبعـوه، وإن كانت الحرب يقال لها كشـفت عن سـاق إذا اشـتدت وهـذا معـنى معروف لغوياً قالـه أئمـة اللغـة، ولكن في الآيـة الكريمـة يجب أن يفسر بما جاء في الحديث وهـو كشـف الـرب عن سـاقه سـبحانه وتعالى)[3]

ولسـت أدري مـا هي العلامـة الموجـودة على السـاق.. وهـل هنــاك من الســلفية من يخبرنــا عنهــا.. أم أنهم يريــدون إبقاءهــا لأنفســهم حــتى تكــون لهم وحــدهم القــدرة على الســجود يــوم

---

[1] () الكشاف (4 / 147) ..

[2] () الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (1/ 253)

[3] () مجموع فتاوى و تنبيهات ـ ابن باز ـ مكتبة السنة ـ الأولى 1409هـ.

القيامة؟

ويقول محمد الجامي ـ بعد إيراده لحديث الساق الذي سنذكره مفصلا عند الحديث عن الصورة ــ: (.. فانطلاقاً من هذا الحديث الصحيح الذي يثبت لله ساقاً نرى أن الآية من آيات الصفات المفسرة بالسنة، لأن الآية جاءت محتملة المعنى حيث جاء الساق مجرداً عن الإضافة المخصصة، فجاءت السنة مبينة بأن المراد بالساق هو ساق الرحمن، فَسلُكْ في إثبات الساق مسلك السلف الصالح وهو إثبات بلا تمثيل ولا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل، فالكلام في صفة الساق كالكلام في صفة اليد والوجه، وأما الخلاف والنزاع الذي جرى بين الصحابة والتابعين فينبغي أن نعتبره منتهياً بعد ثبوت حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ــ الذي نعده تفسيراً للآية المجملة ثم نعده فيصلاً في هذه القضية)[1]

وقال الدكتور عبد الله الغنيمان: (الضمير في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42] يعود إلى الله تعالى ففي ذلك إثبات صفة الساق لله تعالى، ويكون هذا الحديث ونحوه تفسير لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42] وهذا الحديث متفق على صحته وفيه التصريح في أن الله تعالى يكشف عن ساقه وعند ذلك يسجد له المؤمنون ومن تأوله التأويلات المستكرهة فقد استدرك على الرسول ﷺ، ومعلوم أن قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42] ليس نصاً في أن الساق صفة لله تعالى ؛ لأنه جاء منكرا غير معرّف فيكون قابلاً كونه صفة وكونه غير صفة وتعيينه لواحد من ذلك يتوقف على الدليل وقد دل الدليل الصحيح على ذلك فلا يجوز تأوله بعد ذلك، أما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن ذلك الشدة والكرب يوم القيامة فهذا بالنظر إلى لفظ الآية لأنها كما قلنا لم تدل على الصفة بلفظها وإنما الدليل هو الحديث المذكور)[2]

وعلى منهجهم في الانتقائية في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، فقد راحوا يجمعون الروايات الواردة عن ابن عباس، ويضعفونها.. وما أسهل أن تضعف الرواية وفق منهج المحدثين، لأنه لا يوجد راو في الدنيا إلا وهناك من جرحه..

وقد قام بهذا العمل الجليل الشيخ سليم الهلالي الذي استحيا

[1] () الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: 316)

[2] () شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ــ د. عبد الله الغنيمان ــ مكتبة لينةـ (2/ 121) ..

أن يرد على ابن عباس، فـاكتفى بتكـذيب قولـه، ليكـون رده على الكذاب لا على ابن عباس، وقد وضع عمله هذا في رسالة سـماها (المنهل الرقراق في تخـريج مـا روى عن الصـحابة و التـابعين في تفسير يوم يكشف عن ساق) [1]

هذه ـ باختصار ـ الرؤية السلفية للـه تعـالى من هـذه الزاويـة.. وهي ـ كما رأينا ـ رؤية مستغرقة في التجسيم والتشبيه والوثنيـة.. ولو أوردنا كل رواياتهم في تفاصيل هذه الأعضاء ووظائفهـا لرأينـا من ذلك العجب العجاب..

[1] () المنهل الرقراق في تخريج ما روى عن الصـحابة و التـابعين في تفسـير يـوم يكشـف عن ساق. سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي ـ الأولى 1412هـ.

التنقل .. والحركة

يرى أصحاب الرؤية التنزيهية ـ سواء كانوا من أهل البرهـان أو من أهل العرفان ـ أن الله تعالى أعظم من أن يحتـاج إلى التنقـل أو الحركة.. لأنـه لا يحتاجهمـا إلا القاصـر الضـعيف البعيـد الـذي لا تتحقق مطالبه إلا بالانتقال والحركة.. أمـا القـوي القـادر القـريب، فإنه يحقق مطالبه من غير حركة ولا انتقال.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحركة تسـتدعي المحدوديـة والحـيز.. والله أعظم من أن يحد أو يتحيز.

والحركـة والانتقـال تقتضـيان أن يحيـط بـه المكـان والزمـان.. والله أعظم من أن يحتاج للمكان، أو يجري عليه الزمان.

والعقل والقرآن كلاهما يدلان على هذه الحقيقة العظيمة الـتي من لم يعرفها لم يعرف الله، وإنما عرف وهما كبيرا سماه إلها.

أما دلالة العقل على ذلك، فقـد أشـار إليهـا الـرازي في قولـه: (اعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على اللـه تعـالى محـال، لأن كل ما كان كذلك كان جسما والجسم يستحيل أن يكون أزليا) (1)

وأما دلالة القرآن الكريم على ذلك، فأعظم من أن تحصر، لأن كل القرآن الكريم يدل عليها لمن تدبر ذلك..

فاللـه تعـالى عنـدما يقـول: ﴿أَفَـرَأَيْتُمْ مَـا تَحْرُثُـونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَـاءُ لَجَعَلْنَـاهُ حُطَامًـا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَـــاءَ الَّذِي تَشْـــرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُـــوهُ مِنَ الْمُـــزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَـجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِـئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْـوِينَ (73) ﴾ [الواقعـة: 63 - 74] يخبر عن حضورة المطلق مع كل شيء، بل عن تصريفه لكل شيء.. بل عن كونه هو الفاعل الوحيـد لكـل حركـة أو سـكنة في الوجود.

وهكذا عندما يقول: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17]، فالله هو الـذي قتـل من قتل من الكفار.. وهو الذي رماهم بما رماهم من سهام.

---

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (31/ 159)

بل إن الله تعالى يشير عندما يحكي قصة سليمان عليه السلام مع أصحابه إلى بيان أن الحركة والانتقال شأن المستضعفين، أما القادر فهو الذي يقضي مصالحه في طرفة عين من غير معاناة حركة ولا حمل ولا أي شيء، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)﴾ [النمل: 38 ـ 40]، فإذا كان هذا شأن العبد .. فكيف بشأن الرب سبحانه وتعالى؟

بالإضافة إلى ذلك فإن القرآن الكريم يقرر قربه المطلق من خلقه، والذي أشرنا إليه عند حديثنا عن الجهة والمكان .. فالله تعالى أقرب إلى خلقه من أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: 85]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق: 16]

ولذلك فإن القرب في المصطلح القرآني لا يدل على قرب الحس أو المكان، بل هو يدل على قرب السلوك والعرفان.. كما قال تعالى في تصنيف عباده يوم القيامة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11)﴾ [الواقعة: 7 - 11]

وذكر من نعيم الجنة نعيما خاصا بالمقربين، فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: 28]

وقد أشار القرآن الكريم إلى منهج التحقيق بهذا القرب، فقال: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19]، فالسجود بكل الكيان لله هو أقرب طريق للقرب الإلهي، كما قال ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده)[1]

ونفى القرآن الكريم ذلك القرب الوهمي الذي يخطر على المستغرقين في الدنيا، فقال: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: 37]

---

[1] () رواه الترمذي رقم (3574) في الدعوات رقم (129)

وهكذا نرى اتفاق الرؤية العقلية مع الرؤية القرآنيـة في إثبـات غنى الله تعالى عن الحركة والانتقال لقدرته المطلقة أولا، ولقربه من كل شيء ثانيا قربا لا يمكن تصوره، ولا تخيلـه لأن اللـه أعظم من أن يحيط به الخيال أو الوهم أو التصور.

وبناء على هذه الرؤيـة القرآنيـة والعقلانيـة اهتم العـارفون من هذه الأمة بالقرب الإلهي، وجعلوه غايتهم الكبرى.. متبنين في ذلك الرؤيـة القرآنيـة، لا الرؤيـة الحسـية التجسـيمية الـتي تبناهـا أهـل الحديث والسلفية.. وبـذلك يتفـق على هـذه العقيـدة التنزهيـة كلا المدرسـتين الكبـيرتين من مـدارس الإسـلام: مدرسـة البرهـان، ومدرسة العرفان.

ونحب هنا من باب التأكيد، وباب بيان أثر العقيدة التنزيهية في الترقي والتحقق العرفـاني والأخلاقي أن نـذكر مقـولات العـارفين الذين اختصوا بتحويل المعاني العقديـة إلى معـان ذوقيـة تتشـربها الروح، وينفعل لها الجسد..

ونبدأ ذلك ببيان اتفاق العرفان مع البرهان على معـنى القـرب الإلهي.. وقـد ذكـر ذلـك كـل العرفـاء، ومنهم الشـيخ عبـد الغـني النابلسـي الـذي وضـح معـنى القـرب الإلهي، فقـال: (إن قـرب الكائنات منه تعالى قرب أثر من مؤثر، وقرب معلوم من عالم بـه لا يعزب عن علمه شيء، وبعد الكائنات منه تعالى عـدم مناسـبتها له وعدم مشابهتها له ولا بوجه من الوجوه)[1]

وقـال الشـيخ أحمـد زروق: (قـرب المسـافات والنسـب والمداناة: وهو قرب الأجسام، وسائر المحـدثات، فلا يليـق بـالحق سبحانه، ولا يجوز عليه)[2]

وقال الغزالي: (القرب منه ليس بالمكان، وإنما هـو باكتسـاب الكمال على حسب الإمكـان . وأن كمـال النفس بـالعلم والعمـل، والاطلاع على حقائق الأمور، مع حسن الأخلاق)[3] .

وقد ذكر الشيخ العارف أبـو العبـاس التجـاني ناحيـة مهمـة لـو تأملها السلفيون لانتفت عنهم كـل الشـبهات المرتبطـة بالتجسـيم وما يلزم منه، فقال: (معية الحق بذاتـه لكـل ذرة من الموجـودات وقربه لكل ذرة من الموجودات صفتان نفسـيتان يتوقـف تعلقهمـا

[1] () - الشيخان حسن البوريني والشيخ عبد الغني النابلسي – شرح ديوان ابن الفـارض – ج 1 ص 228 .

[2] () - الشيخ أحمد زروق – شرح الحكم العطائية – ص 319 0

[3] () - الإمام الغزالي – ميزان العمل – ص 293 0

على تعقل ماهية الذات، وحيث كان تعقل ماهية الـذات ممنوعـا لا سبيل إليه للعقل والفكر، كذلك تعقل هاتين الصفتين معيـة وقربـاً لكل شيء من الموجودات تعقلهما من وراء طور العقــل والحس، فلا اتصال ولا انفصال ولا مسافة للقرب والبعد ولا أينية ولا حلــول ولا مكان ولا دخول ولا خروج ولا تتعدد الذات بتعددها بالمعية)[1]

وهكذا نرى العرفاء يخبرون عن شهودهم لقرب اللـه المطلــق من كل ذرة من ذرات الوجود، تصديقا لما ورد في القرآن الكــريم من ذلك.

يقول ابن عطاء الله: (مـا احتجب الحـق عن العبـاد إلا بعظيم ظهوره، ولا منع الأبصار أن تشهده إلا قهارية نـوره فعظيم القـرب هو الذي غيب عنك شهود القرب)[2] .

ويقول: (قربك منه أن تكون شاهداً لقربــه، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه ؟)[3] .

ويذكر الشيخ عز الـدين بن عبـد السـلام كيفيـة قطـع العقبـات الحائلة بين القلب والقرب، فقـال: (لا تصـل إلى منـازل القربـات حتى تقطع عنك سـت عقبـات: العقبـة الأولى: فطم الجـوارح عن المخالفات الشرعية .. العقبة الثانية: فطم النفس عن المألوفـات العادية .. العقبة الثالثـة: فطم القلب عن المرغوبـات البشـرية . . العقبــة الرابعــة: فطم الســر عن الكــدورات الطبيعيــة .. العقبــة الخامسة: فطم الروح عن البخارات الحسـية .. العقبـة السادسـة: فطم العقل عن الخيـالات الوهميـة .. فتشـرف من العقبـة الأولى على ينابيع الحكم القلبية ..وتطلـع من العقبـة الثانيـة على أسـرار العلــوم اللدنيــة ..وتلــوح لــك في العقبــة الثالثــة أعلام المناجــاة الملكوتيـة .. وتلمـع لـك في العقبـة الرابعـة أنـوار أعلام المنـازل القريبة .. وتطلع لك في العقبة الخامسة أقمار المشاهدات الحبية .. وتهبط من العقبة السادسة إلى رياض الحضرة القدسية، فهناك تغيب من ما تشاهد من اللطائف الإنسية عن الكثائف الحسـية)[4]

---

[1] () - الشيخ علي حرازم ابن العربي – جواهر المعاني وبلـوغ الأمـاني في فيض سـيدي أبي العباس التجاني – ج 1 ص 235 .

[2] () الشـيخ ابن عطـاء اللـه السـكندري – لطـائف المنن في منـاقب أبي العبـاس المرسـي وشيخه أبي الحسن (هامش كتاب لطائف المنن للشعراني) – ج 1 ص 44 .

[3] () بولس نويا – ابن عطاء الله ونشأة الطريقة الشاذلية – ص 169 .

[4] () الشيخ عز الدين بن عبد السلام المقدسي – مخطوطـة حـل الرمـوز ومفـاتيح الكنـوز – ص 32 – 34 .

.

ويذكر الشيخ نجم الدين الكبرى عقبات أخرى تحول بين القلب والتحقــق بــالقرب، فيقــول: (القلب إذا تجــرد عن المعلومــات، والســر تقـدس عن المرقومـات، والـروح تنــزه عن الموهومـات: كانوا أقرب إلى الفطرة، ولم يشتغلوا بقبول النفوس السفلية من الحسيات والخيالات والوهميات)[1] .

وكل هذه المعاني التي اتفق عليها أهل العرفان والبرهـان نص عليهم قبلهم أئمة أهـل الـبيت الـذين تركـوا لنـا ثـورة ضـخمة من الروايات الممتلئة بتنزيه الله وتعظيمـه، ومن الروايـات المرتبطـة بهذا ما روي عن الإمام علي أنـه قـال: (لا تجـري عليـه [تعـالى] الحركة والسكون، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه مـا هـو ابتـدأه، إذاً لتفـاوتت ذاتـه، ولتجـزّأ كنهـه، ولامتنـع من الأزل معناه...) [2]

وسئل الإمام الصادق: لم يزل الله متحرّكاً؟ فقال: تعـالى اللـه عن ذلك، إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل) [3]

وقال: (إنّ الله تبارك وتعـالى لا يوصـف بزمـان ولا مكـان، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً) [4]

وقال الإمام الكـاظم: (كـلّ متحـرّك محتـاج إلى من يحرّكـه أو يتحرّك به، فمن ظنّ بالله الظنون هلك)[5]

هذا هو موقف المدرسة التنزيهية من هذه المسـألة الخطـيرة، وما يترتب عليها، لكن المدرسة التجسـيمية الـتي يمثلهـا السـلفية تخالف هذه الرؤية تماما، لأنها تنطلـق في كـل هـذه المسـائل من تغليب التصور على التعقل .. ولهذا تنطلق في هذه المسألة ـ كمـا تنطلق في غيرها ـ من إثبات الحدود والحيز والمكان .. وكـل ذلـك يقتضي بعدا حسيا، وحركة حسية.

بل هي تتصـور أن نفي الحركـة والانتقـال عن اللـه حكم عليـه بالإعدام، كما قـال ابن القيم:)وقـد دل القـرآن والسـنة والإجمـاع

---

[1] () الشيخ اسماعيل حقي البروسوي – تفسير روح البيان – ج 6 ص 481 .

[2] () التوحيد، الصدوق: باب 2، ح 1، ص 41 .

[3] () الكافي، الكليني: ج 1، كتاب التوحيد، باب صفات الذات، ح 1، ص 107.

[4] () بحار الأنوار، المجلسي: ج 3، كتاب التوحيد، باب 14، ح 33، ص 330.

[5] () الكافي، الكليني: باب الحركة والانتقال، ح 1، ص 125.

على أنـه سـبحانه يجيء يـوم القيامـة، ويـنزل لفصـل القضـاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، ويـنزل كـل ليلـة إلى سـماء الـدنيا، ويـنزل عشـية عرفـة، ويـنزل إلى الأرض قبـل يـوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنـة فلا يجـوز نفيهـا عنـه بنفي الحركـة والنقلـة المختصـة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة بـه، فمـا كـان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباتـه لـه، وحركـة الحي من لـوازم ذاتـه، ولا فـرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور، فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة) [1]

أو هو على الأقل نفي للكمال عنـه.. لأن الكمـال في تصـورهم هو القدرة على الحركة والتنقل، كما أشار ابن تيمية إلى ذلـك في قولـه: (وهكـذا يقـال لهم فى أنـواع الفعـل القـائم بـه كالإتيـان والمجيء والـنزول وجنس الحركـة: إمـا أن يقبـل ذلـك وإمـا أن لايقبله:فإن لم يقبله كانت الأجسام التى تقبل الحركة و لم تتحرك أكمل منه. وإن قبل ذلك ولم يفعله كان ما يتحرك أكمل منه فـإن الحركة كمال للمتحرك. ومعلوم أن من يمكنـه أن يتحـرك بنفسـه أكمل ممن لا يمكنه التحرك وما يقبل الحركة أكمل ممن لايقبلهـا) [2]

وقال في شرح حديث النُّزول: (لفظ (الحركة؛ هل يوصف الله بها أم يجب نفيه عنه؟ اختلـف فيـه المسـلمون وغـيرهم من أهـل الملـل وغـير أهـل الملـل من أهـل الحـديث وأهـل الكلام وأهـل الفلسـفة وغـيرهم على ثلاثـة أقـوال، وهـذه الثلاثـة موجـودة في أصحاب الآئمة الأربعة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم) [3]

ثم ذكـر معـنى الحركة عنـد المتكلمين والفلاسـفة وأصـحاب أرسطو وأنواع الحركة .. إلى أنْ قـال: (والمقصـود هنـا أنَّ النـاس متنازعون في جنس الحركـة العامـة الـتي تتنـاول مـا يقـوم بـذات الموصـوف من الأمـور الاختياريـة ؛ كالغضـب والرضـى والفـرح، وكالدنو والقرب والاستواء والنُّزول، بل والأفعال المتعدية كـالخلق والإحسان وغير ذلك على ثلاثة أقوال: أحدها: قـول من ينفي ذلـك مطلقـاً وبكـل معـنى.. وهـذا أول من عـرف بـه هم الجهميـة

---

[1] ()   مختصر الصواعق (2/257-258).

[2] ()   مجموع الفتاوى 8/23

[3] ()   مجموع الفتاوى 5/565

والمعتزلة.. والقـول الثـاني: إثبـات ذلـك، وهـو قـول الهشـامية والكرامية وغـيرهم من طوائـف أهـل الكلام الـذين صـرحوا بلفـظ الحركة .. وذكر عثمان بن سعيد الدارمي إثبـات لفـظ الحركـة في كتاب نقضه على بشر المريسي، ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث، وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني - لمـا ذكـر مـذهب أهل السنة والأثر - عن أهل السـنة والحـديث قاطبـة، وذكـر ممن لقي منهم على ذلك: أحمد بن حنبـل، وإسـحاق بن راهويـه، وعبـد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وهو قول أبي عبد الله بن حامد وغيره. وكثـيرٌ من أهـل الحـديث والسـنة يقـول: المعـنى صحيح، لكن ؛ لا يطلق هذا اللفظ ؛ لعدم مجيء الأثر به ؛ كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد الـبر وغـيره في كلامهم على حـديث النُّزول. والقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث: هو الإقرار بما ورد به الكتـاب والسـنة ؛ من أنـه يـأتي وينْـزل وغـير ذلـك من الأفعال اللازمة. قـال أبـو عمـرو الطَّلْمَنْكِيُّ: أجمعـوا (يعـني: أهـل السنة والجماعة) على أنَّ الله يـأتي يـوم القيامـة والملائكـة صـفَّاً صفَّاً لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء ؛ قال تعالى: هَـلْ يَنظُـرُونَ إلا أَنْ يَـأْتِيَهُمْ اللـهُ فِي ظُلَـلٍ مِنْ الْغَمَـامِ وَالْمَلائِكَـةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ، وقـال تعـالى: وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَـكُ صَـفَّاً صَـفَّاً. قال: وأجمعوا على أنَّ الله يَنْزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على مـا أتت به الآثار كيف شاء، لا يحدون في ذلك شـيئا. ثم روى بإسـناده عن محمد بن وضاح ؛ قـال: وسـألت يحـيى بن معين عن النُّزول؟ فقال: نعم ؛ أقر به، ولا أحِدُّ فيه حَـدَّاً.. والقـول الثـالث: الإمسـاك عن النفي والإثبات، وهـو اختيـار كثـيرٌ من أهـل الحـديث والفقهـاء والصوفية ؛ كابن بطة وغـيره، وهـؤلاء فيهم من يعـرض بقلبـه عن تقدير أحد الأمرين، ومنهم من يميل بقلبـه إلى أحـدهما، ولكن ؛ لا يتكلم لا بنفي ولا بإثبات.) [1]

وقـال الشـيخ ابن عـثيمين: (.. النصـوص في إثبـات الفعـل والمجيء والاستواء والنُّزول إلى السماء الـدنيا إن كـانت تسـتلزم الحركـة للـه ؛ فالحركـة لـه حـق ثـابت بمقتضـى هـذه النصـوص ولازمها، وإن كنا لا نعقل كيفية هذه الحركة) [2]

والمشكلة الكبرى أن المدرسة السلفية تزعم استمدادها لهذه

---

[1] () مجموع الفتاوى (5/577)، وانظر: الاستقامة (1/70-78)

[2] () إزالة الستار عن الجواب المختار (ص 32)

العقائد التجسيمية الخطيرة من الكتاب والسنة.. مع أنها تخالف القطعيات الصريحة من الكتاب والسنة وتقدم عليها النصوص المتشابهة.. فتحول المحكم متشابها والمتشابه محكما.

ولوصف عقائدهم في هذه الناحية، وأدلتهم عليها، سنتحدث عن مواقفهم التفصيلية من خلال العنصرين التاليين:

الدنو والمماسة:

كما رأينا من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة، فإن القرب والبعد عن الله اعتباريان، وليس حقيقيان، فالله قريب من كل شيء قربا واحدا.. فليس هناك شيء أقرب إليه من شيء.. لأنه لا مسافة بين الله وعباده.. ولا حجاب بينه وبينهم، كما قال ابن عطاء الله في ذلك: (الحقّ ليس بمحجوب عنك إنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه و لو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر و كل حاصر لشيء فهو له قاهر ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: 18])

ولذلك فإن القرب والبعد ــ كما تدل على ذلك النصوص المقدسة ـ مرتبط بالتخلق.. فبقدر التخلق بالخلق الحسن يكون القرب، وبقدر التخلق بالخلق السيء يكون البعد، كما أشار ابن عطاء الله إلى ذلك في قوله: (اخرج من أوصاف بشريّتك عن كلّ وصف مناقض لعبوديّتك، لتكون لنداء الحقّ مجيبا، و من حضرته قريبا)

وقال ابن عجيبة معلقا عليه: (إذا تخلص من رق الشهوات و الحظوظ، كان قريبا من حضرة الحق، بل عاكفا فيها، إذ ما أخرجنا عن الحضرة إلا حبّ هذه الخيالات الوهمية فإذا تحررنا منها و تحققنا بالعبودية وجدنا أنفسنا في الحضرة)[1]

وهذا الذي ذكره العارفون إنما استمدوه من القرآن الكريم، ومما يقتضيه العقل السليم.. فالعقل يصنف الأشياء بحسب أنواعها لا بحسب قربها وبعدها عن بعضها .. فالذهب يبقى شقيقا للذهب حتى لو باعدت بينهما المسافة.. وهكذا ولله المثل الأعلى يكون القرب من الكمال بحسب الكمال المطلق.

وبناء على هذه النظرة التنزيهية فإن أقرب الخلق إلى الله رسول الله ﷺ، لأنه أكملهم، وأكثرهم معرفة به، وهو سيد

---

[1] () إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص: 115.

المقـربين من الأنبيـاء والمرسـلين والأوليـاء والصـالحين كمـا دلت على ذلك النصوص الكثيرة.

وهكذا، وبناء عليه يكون القرب من الله تعالى.. فأقرب الخلـق إلى اللـه أقـربهم رسـول اللـه ﷺ .. وقـد أشـار ﷺ إلى أن مـيزان القرب منه هـو الأخلاق، وليس الزمـان ولا المكـان، كمـا قـال ﷺ: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مـني مجلسـا يـوم القيامـة أحاسـنكم أخلاقا، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامـة الثرثـارون والمتشدقون والمتفيهقون)[1]

فهذا الحديث يحدد حسن الخلق مقياسـا لمكانـة المـؤمن من رسول الله ﷺ، وهو مما لا علاقة له لا بالمكان، ولا بالزمان.

هــذه هي النظــرة التنزيهيــة للقــرب والبعــد في مجالاتــه المختلفة .. لكن النظرة التجسيمية تخالف ذلك تماما.. ولهذا يـرى السلفية الذين تبنوا هذه النظرة أن القرب من اللـه قـرب مكـاني مخالفين بذلك كل ما ورد في النصوص من القرب الاعتباري.

قال الدارمي موضحا هذه الرؤية بأصرح عبارة: (..فيقال لهذا المعـارض المـدعي مـا لا علم لـه من أنبـأك أن رأس الجبـل ليس بأقرب إلى اللـه تعـالى من أسـفله؟ لأنـه من آمن بـأن اللـه فـوق عرشه فوق سمواته علم يقيناً أن رأس الجبل أقرب إلى اللــه من أسـفله، وأن السـماء السـابعة أقـرب إلى عـرش اللـه تعـالى من السادســة والسادســة أقــرب إليــه من الخامســة ثم كــذلك إلى الأرض)[2]

وقد دعاهم إلى هذه الرؤية التجسيمية اعتبارهم للحيز والحدود والمكان وغير ذلك.. وهي جميعا تقتضي أن تكون الأشياء بالنسـبة لله متفاوتة في قربها وبعدها بحسب موضعها.

بالإضافة إلى ما أوردوه من روايات تلقفوها من أهل الكتاب أو من تلاميـذهم، ثم صـاغوها أو صـاغوا بعضـها على شـكل روايـات مرفوعـة إلى رسـول اللـه ﷺ ليحصـنوا تجسـيمهم وتشـبيههم للـه بحصن السنة المقدس.

وبناء على تلك الرؤية التجسيمية فإن أقرب الخلق إلى الله هو العرش، ثم الملائكة الحاملين للعرش.. وهكذا..

وقد رووا في ذلك الروايات الكثـيرة الـتي تـدل على أن أوامـر

---

[1] () البيهقى فى شعب الإيمان (4/250، رقم 4969) أحمد (4/194، رقم 17778)

[2] () نقض عثمـان بن سـعيد1/504. وانظـر الفواكـه العـذاب لحمـد بن ناصـر 157 وإثبـات علوالله لحمود التويجري 84

الله تنزل بسلم تنازلي يبدأ من حملة العــرش، ثم من بعــدهم إلى أن يصل الأمر إلى محله الذي أراده الله.

ومن تلك الروايات التي استدلوا بهـا على هـذا مـا رفعـوه إلى النبي ﷺ من قولـه: (ولكن ربنـا- تبـارك وتعـالى اسـمه- إذا قضـى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلـونهم، حـتى يبلغ التسبيح أهل هذه السـماء الـدنيا، ثم قـال الـذين يلـون حملـة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم، فيخبرونهم ماذا قال)[1]

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن (حملـة العـرش هم أول من يتلقى أمــر اللــه، ثم يبلغونــه للــذين يلــونهم من أهــل الســموات، فكونهم أقرب الخلق إلى الله دليـل على أن العـرش أقـرب منهم إليه – سبحانه - لأنهم إنما يحملونه) [2]

وقد حددوا في بعض الروايات المسافة التي تفصل الله تعـالى عن أقرب الخلق إليـه، فـرووا عن النـبي ﷺ أنـه قـال: (إن أقـرب الخلق إلى الله تعالى جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وإنهم من اللــه تعالى بمسيرة خمسين ألف سنة) [3]

ورووا عن سلفهم الكثير من الروايات التي تصور ذلك تصــويرا حسـيا واضـحا حـتى لا يتعب عقـل السـلفي في وضـع الاحتمـالات المرتبطة بذلك، ومن تلك الروايـات مـا حـدث بـه وهيب بن الـورد قال: (بلغني أن أقرب الخلق من الله عز وجـل إسـرافيل العـرش على كاهله.. فإذا نزل الوحي دلي لـوح من تحت العـرش، فيقـرع جبهة إسرافيل، فينظر فيه فيدعو جبريل فيرسـله، فـإذا كـان يـوم القيامة أتى بإسرافيل ترعد فرائصه، فيقال: مـا صـنعت فيمـا أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريـل. فيـدعى جبريـل ترعـد فرائصـه فيقال: مـا صـنعت فيمـا بلغـك إسـرافيل؟ فيقـول: بلغت الرسـل. فيؤتى بالرسل ترعد فرائصهم فيقال: مـا صـنعتم فيمـا أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس)[4]

وبنـاء على هـذا الحــديث التجسـيمي فســروا قولــه تعــالى: ﴿فَلَنَسْــأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِـلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـأَلَنَّ الْمُرْسَـلِينَ (6) فَلَنَقُصَّــنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَـا كُنَّا غَـائِبِينَ (7)﴾ [الأعــراف: 6،ــ 7]، ورووا عن

---

[1] () رواه مسلم رقم (2229).

[2] () محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش 81

[3] () العلو للعلي الغفار 1/90. أبو الشيخ في العظمة 2/684 (276)

[4] () العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (3/ 846).

وهب بن منبه ما هو أكثر تفصيلا وتجسيما، حيث قال: (إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل: يا إسرافيل، هات ما وكلتك به فيقول: نعم يا رب في الصور كذا وكذا ثقبة، وكذا وكذا روحا، للإنس منها كذا وكذا، وللجن منها كذا وكذا، وللشياطين منها كذا وكذا، وللوحوش منها كذا وكذا، وللطير كذا، ومنها كذا وكذا للحيتان، وللبهائم منها كذا وكذا وللهوام منها كذا وكذا. فيقول الله عز وجل: خذه من اللوح فإذا هو مثلا بمثل لا يزيد ولا ينقص، ثم يقول الله عز وجل: هات ما وكلتك به يا ميكائيل فيقول: نعم يا رب أنزلت من السماء كذا وكذا كيلة كذا وكذا مثقالا وزنة كذا وكذا مثقالا وزنة كذا وكذا قيراطا وزنة كذا وكذا خردلة وزنة كذا وكذا ذرة، أنزلت في سنة كذا وكذا، وفي شهر كذا وكذا كذا وكذا، وفي جمعة كذا وكذا، وفي يوم كذا وكذا للزرع كذا وكذا وأنزلت منه للشياطين كذا وكذا في يوم كذا وكذا، وأنزلت للإنس منه كذا وكذا في يوم كذا وكذا كذا وكذا، وأنزلت للبهائم كذا وكذا وزنة كذا وكذا، وأنزلت للوحوش كذا وكذا وزنة كذا، وكذا، وللطير منه كذا وكذا، وللباد منه كذا وكذا، وللحيتان منه كذا وكذا وللهوام منه كذا وكذا فذلك كذا وكذا فيقول: خذه من اللوح، فإذا هو مثلا بمثل لا يزيد ولا ينقص، ثم يقول: يا جبريل هات ما وكلتك به، فيقول: نعم يا رب أنزلت على نبيك فلان كذا وكذا آية في شهر كذا وكذا في جمعة كذا وكذا في يوم كذا وكذا، وأنزلت على نبيك فلان كذا وكذا آية وعلى نبيك فلان كذا وكذا سورة فيها كذا وكذا آية، فذلك كذا وكذا أحرفا، وأهلكت كذا وكذا مدينة، وخسفت بكذا وكذا. فيقول: خذه من اللوح فإذا هو مثلا بمثل لا يزيد ولا ينقص، ثم يقول عز وجل: هات ما وكلتك به يا عزرائيل. فيقول: نعم يا رب قبضت روح كذا وكذا إنسي وكذا وكذا جني، وكذا وكذا شيطان وكذا وكذا غريق، وكذا وكذا حريق، وكذا وكذا كافر، وكذا وكذا شهيد وكذا وكذا هديم وكذا وكذا لديغ وكذا وكذا في سهل، وكذا وكذا في جبل، وكذا وكذا طير، وكذا وكذا هوام، وكذا وكذا وحش فذلك كذا، وكذا جملته كذا وكذا فيقول: خذه من اللوح فإذا هو مثلا بمثل لا يزيد ولا ينقص فالله تبارك وتعالى علم قبل أن يكتب وأحكم)[1]

وقد فسروا بهذا الحديث قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: 3]

---

[1] () العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (3/ 847).

بل ذكروا أن جبريل عليه السلام كان إذا احتاج إلى سؤال الله رحل إليه، ودنا منه، ليسأله، وكأنـه لم يـنزل على رسـول اللـه ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186]

ومن تلك الروايات الـتي أوردوهـا في هـذا أن رسـول اللـه ﷺ سأل جبريل عليه السلام: أي بقاع الأرض أشر؟، قـال: اللـه أعلم، قال: ألا تسأل ربك عز وجل؟ قال: ما أجرأكم يا بـني آدم إن اللـه لا يسئل عما يفعل، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ، فقـال: (إني دنـوت من ربي حتى كنت منه بمكان لم أكن قط أقرب منه، كنت بمكان بيني وبينه سبعون حجابا من نور، فأوحى اللـه تبـارك وتعـالى إلي أن شر بقاع الأرض السوق)[1]

وفي رواية أخرى أن جبريل عليه السلام قال لرسـول اللـه ﷺ بعد رحلته الطويلة: (يا محمـد، لقـد وقفت اليـوم موقفـا لم يقفـه ملـك قبلي ولا يقفـه ملـك بعـدي، كـان بيـني وبين الجبـار تبـارك وتعـالى سـبعون ألـف حجـاب من نـور، الحجـاب يعـدل العـرش والكرسي والسماوات والأرض بكذا وكذا ألـف عـام، فقـال: أخـبر محمـدا ﷺ أن خـير البقـاع المسـاجد، وخـير أهلهـا أولهم دخـولا، وآخرهم خروجا، وشر البقـاع الأسـواق، وشـر أهلهـا أولهم دخـولا، وآخرهم خروجا)[2]

بـل إنهم يفسـرون قولـه تعـالى عن موسـى عليـه السـلام: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مـريم: 52] تفسـيرا حسـيا مـوغلا في التجسـيم، فـيروون عن مجاهـد قولـه: (بين السـماء السـابعة، وبين العـرش سبعون ألف حجـاب: حجـاب نـور، وحجـاب ظلمـة، وحجـاب نـور، وحجاب ظلمة، فما زال موسى عليه السلام يقرب حتى كـان بينـه وبينه حجاب، فلما رأى مكانـه وسـمع صـريف القلم، قـال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143])[3]

وهكذا فسروا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: 25]

فقـد رووا عن مجاهـد قولـه: (إن داود عليـه السـلام يجيء يـوم القيامة خطيئته مكتوبة في كفه، فيقول: يا رب خطيئتي مهلكـتي، فيقول له: كن بين يدي، فينظـر إلى كفـه فيراهـا، فيقـول: يـا رب

---

[1] () العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (2/ 672)

[2] () العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (2/ 675).

[3] () العظمـة لأبي الشـيخ الأصـبهاني (2/ـ 690)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره 16/95 والبيهقي في الأسماء والصفات 508.

خطيئتي مهلكتي، فيقول: خذ بحقوي، فذلك قوله، عز وجـل: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: 25])[1]

وهكذا فسروا قوله تعـالى عن المعـراج: ﴿ ثُمَّ دَنَـا فَتَـدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) ﴾ [النجم: 8 ـ 10]، فقد فسروها تفسيرا حسـيا فقـد رووا عن أنس بن مالـك: (.. ثم عـرج بـه إلى السماء السابعة فقـالوا لـه مثـل ذلـك كـل سـماء فيهـا أنبيـاء قـد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخـر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسـى في السابعة بتفضيل كلام اللـه، فقـال موسـى: رب لم أظن أن ترفـع علي أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قـاب قوسـين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كـل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسـى، فاحتبسـه موسـى فقـال: يـا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال عهد إلي خمسـين صـلاة كـل يـوم وليلة. قال إن أمتك لا تسـتطيع ذلـك فـارجع فليخفـف عنـك ربـك وعنهم. فالتفت النبي إلى جبريل كأنـه يستشـيره في ذلـك فأشـار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه يا رب خفـف عنـا فـإن أمـتي لا تسـتطيع هـذا فوضـع عنـه عشـر صلوات...)[2]

وهكذا يفسرون الكثير من آيات القرآن الكريم تفسيرا حسيا لا يختلف عن هذا، بل إن ابن تيمية أقر قصـة عجيبـة ذكرهـا البغـوي في تفسـيره عن أيـوب عليـه السـلام، رواهـا عن وهب بن منبـه، كتفسير لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّـنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]، فقـد ذكـر أن أيـوب لم يقـل تلك الكلمة التي ذكرها القرآن الكريم عنه، وإنمـا قـال بـدلها: (لـو أن ربي نـزع الهيبـة الـتي في صـدري وأطلـق لسـاني حـتى أتكلم بملء فمي بما كـان ينبغي للعبـد أن يحـاج عن نفسـه لرجـوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعـالى عـني، فهـو يـراني ولا أراه، ويسـمعني ولا أسـمعه، فلا نظـر إلي فيرحمـني، ولا دنـا مـني، ولا أدنـاني فـأدلي بعـذري، وأتكلم بـبراءتي، وأخاصـم عن نفسي)

---

[1] () السنة لعبد الله بن أحمد (2/ 503).

[2] () صحيح البخاري6/370 (7079)

ويروي أن الله تعالى أجابه بخلاف ما ذكره القرآن الكريم: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:42]، وإنما أجابه بنزوله على الغمام وخطابه له، قال وهبه بن منبه: (فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عز وجل يقول: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا ثم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك، وقم مقام جبار يخاصم جبار إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا شبه لي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغه بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد بأطرافها وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا محفوظافي الهواء ..)[1] إلى آخر ما ذكره.

والعجيب أن ابن تيمية استدل بهذه القصة على دنو الله من خلقه، فقال: (..وقد جاء أيضاً من حديث وهب بن منبه وغيره من الاسرائيليات قربه من أيوب عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام. ولفظه الذي ساقه البغوى أنه أظله غمام ثم نودى يا أيوب أنا الله، يقول **أنا قد دنوت منك أنزل منك قريبا،** لكن الاسرائيليات إنما تذكر على وجه المتابعة لا على وجه الاعتماد عليها وحدها)[2]

ثم يعطي ابن تيمية القاعدة التي بنى عليها السلف هذه المسألة، فقال: (..والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة وهو قول الأشعرى وغيره من الكلابية فإنهم يثبتون قرب العباد إلى ذاته... وأما دنوه نفسُه وتقرُّبُه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الاسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر)[3]

وبناء على هذا المفهوم للقرب ذكروا أن معنى قرب أهل الجنة من الله هو القرب الحسي.. ومما رووه في ذلك عن عبد

---

[1] () تفسير البغوي (3/ 303).

[2] () كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة 5/464.

[3] () كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة 5/466

الله بن مسعود قوله: (سارعوا إلى الجمع في الدنيا فإن الله تعالى ينزل لأهل الجنة كل جمعة في كثيب من كافور أبيض فيكونون في القرب منه على قدر تسارعهم إلى الجمع في الدنيا) (1)

وبناء عليه أيضا فسروا المقام المحمود الذي وعد الله تعالى به رسوله ﷺ في قوله: ﴿عَسَى رَبُّكَ أَنْ يَبْعَثَكَ مَقَامًا مَحْمُوْدًا﴾ [الإسراء:٧٩]، تفسيرا حسيا، فذكروا أن معناه إقعاد الله تعالى لنبيه ﷺ على العرش، وقد بالغوا في هذا المعنى كثيرا حتى اعتبروا مخالفته تعطيلا وتجهما وضلالة.

بل إن بعضهم لم يكتف بحديث مجاهد، بل أضاف إليه روايات رفعوها إلى النبي ﷺ منها ما رواه أبو إسحاق الشيرجي الحنبلي عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: 79] قال: (نعم، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حبيب الله ؟ فأتخطى صفوف الملائكة حتى أصير إلى جانب العرش، ثم يمد يده فيأخذ بيدي فيقعدني على العرش) (2)

ومثله ما رواه أبو بكر النجاد عن ابن عمر، عن النبي ﷺ في الآية السابقة، قال: (يقعدني على العرش) (3)

ومثله ما رواه عمرو بن دينار: (أن الله عز وجل يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب مثله، فيقوم نبينا محمد ﷺ فيثني على الله بما هو أهله، فيقول الله عز وجل له: ادنه، ثم يغضب فيقوم نبينا، فيثني على الله بما هو له أهل، فيقول له: ادنه، فلا يزال يقول له: ادنه، حتى يقعده على العرش، وجبريل عليه السلام قائم، فيقول النبي ﷺ: (إن هذا يعني جبريل جاءني برسالاتك، فيقول الله تبارك وتعالى: صدق) (4)

بل إنهم لم يكتفوا بهذه الأحاديث المرفوعة، بل راحوا يضيفون الاستدلال بالرؤى على صحة هذه الفضيلة، ومن تلك الرؤى ما حدث به محمد بن علي السراج، قال: (رأيت النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، رحمة الله عليهما ورضوانه، فتقدمت

(1) العلو 1/60.

(2) انظر: الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص15.

(3) انظر: الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص15.

(4) انظر: الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص15.

إلى النبي ﷺ فقمت عن يسار عمر، فقلت: يا رسول الله، إني أريد أن أقول شيئا فأقبل علي، فقال: قل، فقلت: إن الترمذي يقول: إن الله عز وجل لا يقعدك معه على العرش، فكيف تقول يا رسول الله، فأقبل علي شبه المغضب وهو يشير بيده اليمنى عاقدا بها أربعين، وهو يقول: (بلى والله، بلى والله، بلى والله، يقعدني معه على العرش، بلى والله يقعدني معه على العرش، بلى والله يقعدني معه على العرش)، ثم انتبهت)[1]

ومما ذكره ابن القيم في نونيته عن هذا الأصل من أصول العقائد قوله:

واذكر كلام مجاهد في قوله	أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد	ما قيل ذا بالرأي والحسبان
إن كان تجسيمًا فإن مجاهدًا	هو شيخهم بل شيخه الفرقان
وقد أتى ذكر الجلوس به وفي	أثر رواه جعفر الرباني
أعني ابن عم نبينا وبغيره	أيضًا والحقُّ ذو التِّبيان
والدارقطني الإمام يثبت الآثار	في ذا الباب غير جبان
وله قصيد ضمنت هذا	وفيها لست للمروي ذا نكران
وجرت لذلك فتنة في وقته	من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابه	ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حربه	ذا حكمة مذ كانت الفتيان

وقبله قال أبو الحسن الدارقطني:

حديث الشفاعة عن أحمد	إلى أحمد المصطفى مسنده
وجاء حديث باقعاده	على العرش أيضًا فلا نجحده
أمرُّوا الحديث على وجهه	ولا تُدخلوا فيه ما يفسده
ولا تُنكروا أَنَّه قاعد	ولا تُنكروا أنه يقعده

وقد نص على ثبوت هذا النوع من القرب لرسول الله ﷺ كل

---

[1] () انظر: الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص15.

متقدمي السلفية الذين يحتجون بهم في العـادة على مخـالفيهم[2] ومنهم أحمد بن حنبل، وهارون بن معروف، وإسحاق بن راهويه، و أبـو عبيـد القاسـم بن سـلام وعبـد الوهـاب الـوراق، وأبـو داود السجستاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وإبراهيم الحربي، و أبو بكر المروذي وأبو بكر الخلال،، و أبو القاسم الطبراني، و أبو بكـر الآجري، وأبو عبد الله ابن بطة، وغيرهم كثير.

بل قال إبراهيم الأصبهاني في الحديث: (هذا الحـديث صـحيح ثبت، حدث به العلماء منذ ستين ومائة سنة)

وقال أبو بكر المروذي: قـال أبـو بكـر بن حمـاد المقـرئ: (من ذكـرت عنـده هـذه الأحـاديث فسـكت فهـو متهم على الإسـلام ! فكيف من طعن فيها ؟!)

و قال أبو بكر بن صدقة: (ما حكمه عندي إلا القتل)

وقال أبو بكر بن أبي طـالب: (من رده فقـد رد على اللـه عـز وجل، ومن كذب بفضيلة النبي ﷺ فقد كفر بالله العظيم) .

وقال محمد بن إسماعيل السلمي: (من تـوهم أن محمـدا ﷺ لم يستوجب من الله عـز وجـل مـا قـال مجاهـد فهـو كـافر باللـه العظيم)

وقال أبو بكر يحيى بن أبي طـالب: (لا علمت أحـدا رد حـديث مجاهد يقعد محمدا ﷺ على العرش)

وقال أبو قلابة: (لا يرد هذا إلا أهل البدع والجهمية)

وقال الحسن بن الفضـل: (من رد هـذه الأحـاديث فهـو مبتـدع ضال ما أدركنا أحدا يرده إلا من في قلبه بلية، يهجر ولا يكلم)

وقـال ابن بطـة: سـمعت أخي القاسـم - نضـر اللـه وجهـه - يقول: (لم يكن البربهاري يجلس مجلسا إلا ويذكر فيه أن الله عز وجل يقعد محمدا ﷺ معه على العرش) .

و قال محمد بن إسماعيل السلمي: (كل من ظن أو تـوهم أن رسول الله ﷺ لم يسـتوجب من اللـه عـز وجـل هـذه المنزلـة في حـديث مجاهـد فهـو عنـدنا جهمي، وإن هـذه المصـيبة على أهـل الإسلام أن يذكر أحد النبي ﷺ ، ولا يقدموا عليه بأجمعهم !)

بل إن المتأخرين أيضا ممن لا يمارسون التقية قالوا بذلك، من أمثال الشيخ ابن فوزان فقد قال في شرحه على النونيـة عن أثـر

---

[2] () انظر: السنة لأبي بكر بن الخلال (1/ 187)، فما بعدها، والرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص10، فما بعدها، فقد ذكر فيه الأقـوال الكثـيرة لأعلام السـلف في هذا، ومنه أخذنا هذه الأقوال.

مجاهد: (هذا حديث صحيح وإن كان يشوش على ضعاف الإدراك فلا عبرة بهم لأنه لا يمكن أن يقال هذا الكلام من جهة الاجتهاد أو الرأي بل له حكم الرفع)[1]

بل إن بعضهم ألف في ذلك رسالة سماها (الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد)[2]، وقد قدم لها بقول محمد بن إسماعيل السلمي: (لولا أن أبا بكر المروذي رحمه الله اجتهد في هذا –أي في الرد على من أنكر أثر مجاهد- لخفت أن ينزل بنا وبمن يقصر عن هذا الضال المضل عقوبة، فإنه من شر الجهمية ما يبالي ما تكلم به)[3]

ثم قال: (ومما أعطى الله نبيه ﷺ المقام المحمود يزيده بذلك شرفا وفضلا، جمع الله الكريم له فيه كل حظ جميل من الشفاعة للخلق والجلوس على العرش، خص الله الكريم به نبينا ﷺ، وأقر له به عينه يغبطه به الأولون والآخرون، سر الله الكريم به المؤمنين مما خص به نبيهم من الكرامة العظيمة والفضيلة الجميلة تلقاها العلماء بأحسن القبول، فالحمد لله على ذلك، وقد حدث المشايخ المشهورون والأولياء المقبولون بالآثار الواردة في هذا الباب منذ قرون، ورأوا أن الفضيلة المنقولة فيها أعظم فضائل نبينا ﷺ)[4]

ثم نقل قول المروذي: سألت أبا عبد الله بن عبد النور عن فضيلة النبي ﷺ، في حديث مجاهد، فقال: (والله ما للنبي ﷺ فضيلة مثلها، أدركت شيوخنا على ذلك يتلقونه بالقبول، ويسرون بها ولا يردها إلا رجل سوء جهمي)[5]

ثم ذكر التقية التي صار يمارسها المتأخرون من السلفية منتقدا لها، فقال: (ولم يزل الأمر كذلك عند أهل العلم والدين، في تلقى هذه الفضيلة بالقبول، وكلما نبغت نابغة فتنة ترد هذه الفضيلة وتنكرها قمعوها، وبينوا ضلال أصحابها، حتى اشتدت الغربة في هذا الزمان، وعظمت المحنة، فصار المثبتون لهذه الفضيلة، المتبعون للسلف الأكارم، يرمون بالشذوذ والسفه والابتداع، وذلك حين انتسب إلى السنة والسلف أقوام ليسوا منها

---

[1] () شرحه على النونية (2-453).

[2] () ألفها إبراهيم بن رجا بن شقاحي الشمري، وهي في موقعه على النت.

[3] () الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص3.

[4] () الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص4.

[5] () الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص4.

بسبيل، فردوا الآثار المنقولة، وجحدوا الفضلية المذكورة، ونشـروا الشبه المدحوضة، في دعم مقالتهم المخذولـة، ولم يكتفـوا بـذلك حتى طعنوا في أهل الحديث النجباء، ولمزوا في السلف الكرمـاء) (1)

الإتيان والنزول:

من المنطلقات المهمة الـتي ينطلـق منهـا السـلفية في إثبـات التنقـل والحركـة للـه اعتبـارهم أن الفـرق بين الحي والجمـاد هـو الحركة .. وأن كل ساكن ميت أو معدوم.. ولـذلك، فهم يسـتدلون استدلالا عقليا على وجوب الحركة لله من هذه الناحية.

وهـذا يـدل على الخلفيـة التشـبيهية الـتي يمتلئ بهـا العقـل السـلفي، ذلـك أن إجـراء أحكـام الخلـق على الخـالق، أو تطـبيق قـوانين الخلـق على الخـالق أكـبر أنـواع التشـبيه، كمـا أنـه أكـبر أسبابه.

بالإضافة إلى ذلك، فقد غفل هؤلاء عما أشار إليه قوله تعـالى: ﴿وَكُـلٌّ فِي فَلَـكٍ يَسْـبَحُونَ﴾ [يس: 40]، فمن بـديهيات العلـوم الحديثة أن الحركة الفلكية ثابتة لكل جسم حتى أنهم شبهوا حركة الالكترونات حول نفسـها وحـول النـواة بحركـة كـل كـوكب حـول نفسه وحول الشمس، والشمس أيضاً تتحرك حول نفسها وتتحرك مـع مجموعتهـا الشمسـية من الكـواكب حـول مركـز مجـرة درب التبانة والمجرة في حركة مثلها أيضاً، وكل ذرة في الجسم مـاهي إلا صورة مصغرة من هذا الكون(2).

بناء على هذا المعتقد، والذي ينطلقون منه ـ مثلما ذكرنا سابقا ـ من الفهم الحـرفي لبعض مـا ورد في القـرآن الكـريم أو السـنة المطهرة من تعابير كالإتيان والمجيء ونحوها، فيفسرونها بمعناهـا الظاهري الذي يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق.

ولو أنهم فعلوا هذا مع جميع النصوص المقدسة لكان في ذلـك بعض العذر لهم.. ولكنهم ـ للأسف ـ ينتقـون مـا يشـاءون تأويلـه، فيجيزون لأنفسهم ذلك.. وينتقون ما يشاءون حملـه على ظـاهره، فيعتبرون تأويلا تجهما وتعطيلا.

وكمثـال على ذلـك أنهم يؤلـون قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا رَمَيْتَ إِذْ

---

(1) الرد بالعدة والعتاد على من أنكر أثر مجاهد في الإقعاد، ص4.

(2) شهادة الكون لعبد الودود رشيد محمد 31 و43

رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [الأنفال: 17]، بينما يقولون بظاهر قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [البقرة: 210]، مع أن الآية الكريمة تحتمل من وجوه التأويل وفق كلام العرب ما تحتمله الآية التي أولها السلفية، وقد ذكر المنزهة الكثير من الوجوه التي تفسر بها الآية الكريمة [1] :

ومنها: هل ينظرون إلا أن تأتيهم آياتُ الله، فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات، كما يقال: جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته، والذي يدل على صحة هذا التأويل أنه تعالى قال في الآية المتقدمة: فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة: 209]، فذكر ذلك في معرض الزجر والتهديد، ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ [البقرة: 210] ومعلوم أنه على تقدير أن يصح المجيء على الله لم يكن مجرد حضوره سبباً للتهديد والزجر، لأنه عند الحضور كما يزجر الكفار ويعاقبهم، فهو يثيب المؤمنين ويخصهم بالتقريب، فثبت أن مجرد الحضور لا يكون سبباً للتهديد والوعيد، فلما كان المقصود من الآية إنما هو الوعيد والتهديد، وجب أن يضمر في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد، ومتى أضمرنا ذلك زالت الشبهة بالكلية، وهذا تأويل حسن موافق لنظم الآية.

ومنها: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، ومدار الكلام في هذا الباب أنه تعالى إذا ذكر فعلاً وأضافه إلى شيء، فإن كان ذلك محالاً فالواجب صرفه إلى التأويل، كما قال السلفية أنفسهم في قوله: الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ [المائدة: 33]، فقد نصوا على أن المراد منها (يحاربون أولياءه)، ومثل ذلك قوله تعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ [يوسف: 82]، فقد نصوا على أن المراد منها: (واسأل أهل القرية)، فكذا قوله: (يأتيهم الله) المراد به يأتيهم أمر الله، وقوله: وَجَاءَ رَبُّكَ [الفجر: 22]، فالمراد منها: (جاء أمر ربك)، وليس فيه إلا حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو مجاز مشهور، يقال: ضرب الأمير فلاناً، وصلبه، وأعطاه، والمراد أنه أمر بذلك، لا أنه تولى ذلك العمل بنفسه.

والذي يؤكد هذا المعنى أن قوله تعالى ههنا: (يأتيهم الله) وقوله: (وجاء ربك) إخبار عن حال القيامة، ثم ذكر هذه الواقعة

[1] انظر هذه الوجوه في: تفسير الرازي (5/ 358)

بعينهـا في سـورة النحـل فقـال: (﴿هَـلْ يَنْظُـرُونَ إِلَّا أَنْ تَـأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَـةُ أَوْ يَـأْتِيَ أَمْـرُ رَبِّكَ﴾ [النحـل: 33]، فصـار هـذا المحكم مفسراً لذلك المتشابه، لأن كل هذه الآيـات لمـا وردت في واقعـة واحدة لم يبعد حمل بعضها على البعض.

لكن المدرسة السلفية، ولحنينها للتجسيم والتشـبيه، أو حنينهـا لإلـه جسـماني متحـرك اعتـبروا تلـك التـأويلات تعطيلا، مـع أنهم يتبنـون أمثالهـا في مواضـع كثـيرة من القـرآن الكـريم والسـنة المطهرة.

ولهذا فقد فسروا تلك الآيـة الكريمـة بهـذا التفسـير التشـبيهي التجسيمي الخطير، فقد رووا عن رسول الله ﷺ أنه قـال: (يجمـع الله الأولين والآخرين لميقـات يـوم معلـوم أربعين سـنة، شاخصـة أبصارهم إلى السماء، ينظرون إلى فصل القضاء، فيـنزل اللـه من العرش إلى الكرسي في ظلل من الغمام)[1]

ورووا عن أبي هريرة قوله: (يحشر الناس حفاة، عراة، مشاة، قياما، أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظـرون فصـل القضاء، وقد ألجمهم العرق من شدة الكرب، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي)[2]

ولم يكتفوا بذلك في تفسير الآية، بل جعلوا الغمـام مركبـا للـه تعالى يأتي به كل حين، ومن ذلك ما رووه عن عمر بن عبد العزيز قال: (فإذا فرغ الله - عز وجل - من أهل الجنة والنار؛ أقبل اللـه - عز وجل - في ظلل من الغمام والملائكة، فسلم على أهـل الجنـة في أول درجـة فـيردون عليـه السـلام، قـال القـرظي: وهـذا في القرآن ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [يس: 58]، فيقـول: سـلوني، قـال: ففعـل ذلـك بهم في درجهم حـتى يسـتوي في مجلسـه، ثم يأتيهم التحف من الله تحمله الملائكة إليهم)[3]

وهكـذا لا يفـوت السـلفيون آيـة من آيـات القـرآن الكـريم إلا ربطوها بمشهد تجسيمي أسطوري خرافي.

وقد ساق هذه النصوص وأمثالها الدارمي في كتابه [الـرد على الجهمية]، ثم قال بنبرة غامضة مخاطبا المدرسة التنزيهية بالشدة السلفية المعهودة: (فهذا الناطق من قول الله - عز وجل -، وذاك

---

[1] () العرش للذهبي (2/ 116).

[2] () أورده الذهبي في العلو (ص65) وعزاه للعسال في كتاب المعرفـة. وأورده ابن كثـير في النهاية (2/205)

[3] () الطبري في التفسير (20/ 540) الرد على الجهمية (ص: 89).

المحفوظ من قول رسـول اللـه ﷺ بأخبـار ليس عليهـا غبـار، فـإن كنتم من عبـاد اللـه المؤمـنين؛ لـزمكم الإيمـان بهـا كمـا آمن بهـا المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون، ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمـركم، إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين، فإن قال قائل منهم: معنى إتيانه في ظلل من الغمام، ومجيئه والملك صفا صفا، كمعنى كذا وكـذا، قلت: هذا التكذيب بالآية صراحا، تلـك معناهـا بين للأمـة لا اختلاف بيننـا وبينكم وبين المسـلمين في معناهـا المفهـوم المعقـول عنـد جميع المسلمين، فأمـا مجيئـه يـوم القيامـة وإتيانـه في ظلـل من الغمام والملائكة، فلا اختلاف بين الأمة أنه إنما يأتيهم يومئذ كـذلك لمحاسبتهم، وليصدع بين خلقه، ويقررهم بأعمالهم، ويجـزيهم بهـا، ولينصـف المظلـوم منهم من الظـالم، لا يتـولى ذلـك أحـد غـيره، تبارك اسـمه وتعـالى جـده، فمن لم يـؤمن بـذلك؛ لم يـؤمن بيـوم الحساب)[1]

وهكـذا يعطي السـلفية لهـذا الموقـف التجسـيمي هـذا الحكم الخطير، وهو أنه من لم يـؤمن بـنزول اللـه على الغمـام، لا يـؤمن أصلا بيوم الحساب..

ولم يكتـف السـلفية باسـتخدام القـرآن الكـريم وسـيلة لبث الأفكـار التجسـيمية، بـل عمـدوا إلى روايـة الأحـاديث الكثـيرة، وتحريف ألفاظها أو معانيها بحيث تتناسب مع رؤيتهم التجسيمية.

وكمثال على ذلك ما يسمونه حـديث الـنزول، والـذي ألـف ابن تيميـة رسـالة في شـرحه، بـل جعلـوه مـع حـديث الجاريـة، وكـأن رسول الله ﷺ لم يقل غيرهما.

مع أن الحديث روي بروايات أخرى، قـال الحافـظ أبـو بكـر بن فورك شيخ البيهقي في كتابه (مشكل الحديث وبيانه): (وقــد روى لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بما يؤيد هذا الباب وهو بضم الياء من ينــزل وذكـر أنـه ضـبطه عمــن سـمعه من الثقـات الضابطين وإذا كان ذلك محفوظا مضبوطا كما قال فوجهه ظاهر)[2]

وفي رواية للنسـائي: (إن للـه عـز وجـل يمهـل حـتى يمضـي شــطر الليــل الأول، ثم يــأمر مناديــا ينــادي يقــول: هــل من داع

[1] الرد على الجهمية (ص: 91).

[2] مشكل الحديث وبيانه (ص: 205)

يستجاب له ؟ هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى)[1]

ونظير هذا ما جاء في القرءان من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 18]، فإن معناه: (فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا)لأنه من المعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرءان على رسول الله ﷺ كما يقرأ المعلم على التلميذ.

لكن السلفية ــ لحنينهم للتجسيم ــ يأبون هذا التفسير، ويعتبرونه تعطيلا، وإن كانوا يعملون أمثاله حين يرغبون في ذلك.

وبالرغم من أن ما فهموه من الحديث يقضي على كل ما بنوه من فهمهم لاستواء الله على عرشه إلا أنهم يصرون على الجمع بين المتناقضات، يقول ابن باز في شرحه للحديث: (قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بإثبات النزول .. وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات صفة النزول على الوجه الذي يليق بالله سبحانه لا يشابه خلقه في شيء من صفاته .. والنزول في كل بلاد بحسبها لأن نزول الله سبحانه لا يشبه نزول خلقه وهو سبحانه يوصف بالنزول في الثلث الأخير من الليل في جميع أنحاء العالم على الوجه الذي يليق بجلاله سبحانه .. وأول الثلث وآخره يعرف في كل زمان بحسبه فإذا كان الليل تسع ساعات كان أول وقت النزول أول الساعة السابعة إلى طلوع الفجر، وإذا كان الليل اثنتي عشرة ساعة كان أول الثلث الأخير أول الساعة التاسعة إلى طلوع الفجر وهكذا بحسب طول الليل وقصره في كل مكان)[2]

وما ذكره ابن باز وغيره من السلفية في هذا الباب يتسلزم تناقضات كثيرة تقضي على كل مذهبهم التجسيمي، فمن تلك الاستلزامات التي تلزمهم[3]:

أولا ــ أن الليل والنهار وأجزاءهما كالنصف والثلث يختلف باختلاف البلدان، فإن قالوا: إن الله ينزل بالنسبة لبلد واحدة كمكة فقط، فمن أين هذا التخصيص ليس عندهم دليل.. وإن قالوا: إنه بالنسبة لكل الدنيا فليل بلد نهار بلد آخر ونصف الليل في بلد يكون نصف النهار في بلد آخر، فيلزم على معتقدهم أن

---

[1] () النسائي في اليوم والليلة (رقم482).

[2] () مجموع فتاوى ومقالات متنوعة عبد العزيز بن عبد الله بن باز. م/4. ص/420.

[3] () انظر مقالا في هذا بعنوان: ابن باز ومعبوده المتحرك الذي يطلع وينزل، في موقع أهل السنة والجماعة، وانظر: ما ساقه ابن جماعة على هذا في كتابه (إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل)

يكون الله نازلا وطالعا كل ساعة من ساعات الليل والنهـار، وهـذا ينافي قولهم إنه (مختص بالعرش)

ثانيا ـ أنه بناء على قولهم أن العـرش أكـبر العـوالم بحيث أن الكرســي بالنســبة إليــه كحلقــة ملقــاة في فلاة، وأن الســموات بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وعلى هذا تكون السماء الـدنيا بالنسـبة للعـرش أقـل من خردلـة ملقـاة في فلاة، فكيف تسع الله الذي هو في معتقدهم بقدر العرش أو أوسع من العرش، فإن قالوا هو ينزل إلى السماء الدنيا وهي على حالها وهو على حاله فهذا محال، وإن قالوا: إن الله يصير أقـل من قـدر خردلة حتى تسعه السماء الـدنيا فهـذا أيضـا محـال، وإن قـالوا:إن الكرسي والسموات تكون بقـدر العـرش أو أوسـع منـه، فمن أين الدليل على ذلك من الكتاب والسنة؟

ثالثا ـ أنـه بنـاء على الروايـات الكثـيرة الـتي يصـححونها فـإن السموات السبعة ممتلئة بالملائكة بحيث أنه لا يوجـد فيهـا موضـع أربع أصـابع إلا وفيـه ملـك قـائم أو راكـع أو سـاجد، كمـا قـال ﷺ: (أطت السماء، وحق لها أن تئـط، مـا فيهـا موضـع أربـع أصـابع إلا وملـك واضـع جبهتـه للـه سـاجدا)[1] فمن أين يكـون في السـماء الدنيا متسع لذات الله الذي هو على زعمهم بقدر العرش أو أوسع منه، فعلى كل تقدير يلزمهم أن يجعلوا، اللـه متغـيرا والتغـير على الله محال.

ولم يكتـف السـلفية بـإنزال اللـه في الثلث الأخـير من الليـل لإبلاغ عباده بتلك الرسالة، وإنما جعلـوه يـنزل في كـل حين، فمن المواطن التي ينص فيها السلفية على نزول الله تعالى نزوله ليلـة النصف من شعبان، فقد رووا عن رسول الله ﷺ قوله: (ينزل الله، عز وجل، ليلـة النصـف من شـعبان إلى سـماء الـدنيا فيغفـر لكـل نفس إلا إنسان في قلبـه شـحناء أو مشـرك باللـه جـل اسـمه)[2]، وفي رواية: (إن الله جل اسمه يطلع ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب)[3]

ومن المواطن ما رووه أن رسول الله ﷺ قـال: (مـا من أيـام أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا فيبـاهي

---

[1] () رواه الترمذي، رقم (2313) وابن ماجة رقم (4190) وأحمد في المسند 5 / 173، وإسناده حسن، وقد حسنه الترمذي.

[2] () إبطال التأويلات (ص: 255).

[3] () إبطال التأويلات (ص: 255).

بأهل الأرض)[1]

ومن المـواطن مـا رووه عن ابن عبـاس أنـه قـرأ هـذه الآيـة: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُـزِّلَ الْمَلَائِكَـةُ تَنْـزِيلًا ﴾ [الفرقـان: 25]، ثم قال: (ينزل أهل السماء الدنيا وهم أكـثر من أهـل الأرض من الجن والإنس فيقـول أهـل الأرض: أفيكم ربنـا؟ فيقولـون لا - وذكـر الحـديث - ثم يـأتي الـرب في الكروبـيين وهم أكـثر أهـل السموات السبع والأرضين)[2]

وقد علق عليه الشيخ أبو يعلى على هذه الرواية بقولـه: (اعلم أن هذا حديث صحيح يجب الأخذ بظاهره من غـير تأويـل، ولا يجب أن يستوحش من إطلاق مثل ذلك، وقد نص أحمد عليه في روايـة ابن منصور وقد سأله: (ينزل ربنـا، تبـارك وتعـالى، كـل ليلـة حين يبقى ثلث الليـل الآخـر إلى السـماء الـدنيا) أليس تقـول بهـذا الحديث؟ قال أحمد: صحيح، وقـال أحمـد بن الحسـين بن حسـان: قيل لأبي عبد اللـه: (إن اللـه، تبـارك وتعـالى، يـنزل إلى السـماء الدنيا كل ليلة)، قال: نعم، قيل له: وفي شـعبان كمـا جـاء الأثـر؟ قال: نعم، وقال يوسف بن موسـى: قيـل لأبي عبـد اللـه: إن اللـه ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف؟ قال: نعم)[3]

ومن مواطن النزول هذه الرواية الخطيرة المرفوعة للنبي ﷺ، وهي: (إن الله، عز وجل، ينزل في ثلاث سـاعات يبقين من الليـل فيفتح الذكر في الساعة الأولى، الذي لم تره عين فيمحوا الله مـا يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي داره وهي مسكنه التي لم ترهـا عين ولم يخطـر على قلب بشـر، وهي مسكنه لا يسكنها معه من بـني آدم إلا ثلاث: النـبيون والصـديقون والشهداء، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا وملائكته، فتنتفض فيقول: قومي بعزتي، ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ ألا من يسـألني فأعطيـه؟ ألا من داع فأجيبـه؟ حتى تكون صـلاة الفجـر، ولـذلك يقـول اللـه: ﴿وَقُـرْآنَ الْفَجْـرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: 78])[4]

وقد علق عليهـا أبـو يعلى بقولـه: (وهـذا يسـقط التأويـل، لأنـه قال: (ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا وملائكته)، فأثبت

---

[1] إبطال التأويلات (ص: 258).

[2] إبطال التأويلات (ص: 259).

[3] إبطال التأويلات (ص: 259).

[4] إبطال التأويلات (ص: 264).

نــزول ذاتــه ونــزول ملائكتــه فــإن قيــل: يحتمــل قولــه: (يــنزل وملائكته) معناه ينزل بملائكته قيـل: هـذا غلـط لأن حقيقـة الـواو للعطف والجمع، ولأنه قال في الخـبر: (ألا من يسـألني فأعطيـه؟ ألا من داع فأجيبه؟) وهذا القول لا يكون لملك الثالث: أنه إن جاز تأويل هذا على نزول ملائكته، جاز تأويل قولـه: (تـرون ربكم على رؤية ملائكته)[1]

وذكر جوابا آخر لذلك، فقال: (وجواب آخر جيـد وهـو مـا رواه إبراهيم بن الجنيـد الختلي في كتـاب العظمـة بإسـناده، عن أنس، أن النبي ﷺ قال: (إن الله جل اسمه إذا أراد أن ينزل نزل بذاته) فإن قيل: فقد روي بضم الياء (ينزل اللـه) وإذا كـان كـذلك، صـح التأويــل بأنــه يــنزل من أفعالــه الــتي هي تــرغيب لأهــل الخــير واستعطاف لأهل العطف قيل: هذا غلط لأنه لا يحفظ هذا عن أحد من أصحاب الحديث أنه روى ذلـك بالضـم فلا يجـوز دعـوى ذلـك، والذي يبين بطلان ذلـك قولــه: (ألا من يسـألني فأعطيـه؟ ألا من داع فأجيبه؟) وهذه صفة تختص بها الذات دون الأفعال، وما هــذه الزيادة ألا تحريف المبطلين لأخبار الصفات فإن قيل: يحمل قوله: (ثم يعلوا) المراد به ملائكته قيل: هذا غلـط لأنـه قـال في الخـبر: (ثم يعلوا على كرسيه) وليس هذه صـفة للملائكـة لأن الكرسـي مضاف إليه، وكذلك قوله: (ثم يرتفع) لا يصح حمله على الملائكة لأن هاء الكناية ترجع إلى المذكور) [2]

وبناء على كثرة المواطن التي ذكروا فيها نزول الله تعالى من على عرشه، فقد خشوا أن يخلو العرش منه خلـوا مطلقـا، ولهـذا اختلفوا اختلافا شديدا في حل هـذه المشـكلة، وكلامهم فيهـا يـدل على التناقضات الكبيرة التي يعيشها العقل السلفي.

والذي يعنينا منها أشهر الأقوال فيهـا، وهـو مـا تتبنـاه السـلفية الحديثة وهو: أنه ينزل ولا يخلو منه العرش، وقد انتصر لهذا القول ابن تيمية، وذكر أنه قول جمهور أهل الحديث[3]، قال: (ونقل ذلــك عن الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد، وعن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم)[4].

وقـال القاضـي أبـو يعلى: (وقـد قـال أحمـد في رسـالته إلى

---

[1] () إبطال التأويلات (ص: 264).

[2] () إبطال التأويلات (ص: 265).

[3] () شرح حديث النـزول (ص201)، ومنهاج السنة (2/638).

[4] () المصدر السابق (ص149).

مسدد: إن الله عز وجل ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلو من العرش. فقد صرح أحمد بالقول إن العرش لا يخلو منه)[1].

وسأل بشر بن السري حماد بن زيد، فقال: (يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء)ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء)[2].

وقال إسحاق بن راهويه: (دخلت على عبد الله بن طاهر، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟ قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا. قلت: نعم، رواه الثقات الذين يروون الأحكام. قال: أينزل ويدع عرشه؟ قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه؟ قال: نعم. قلت: ولم تتكلم في هذا؟)[3].

وقد قال ابن تيمية تعليقا على هذا: (وهذه والتي قبلها حكايتان صحيحتان رواتهما ثقات، فحماد بن زيد يقول: هو في مكانه، يقرب من خلقه كيف يشاء، فأثبت قربه مع كونه فوق عرشه، وعبد الله بن طاهر وهو من خيار من ولي الأمر بخراسان كان يعرف أن الله فوق العرش، وأشكل عليه أنه ينزل، لتوهمه أن ذلك يقتضي أن يخلو منه العرش، فأقره الإمام إسحاق على أنه فوق العرش، وقال له: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ فقال له الأمير: نعم. فقال له إسحاق: لم تتكلم في هذا؟ يقول: فإذا كان قادراً على ذلك لم يلزم من نزوله خلو العرش منه، فلا يجوز أن يعترض على النزول بأنه يلزم منه خلو العرش، وكان هذا أهون من اعتراض من يقول: ليس فوق العرش شيء، فينكر هذا وهذا)[4]

والمشكلة التي تنجر عن هذا القول أخطر من المشكلة التي يريدون حلها.. ذلك أنه بناء على قولهم بالحيز والحدود والجسمية لله، فإن ذلك يقتضي أمرين: إما أن ينزل الله وهو على عرشه إلى السماء الدنيا أو غيرها من المحال، وذلك محال .. لأن العرش

---

[1] () إبطال التأويلات (1/261).

[2] () ابن بطة في الإبانة، كما في المختار من الإبانة (ص203-204، برقم15)

[3] () اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (3/452).وأورده ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص152) وصحح إسناده.

[4] () شرح حديث النزول (ص153).

أكبر بكثير من السماء الدنيا.

وإما أن تصعد السماء الدنيا إليه، وذلك أيضا محال، ولا يتناسب مع الحديث الذي يخبر بأن الله ينزل بذاته..

وعلى العموم، فلو طبقنا أي قول من تلك الأقوال، فإنها ستنسف كل ما أوردوه في المسألة من تجسيم وتشبيه.. ولا يبقى لهم من حل إلا الخضوع للتنزيه الذي ذكره القرآن الكريم، والذي دل عليه البرهان والعرفان.

ولهذا نرى السلفية يخشون من طرح أمثال هذه الأسئلة، فقد سئل الشيخ محمد العثيمين هذا السؤال: (النزول عند أهل السنة معناه: أنه ينزل سبحانه بنفسه إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقيا يليق بجلاله ولا يعلم كيفيته إلا هو، ولكن هل يستلزم نزول الله عز وجل خلو العرش منه أو لا ؟)

فأجاب الشيخ ابن عثيمن: (نقول أصل هذا السؤال تنطُّعٌ وإيراده غير مشكور عليه مورده، لأننا نسأل هل أنت أحرص من الصحابة على فهم صفات الله ؟ إن قال: نعم . فقد كذب . وإن قال: لا . قلنا فلْيَسَعْكَ ما وسعهم، فهم ما سألوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يارسول الله إذا نزل هل يخلو منه العرش ؟ وما لك ولهذا السؤال، قل ينزل واسكت يخلو منه العرش أو ما يخلو، هذا ليس إليك، أنت مأمور بأن تصدِّق الخبر، لا سيما ما يتعلق بذات الله وصفاته لأنه أمر فوق العقول)[1]

ولو أن ابن عثيمين أجاب نفسه بهذا قبل أن يخوض هو وسلفه في أمثال هذه المسائل، لما أوقع نفسه وأوقع الأمة في أمثال هذه الحيرة التي لا مبرر لها.

[1] () مجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين 1/204- 205.

الصورة .. والرؤية

يرى أصحاب الرؤية التنزيهية لله ـ سواء كانوا من أهل البرهان أو من أهل العرفـان ــ أن اللـه تعـالى لعـدم انحصـاره في عـوالم الحدود والقيود والألوان والأشكال والجواهر والأعراض لا يمكن أن تكون له صورة من الصور.. لأن الصورة سجن وقيد وحدود.. فهي تحصر المسجون فيها وتقيده بقيود الألوان والأشكال والأجرام.

ولهذا فإن الرؤية التي يتحدث عنها أهـل اللـه وأوليـاؤه، والـتي أشارت إليها بعض النصوص المقدسة رؤية متناسبة مع جلال اللــه وكمالــه وعــدم انحصــاره.. وهي لــذلك يسـتحيل أن تكــون رؤيــة حسية، لأن الحس لا يـدرك إلا الحس، والعين لا تـرى إلا مـا يمكن أن تحتويه.. واللـه أعظم من أن تحتويـه حدقـة، أو يحيـط بحـدوده بصر، كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 103]، فهي آية تقرر الحقيقة العظيمة، وهي أن الله تعالى أعظم من أن يـدرك بـأي مـدرك من المـدارك الحسية والمعنويـة، لأن الإدراك ــ كمـا قـال علمـاء اللغـة ــ (هـو لحوق الشئ بالشئ ووصوله إليه)[1]،كما قال تعـالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: 66] أي أن علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم.

ولهذا قال تعالى قبل الآية الكريمة التي قررت اسـتحالة إدراك الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعـام: 102]، فكمـا أنـه لا يمكن إدراك كـل شـيء.. وهـو مخلـوق محصـور محـدود.. فكيـف يمكن إدراك غير المحدود والمحصور.

ولهذا أخبر اللـه تعـالى موسـى عليـه السـلام أنـه يسـتحيل أن يراه.. وقد ذكر ذلك بصـيغة النفي المؤبـد، وعلـق إمكانيـة الرؤيـة على شيء مستحيل لم يتحقق، فدل على أن رؤية الله التي تحيط بـه مسـتحيلة اسـتحالة مطلقـة، قـال تعـالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143]

---

[1] ابن فارس. مقاييس اللغة 2: 366.

والإشـارة القرآنيـة في مسـارعة موسـى عليـه السـلام إلى التسبيح والتنزيـه بعـد الإفاقة[1] هـو علمـه أن الرؤيـة لا تنفـك عن الجهة والجسمية وغيرهمـا من النقـائص،ولهـذا نـزه اللـه سـبحانه وتعالى عنها.

بل إن الله تعالى يذكر في القرآن الكريم غضـبه الشـديد على من طلب الرؤية الحسية، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَـكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُـرُونَ ﴾ [البقـرة: 55]

وهكذا نرى القـرآن الكـريم يعيب طلب الرؤيـة مطلقـا، سـواء كان ذلك من أنبيائه أو من أعدائه، كما قال تعـالى: ﴿يَسْـأَلُكَ أَهْـلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَـدْ سَـأَلُوا مُوسَـى أَكْبَـرَ مِنْ ذَلِـكَ فَقَـالُوا أَرِنَـا اللَّهَ جَهْـرَةً فَأَخَـذَتْهُمُ الصَّـاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: 153]، وقـال: ﴿وَقَـالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُـونَ لِقَاءَنَـا لَـوْلَا أُنْـزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْـتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِـهِمْ وَعَتَـوْا عُتُـوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 21]

وبذلك تصبح هذه الآيـات محكمـة يـرد إليـه كـل مـا تشـابه من النصوص، وخاصة ذلك النص القرآني الذي يستدل به السلفية، مع أنهم يقولون بتأويله، وهو قوله تعالى: ﴿وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22ـ، 23]، فالنظر هنـا لا يعـني الرؤيـة الحسية، بدليل أنه ذكر الوجـوه، والإنسـان يـرى بعينـه لا بوجهـه.. وبـدليل أن الآيـة تـذكر موقـف الانتظـار في الآخـرة قبـل دخـول الجنة.. وبأدلـة أخـرى كثـيرة ذكرهـا أهـل اللغـة الـذين هم أعـرف الناس بألفاظ القرآن الكريم.

وقد ذكر الزمخشري الوجه الصـحيح لـذلك وهـو أن يكـون من قول الناس: أنا إلى فلان نـاظر مـا يصـنع بى، يريـد معـنى التوقـع والرجاء. كا روي أن امرأة سمعت مستجدية بمكة تقول: (عيينـتى نـويظرة إلى اللــه وإليكم)، والمعــنى: أنهم لا يتوقعــون النعمــة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الـدنيا لا يخشـون ولا يرجـون

---

[1] () بناء على القول بتنزيه الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم المطلقة، فإني أميل في هذه المسألة إلى ما ذكره الزمخشري في قوله عن موسى عليه السلام: (مـا كـان طلب الرؤيـة إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضـلالا. وتـبرأ من فعلهم، وليلقمهم الحجـر، وذلـك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجـاجهم وقالوا: لا بدَّ، ولن نـؤمن لـك حـتى نـرى اللـه جهـرة، فـأراد أن يسـمعوا النص من عنـد اللـه باستحالة ذلك، وهو قوله (لَنْ تَـرانِي) ليـتيقنوا ويـنزاح عنهم مـا دخلهم من الشـبهة)، تفسـير الزمخشري (2/ 153)

إلا إياه[1] .

زيادة على ما في الرؤية الحسية من مستلزمات كثيرة خطيرة ذكرها المنزهة منها[2] أن الرؤية في منطق العلم والعقل لا تتحقق إلا إذا كان الشـيء مقـابلا أو حـالا في المقابـل من غـير فـرق بين تفسيرها حسب رأي القدماء أو حسب العلم الحديث، فإن القدماء كـانوا يفسـرون الرؤيـة على اعتبـار خـروج الشـعاع من العين وسـقوطه على الأشـياء، ثم انعكاسـه عن الأشـياء ورجوعـه إلى العين لكي تتحقق الرؤية .

لكن العلم الحديث كشف بطلان هذا التفسير وقال: إنها صدور الأشـعة من الأشـياء ودخولهـا إلى العين عن طريـق عدسـتها وسقوطها على شبكية العين فتحقق الرؤية .

وعلى كـل تقـدير فالضـرورة قاضـية على أن الإبصـار بـالعين متوقـف على حصـول المقابلـة بين العين والمـرئي أو حكم المقابلـة،كمـا في رؤيـة الصـور في المـرآة، وهـذا أمـر تحكم بـه الضرورة وإنكاره مكابرة واضحة،فإذا كانت ماهيـة الرؤيـة هي مـا ذكرنـاه فلا يمكن تحققهـا فيمـا إذا تـنزه الشـيء عن المقابلـة أو الحلول في المقابل .

وبعبـارة واضـحة: أن العقـل والنقـل اتفقـا على كونـه سـبحانه ليس بجسم ولا جسماني ولا في جهة،والرؤيـة فـرع كـون الشـيء في جهة خاصة،وما شأنه هذا لا يتعلق إلا بالمحسوس لا بالمجرد.

وهكذا نرى اتفاق العقل مع القرآن الكريم في تحقيق استحالة الرؤيـة الحسـية، ولهـذا يحمـل كـل نص ورد بالرؤيـة على الرؤيـة القلبية التي اتفق المنزهة من هذه الأمة بمذاهبهم المختلفـة على أنها الرؤية الوحيدة الممكنة، لأنها رؤية تتوجـه إلى المعـاني لا إلى الحس، وإلى اللطائف لا إلى الكثافات.

ولهذا أجاب الإمام علي الحبر الذي سأله: هـل رأيت ربـك حين عبدته؟ فقال: (ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أره)، قال: وكيف رأيتـه؟ فقـال: (ويلـك لا تدركـه العيـون في مشـاهدة الأبصـار ولكن رأتـه القلوب بحقائق الإيمان)[3]

وسـئل الصـادق: هـل يـرى اللـه في المعـاد؟ فقـال: (سـبحانه وتعالى عن ذلك علوّا ً كبـيرا ً، إن الأبصـار لا تـدرك إلّا مـا لـه لـون

---

[1] () الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 662)

[2] () انظر: رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل - الشيخ جعفر السبحاني ص 34.

[3] () أصول الكافي، 1، 98.

وكيفيّة، والله خالق الألوان والكيفيّة)[1]

وسئل الإمام الرضا: جعلت فداك، أخبرني عمّا اختلف فيه الناس من الرؤية، فقال (:من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على لله، قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 103][2]

ونحب أن نبين هنا أن ما اشتهر في الواقع من أن نفي الرؤية الحسية مرتبط بالمعتزلة والإمامية والزيدية والإباضية فقط.. وأن الأشاعرة وغيرهم يثبتون هذا النوع من الرؤية كلام غير دقيق، ولا صحيح.

والصحيح في ذلك أن كل من يقول بتنزيه الله عن الحدود يقول بنفي الرؤية الحسية.. وبما أن القول بالحد لله خاص بالسلفية وحدهم دون سائر طوائف المسلمين، فإن الرؤية الحسية أيضا قولهم خاص بهم لم يشاركهم فيه أحد.

ولنؤكد هذا المعنى سنذكر كلاما مفصلا لرجل يعتبر من أعلام المتكلمين الأشاعرة بالإضافة لتصوفه وفلسفته حتى نؤكد هذه الحقيقة العقلانية القرآنية العرفانية.

والرجل الذي أشرنا إليه، والذي هو محل قبول من كثير من الناس هو الشيخ أبو حامد الغزالي، فقد عقد فصلا في الإحياء تحت عنوان [بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا]، قال فيه: (لأن فيه [أي يوم القيامة] يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلى المرآة بالإضافة إلى ما تخيله، وهذه المشاهدة والتجلى هى التى تسمى رؤية، فإذن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة، فتراه في الآخرة كذلك، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هى التى تستكمل، فتبلغ كمال الكشف والوضوح، وتنقلب مشاهدة، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربناه من المثال في استكمال

---

[1] () بحار الأنوار، 4، 31 ح 5..

[2] () بحار الأنوار، 4، 53 ح 31.

الخيال بالرؤية، فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة، لأنها هى بعينها لا تفترق منها إلا في زيادة الكشف كما أن الصورة المرئية هى المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد: 12]، إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا، لأن المعرفة هى البذر الذى ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا، ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل، ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع؟ فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة)[1]

هذا هو قول الغزالي، وهو قول كل منزهة الأمة بمذاهبهم المختلفة، فلا أحد منهم إلا ويقول باستمرار رحلة الإنسان إلى الله في الآخرة، لأن الحياة جميعا دنياها وأخراها رحلة إلى الله.

وحتى يزيل الغزالي تلك الشبه التي يعرضها المجسمة، والذين يبحثون دائما عن المحسوس والملموس، فقد أشار إلى أن تلك الرؤية القلبية التي يتحقق المؤمنون بمباديها في الدنيا، ثم تزداد في الآخرة إلى ما لا نهاية هي اللذة الحقيقية التي لا تعدلها لذة، يقول مبرهنا على ذلك: (وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح، وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا، فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من إيثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب، وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقال الجار ثم الدار فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة، بل إلى رب الجنة، وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة، وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة، إذ ليس يستأنف لأحد في

---

[1] () إحياء علوم الدين (4/ 313)

الآخـرة مـا لم يصـحبه من الـدنيا، ولا يحصـد أحـد إلا مـا زرع، ولا يحشر المرء إلا على ما مـات عليـه، ولا يمـوت إلا على مـا عـاش عليه، فما صحبه من المعرفة هو الذى يتنعم به بعينه فقـط إلا أنـه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللـذة بـه كمـا تتضـاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صـورته فـإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكـل أحـد فيهـا مـا يشـتهى، فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعـالى فلا لـذة لـه في غـيره بـل ربمـا يتأذى به، فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى، وحب اللـه تعـالى بقدر معرفته، فأصل السعادات هى المعرفة التى عبر الشرع عنها بالإيمان)[1]

هذه هي مواقف المنزهـة من الصـورة والرؤيـة، وهي مواقـف ممتلئة بالشفافية والطهر والصفاء، لأن الذي يحبونه ويتعلقـون بـه في غاية القداسة والكمال، ولهذا كانت مطالبهم مشـابهة لحقيقـة محبوبهم:

صفاءٌ، ولا ماءٌ، ولُطْفٌ، ولاهَواً، ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ

وقد تبنى هذا النـوع من الرؤيـة كـل المـنزهين من هـذه الأمـة على اختلاف مـذاهبهم من أشـاعرة وماتريديـة ومعتزلـة وإماميـة وزيدية وإباضية وصوفية .. وغيرهم، بل حتى الفلاسفة الإسلاميون كابن سـينا وابن طفيـل وغيرهمـا أشـاروا إلى جمـال هـذه الرؤيـة القلبية.

ولهـذا فـإن أشـواق العـارفين للرؤيـة أشـواق تنطلـق من هـذا المنبع المقدس، وهي تصيح كما صاح ذلك العاشق الولهان:

دني بفرطِ الحبِّ فيكَ تحيُّراً وارحمْ حشى ً بلظي هواكَ تسعَّراً
وإذا سألتكَ أنْ أراكَ حقيقة ً فاسمَحْ، ولا تجعلْ جوابي:لن تَرَى
يا قلبُ!أنتَ وعدتَني في حُبّهمْ صبراً فحاذرْ أنْ تضيقَ وتضجرا
إنّ الغَرامَ هوَ الحَياة،فَمُتْ بِهِ صَبّاً فحقّكَ أن تَموتَ، وتُعذَرَا
ولقدْ خلوتُ معَ الحبيبِ وبيننا سِرٌّ أرَقّ مِنَ النّسيمِ، إذا سرَى
وأباحَ طرفي نظرة ً أمَّلتهــا فغدوتُ معروفاً وكنتُ منكَّراً
فدهشتُ بينَ جمالهِ وجـلالهِ وغدا لسانُ الحالِ عني مخبراً
فأدِرْ لِحاظَكَ في مَحاسِنِ وَجْهِهِ، تَلْقَى جَميعَ الحُسْنِ، فيهِ، مُصَوَّرَا

---

[1] () إحياء علوم الدين (4/ 314)

لوْ أنّ كُلّ الحُسْنِ يكمُلُ صُورَةً ، ورآهُ كانَ مهلَّلاً ومكبَّراً

وما قاله الشاعر هنا خير دليل على سمو المعرفة التنزيهية وآثارها العظيمة في شفافية صاحبها وطهره وسمو روحه.

أما ما يذكره بعض أدعياء التنزيه من أنه يمكن أن يخلق الله للإنسان في الآخرة بصرا يتيح له أن يراه به، فإن مثله كمثل من يذكر أنه يمكن أن يخترع أحد من الناس جهازا يستطيع التوصل من خلاله إلى العدد الذي ليس بعده عدد، أو أن يكون للسرمدية بداية ونهاية .. وكل ذلك مستحيل.. والإحاطة بالله التي تقتضيها رؤيته أولى أن تكون مستحيلة.

هذا هو تصور الرؤية التنزيهية للصورة والرؤية، وتنزيه الله عنهما جميعا .. أما الرؤية التجسيمية، والتي تمثلها المدرسة السلفية، فلها وجهة نظر مختلفة تماما عن هذه المعاني المقدسة.. فهي مستغرقة في الحس استغراقا كليا .. حتى رؤية لله عندهم ـ والتي يبالغون في شأنها ــ إنما هي رؤية لصورة وجهه الحسي الجميل الذي لا يختلف في شكله العام عن وجه الإنسان إلا في أن الله أجمل من الإنسان بكثير..

أما الحضور مع الله، والشوق إليه، فهو عندهم جلوس حسي معه في الجنة كما يجلسون في الدنيا مع الملوك والأمراء.. ولهذا فإنه عند جلوسه معهم ـ كما يصورون ــ يطلب منهم ما يحتاجون من الصلات، ويصلهم بما يشاء منها.

وعلى العموم فإن حديثهم عن الله ورؤيته وجماله لا يكاد يختلف عن حديثهم عن الحور العين أو الولدان المخلدين .. أو قصور الجنة وأنهارها.

وسنذكر الأدلة على هاتين الناحيتين من خلال الرؤية التجسيمية التي تبنتها المدرسة السلفية، ونبدأ ذلك بذكر تصورهم لصورة الله، وجماله، ثم نتحدث بعدها عن إمكانية رؤيته وكيفيتها، وما يرتبط بها، لنخلص في الأخير إلى النتيجة التي يرمي إليها كل التراث السلفي في العقيدة، وهي تحديد الصورة الدقيقة لله.

الصورة:

يعتبر السلفية إثبات الصورة لله من العقائد الأساسية الكبرى التي لا يخالفها إلا جهمي معطل، أو كافر زنديق.

وقد انتصر ابن تيمية لهذا، وأورد الوجوه الكثيرة التي حاول من خلالها أن يثبت صحته، ومنها ما ذكره في هذا الوجه، قال:

(والوجه الخامس: أن الأحاديث مع آيات القرآن أخبرت بأنه يأتي عباده يوم القيامة على الوجه الذي وصف،وعند هؤلاء هو كل آتٍ،وما في الدنيا والآخرة،وأما أهل الإلحاد والحلول الخاص،كالذين يقولون بالاتحاد أو الحلول في المسيح أو علي أو بعض المشايخ أو بعض الملوك أو غير ذلك مما قد بسطنا القول عليهم في غير هذا الموضع؛ فقد يتأولون أيضاً هذا الحديث كما تأوله أهل الاتحاد والحلول المطلق ؛ لكونه قال: فيأتيهم الله في صورة،لكن يقال لهم: لفظ (الصُّورة) في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يسمى المخلوق بها على وجه التقييد،وإذا أطلقت على الله مختصة به؛ مثل العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير،ومثل خلقه بيديه واستوائه على العرش ونحو ذلك)[1]

وما ذكره ابن تيمية هو نفس ما ذكره من قبله من السلفية وأهل الحديث، يقول ابن قتيبة: (والذي عندي – والله تعالى أعلم – أن الصُّورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين،وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن،ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن،ونحن نؤمن بالجميع،ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدٍّ)[2]

وقد استندوا في هذا لحديث طويل، يوردونه عند ذكرهم لرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فمما ورد فيه: أنا ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال ﷺ: (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟) قالوا: لا يا رسول الله، قَالَ: فَكَذَلِكَ تَرَوْنَه، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه،فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه..)[3]

فهذا الحديث العجيب الذي يجعلونه أصلا في هذه المسألة

[1] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (7/ 131)

[2] () تأويل مختلف الحديث، ص 261.

[3] () رواه: البخاري (7439). ومسلم (183)

يحوي الكثير من الغرائب التجسيمية الخطـيرة .. فهم يـذكرون أن رسول الله ﷺ شـبه رؤيتهم للـه بـرؤيتهم القمـر.. أي أنـه كمـا أن القمر له حيز وحدود وجسم وهو مقابل لهم .. فرؤيتهم للـه تكـون مثل ذلك.

ومنها أن الله ـ تعالى الله عما رووا ـ له صـورة.. بـل لـه صـور متعددة.. وأن له بذلك القدرة على التشـكل، والعجيب أنهم أوردوا أن الله نزل عند رغبة عباده المؤمـنين، فاختـار لهم الصـورة الـتي تتناسب مع مطالبهم.

بل فوق ذلك كله نرى المؤمنين في هذا الحديث ــ وهم الـذين لم يعطوا هذا اللقب العظيم إلا بعد معرفتهم لله وتسليمهم له ـ لا يعرفــون اللــه عنــدما يخــاطبهم.. بــل يظلــون ينتظــرون إلههم الحقيقي.

وغيرها من الغرائب الكثيرة التي لو أعمل السـلفيون عقـولهم لرموا الحديث عرض الجدار، لأنه يحطم كل الأسس العقدية الـتي يدل عليها القرآن والبرهان والعرفان.

لكنهم لا يفعلون ذلك .. فالحديث في البخاري ومسلم.. وفـوق ذلــك رواه أبــو هريــرة.. وهم مســتعدون بــأن يضــحوا بــالقرآن وبعقولهم وبكل شيء في سبيل البخاري ومسلم وأبي هريرة.

والسلفيون بعد ذلك التجسيم وتلـك الغـرائب المرتبطـة بـه، لا يكتفون بإثبات الصورة فقط، وإنمـا يضـمون إليهـا تحديـدها بدقـة، حيث يـرون أن اللـه خلـق الإنسـان على صـورته، وبالضـبط على صورة آدم.

ولايخلو كتاب من كتبهم العقدية من ذكـر هـذا، بـل قـد خصـوا ذلــك بالتــأليف، فقــد ألــف الشــيخ حمــود بن عبداللــه بن حمــود التـويجري كتابـا سـماه [عقيـدة أهـل الإيمـان في خلـق آدم على صــورة الــرحمن]، وهــو منتشــر كثــيرا، واعتــنى بــه الســلفية المعاصرون، بل قدم له شيخهم الكبـير عبـدالعزيز بن عبداللـه بن باز، وقال في تقديمه له: (اطلعت على مـا كتبـه صـاحب الفضـيلة الشيخ حمود بن عبدالله التـويجري وفقـه اللـه وبـارك في أعمالـه فيمــا ورد من الأحــاديث في خلــق آدم على صــورة الــرحمن .. فألفيته كتاباً قيماً كثـير الفائـدة قـد ذكـر فيـه الأحـاديث الصـحيحة الواردة في خلـق آدم على صـورة الـرحمن، وفيمـا يتعلـق بمجيء الرحمن يوم القيامة على صورته، وقد أجاد وأفاد، وأوضح مـا هـو الحق في هذه المسألة، وهو أن الضمير في الحديث الصــحيح في

خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل، وهو موافق لما جـاء في حديث ابن عمر أن الله خلـق آدم على صـورة الـرحمن، وقـد صححه الإمام أحمد وإسحاق بن راهويـه والآجـري وشـيخ الإسـلام ابن تيمية وآخرون من الأئمـة رحمـة اللـه عليهم جميعـاً، وقـد بين كثير من الأئمة خطأ الإمام ابن خزيمة رحمـه اللـه في إنكـار عـود الضمير إلى الله سبحانه في حـديث ابن عمـر والصـواب مـا قالـه الأئمة المذكورون وغيرهم في عود الضمير إلى اللـه عـز وجـل بلا كيف ولا تمثيل، بل صورة اللـه سـبحانه تليـق بـه وتناسـبه كسـائر صفاته ولا يشابهه فيها شيء من خلقه سبحانه وتعالى)[1]

وقـد أوردت هـذه الشـهادة من ابن بـاز حـتى يتـبين لنـا أن مـا سـنذكره من كلام السـلفية والمنقـول في كتبهم هـو بـإقرار مشـايخهم الكبـار المعتمـدين.. لأننـا ــ ومن خلال مناقشـاتنا لهم ـ يتقنون فن الفرار، فكلما احتج عليهم بحجة ذكـروا أنهم لم يقولـوا هذا، أو أن هـذا قـول ضـعيف، ونحـو ذلـك، ولهـذا حاولنـا في هـذا الكتاب كما في غيره من الكتب أن نقتصر على الأقوال المعتمـدة عليهم، وعلى الشخصيات التي يزكونها.

وقد ذكر التويجري الدوافع لتأليفه، وهي دوافع لا تختلف كثـيرا عن تلك الدوافع التي كان ينطلق منها الـدارمي وابن خزيمـة وابن تيمية، فقال: (ولا يزال القول بمذهب الجهمية مستمرا إلى زماننا. وقد رأيت ذلك في بعض مؤلفات المعاصرين وتعليقاتهم الخاطئـة. وذكـر لي عن بعض المنتسـبين إلى العلم أنـه ألقى ذلـك على الطلبة في بعض المعاهد الكبار في مدينة الريـاض. ولمـا ذكـر لـه بعض الطلبـة قـول أهـل السـنة أعـرض عنـه وأصـر على قـول الجهمية. عافانا الله وسائر المسلمين مما ابتلاه به)[2]

وهو يقصد بالجهمة هنا كل منزهة الأمة، لأنهم جميعا، حتى مـع تصحيح الحديث لا يقولون بمقتضاه الظاهر، بـل يؤولونـه بمختلـف صنوف التأويلات.

وبذلك فإن منكر كون الله لـه صـورة كصـورة الإنسـان ــ عنـد السلفية ـ جهمي.. والجهمي عندهم معطل وكـافر.. ومن شـاء أن يعرف حكم الجهمي عندهم، فليقرأ ما كتبه ابن تيمية وغيره عنه.

بعد هذا التقرير المثبت لموقفهم حول ما يسمونه [صورة اللـه تعالى] نحاول أن نذكر ـ باختصار ـ الأدلة التي يعتمدون عليها.

---

[1]() عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (مقدمة/ 7)

[2]() عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (1/ 6).

وهي ــ طبعا ــ ليست أدلة العقلية، فهم يكفرون بالعقل، ويعزلونه، ويعتبرون الرجوع إليه ضلالا وبدعة وكفرا.

وهي ـ كذلك ـ ليست من القرآن الكريم .. فالقرآن الكريم يخبر أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه لم يكن له كفوا أحد.. وأنه لا تدركه الأبصار.

وهي ـ كذلك ــ ليست من السنة النبوية المطهرة الصحيحة المتوافقة مع القرآن الكريم ـ فهي كلها تدل على الله الذي يدل عليه البرهان والقرآن والعرفان.

هي ليست من نوع تلك الأدلة، وإنما تعود جميعا إلى نص واحد من رواة متعددين أخذوه من أساتذتهم من أهل الكتاب، وراحوا ينسبونه زورا وبهتانا إلى رسول الله ﷺ.

ثم هي بعد ذلك تعود إلى عقل واحد ممتلئ بالغرور يتصور أن الله العظيم الذي خلق هذا الكون جميعا، والذي لا يشكل ما نراه منه شيئا أمام ما لا نراه، اختار صورته ليخلق عليها واحدا من خلقه.. ثم يدلله على حساب مخلوقاته جميعا، وهذا العقل هو العقل اليهودي.

ولذلك فسنرى كيف يقبل السلفية على النصوص اليهودية المتعلقة بهذا، ويحترمونها، ويستدلون بها.

وقبل أن نذكرها نذكر الحديث الذي اعتمدوا عليه، والذي لا يقل عندهم قيمة عن حديث الجارية وحديث الساق، وهو ما رووه عن همام بن منبه،عن أبي هريرة بلفظ (خلق الله عز وجل آدم على صورته،طوله ستون ذراعاً،فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر – وهم نفر من الملائكة جلوس – فاستمع ما يحيُّونك،فإنها تحيتك وتحية من بعدك)[1]

ومن روايات الحديث ما رووه عن أبي هريرة (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)[2]

ومن رواياته عن ابن عمر: (لا تقبحوا الوجه، فإن الله خلق

---

[1] () البخاري (3326ـ 6227). ومسلم (2841). وابن خزيمة في التوحيد (1 / 93 – 94) وابن حبان (6162) وابن منده في الرد على الجهمية ص (41 – 42) و اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (711ــ 712) و البيهقي في الأسماء والصفات (635. 636) و البغوي في شرح السنة (3298).

[2] () مسلم (2612). وأحمد (2 / 244). وابنه عبدالله في السنة (496) وابن حبان (5605). و الآجري في الشريعة (721). و البيهقي في الأسماء والصفات (638). وفي السنن (8 / 327).

آدم على صورة الرحمن)[1]

وقد وقف المنزهة من هذا الحـديث مواقـف متعـددة محـاولين أن يردوه إلى معـنى صـحيح متناسـب مـع التنزيـه.. ومن ذلـك مـا ذكره ابن حجر عند ما قال: (واختلف في الضمير على من يعود ؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب لمـا تقـدم من الأمـر بـإكرام وجهه،ولولا أن المراد التعليل بـذلك لم يكن لهـذه الجملـة ارتبـاط بما قبلها)[2]

وقد رد السلفية على هذا التأويـل بشـدة على الـرغم أن بعض متقدميهم ـ وهو ابن خزيمة ـ ذكره، ومن تلك الردود، ما قالـه ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحـديث) – في سـرد لأقـوال الأئمـة في تأويـل هـذا الحـديث – ومنهـا (أن المـراد أن اللـه خلـق آدم على صورة الوجه،قـال: وهـذا لا فائـدة فيـه، والنـاس يعلمـون أن اللـه تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده، وجهه على وجـوههم، وزاد قوم في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام مر برجـل يضـرب وجـه رجل آخر، فقال (لا تضربه،فإن الله تعالى خلق آدم عليـه الصـلاة والسلام على صورته)[3] أي صـورة المضـروب،وفي هـذا القـول من الخلل ما في الأول)[4] .

أما الطبراني فقد اعتـبر هـذا التأويـل تجهمـا، فقـال في كتـاب السنة: (حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال (قال رجل لأبي: إن رجلاً قـال: خلـق اللـه آدم على صـورته،أي صـورة الرجـل،فقـال: كذب،هذا قول الجهمية،وأي فائدة في هذا)[5]

ولهذا، فقد أنكـر السـلفية على ابن خزيمـة ــ على الـرغم من موافقته لهم في كل شيء ـ إنكـارا شـديدا، قـال الـذهبي – معاتبـا من يشتدون على ابن خزيمة بسـبب ذلـك – (وكتابـه في التوحيـد

---

[1] () عبداللـه بن أحمـد في السـنة (498). وابن أبي عاصـم في السـنة (529). وابن خزيمة في التوحيد (1 / 85). و الآجري في الشريعة (725) و الدارقطني في الصفات (45. 48). و البيهقي في الأسماء والصفات (640).

[2] ()) فتح الباري (5/183) .

[3] () وقد كذب ابن تيمية هذا المورد للحديث، فقال في [بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (6/ـ 424)]: (وما ذكر بعضهم من أن النبي ﷺ رأى رجلاً يضرب رجلاً ويقـول قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال خلق اللـه آدم على صـورته أي على صـورة هـذا المضروب فهذا شيء لا أصل له ولا يعرف في شيء من كتب الحديث)

[4] ()) تأويل مختلف الحديث ص (319) .

[5] ()) ميزان الاعتدال (1/603) .

مجلد كبير،وقد تأول في ذلك حديث الصورة،فليعذر من تأول بعض الصفات،وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا وكفوا،وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله،ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده – مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق – أهدرناه،وبدعناه،لقل من يسلم من الأئمة معنا،رحم الله الجميع بمنه وكرمه)[1]

أما ابن تيمية فكعادته في التنظر والإطناب فيه، فقد ذكر ثلاثة عشر وجهاً للرد على هذا التأويل، لأن المسألة عندهم مسألة كفر وإيمان، ولهذا تحتاج منهم كل هذه الجهود الفكرية المضنية.

ومن تلك الوجوه[2] ـ والتي يستخدم فيها ابن تيمية الحيل اللغوية، متناسيا أن أكثرالأحاديث في حال صحتها مروية بالمعنى ـ ما ذكره من أنه في مثل هذا (لا يصلح إفراد الضمير،فإن الله خلق آدم على صورة بنيه كلهم، فتخصيص واحد لم يتقدم له ذكر بأن الله خلق آدم على صورته في غاية البعد،لا سيما وقوله (وإذا قاتل أحدكم .. وإذا ضرب أحدكم) عام في كل مضروب،والله خلق آدم على صورهم جميعهم،فلا معنى لإفراد الضمير،وكذلك قوله (لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك) عام في كل مخاطب،والله قد خلقهم كلهم على صورة آدم)

ومنها: أن ذرية آدم خلقوا على صورة آدم، لم يخلق آدم على صورهم، فإن مثل هذا الخطاب إنما يقال فيه: خلق الثاني المتأخر في الوجود على صورة الأول المتقدم وجوده، لا يقال: إنه خلق الأول على صورة الثاني المتأخر في الوجود، كما يقال: خلق الخلق على غير مثال أو نسيج هذا على منوال هذا .

ومنها: أنه إذا أريد مجرد المشابهة لآدم وذريته لم يحتج إلى لفظ خلق على كذا، فإذ هذه العبارة إنما تستعمل فيما فطر على مثال غيره، بل يقال إن وجهه يشبه وجه آدم، أو فإن صورته تشبه صورة آدم .

ومنها: أنه لو كانت علة النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم لنهى أيضاً عن الشتم والتقبيح وسائر الأعضاء، لا يقولن أحدكم قطع الله يدك ويد من أشبه يدك ... إلخ ما ذكره[3].

ولم ييأس المنزهة من توجيه هذا الحديث بعد هذا الرفض

---

[1] () سير أعلام النبلاء (14/374) .

[2] () انظر هذه الوجوه في: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (6/ 426)

[3] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (6/ 426)

الشديد الذي واجههم به المجسمة، فراحوا يقولون لهم: لا بأس .. فليكن الأمر كما تذكرون .. ولكن ألا يمكن أن يعـود الضـمير يعـود إلى آدم، أي (أن الله خلق آدم على صورته) أي على صـورة آدم)[1]

لكن السلفية رفضوا هذا أيضا رفضا شديدا، بل اتهمـوا القائـل بذلك التجهم والتعطيل، وقد رووا عن الإمام أحمد أنه لما ذكر له قول أبي ثور في تأويل (أن اللـه خلـق آدم على صـورته) أي على صورة آدم، قال: (من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه ؟)[2] .

وقال ابن قتيبة – بعد ذكره لهذا القول – (ولو كان المراد هذا، مـا كـان في الكلام فائـدة، ومن يشـك في أن اللـه تعـالى خلـق الإنسان على صورته، والسباع على صورها، الأنعام على صـورها)[3]

أمـا ابن تيميـة ــ فعادتـه في الإطنـاب والتنظـر ــ ولخطـورة المسألة وأهميتها، ولحرصـه الشـديد على حفـظ عقائـد المؤمـنين التي وكلت إليه ـ باعتباره شيخ الإسـلام ــ من أن يصـيبها فـيروس التجهم والتعطيل، فقد ساق لفساد هذا القـول تسـعة أوجـه، منهـا[4]: أنه إذا قيل: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلـق آدم على صـورة آدم، أو لا تقبحـوا الوجـه، ولا يقـل أحـدكم قبح اللـه وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صـورة آدم، كان هذا من أفسد الكلام، فإنه لا يكون بين العلة والحكم مناسـبة أصلاً، فإن كون آدم مخلوقاً على صورة آدم، فأي تفسير فسـر بـه فليس في ذلـك مناسـبة للنهي عن ضـرب وجـوه بنيـة، ولا عن تقبيحها وتقبيح ما يشبهها.

ومنها: أن الله خلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم، فلو كان مانعاً من ضرب الوجه أو تقبيحه لوجب أن يكون مانعـاً من ضـرب سائر الوجوه وتقبيح سائر الصور، وهذا معلوم الفسـاد في العقـل والدين، وتعليـل الحكم الخـاص بالعلـة المشـتركة من أقبح الكلام، وإضـافة ذلـك إلى النـبي ﷺ لا يصـدر إلا عن جهـل عظيم أو نفـاق

---

[1] () انظر من قال بذلك في: طبقات الحنابلة (1/309) .

[2] () طبقات الحنابلة (1/309) .

[3] () تأويل مختلف الحديث ص (318) .

[4] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (6/ 428)

شديد،إذ لا خلاف في علمه وحكمته وحسن كلامه وبيانه .
وبناء على فساد التأويلين السابقين فقد ذهب السلفية أو أكثرهم إلى أن الضمير في الحديث يعود على الله عز وجل.. وبذلك يصبح معنى الحديث: (إن الله خلق آدم على صورته هو) أي على صورة الله .. أي أن آدم يشبه الله.

والسلفية يجتهدون في أن ينسبوا القول بهذا لإمامهم الكبير الإمام أحمد، ويعتبرون تلك النسبة كافية في البرهنة على ما ذهبوا إليه، وقد نقلوا عن بعضهم أنه قال: (نقلت من خط أحمد الشنجي بإسناده قال: سمعت محمد بن عوف يقول: أملى عليَّ أحمد بن حنبل – فذكر جملة من المسائل التي أملاها عليه مما يعتقده أهل السنة والجماعة،ومنها – وأن آدم صلى الله عليه وسلم خلق على صورة الرحمن كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ)[1]

وقال ابن قتيبة: (والذي عندي – والله تعالى أعلم – أن الصورة ليست بأعجب من اليدين،والأصابع،والعين،وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن،ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن،ونحن نؤمن بالجميع،ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد)[2]

وقد انتصر التويجري في كتابه الذي خصصه لهذا الحديث، والذي أقره عليه ابن باز، بوجوه كثيرة نقتصر منها على هذا الوجه، حيث قال: (الوجه الثاني: أن يقال إن خلق آدم على صورة الرحمن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أربعة أحاديث .. أولها: حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (خلق الله آدم على صورته)، وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة عن أبي هريرة والضمير في قوله (على صورته) عائد إلى الله تعالى كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة.. وثانيها: حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:(لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن) وهذا نص صريح في أن الله تعالى خلق آدم على صورته. وهذا النص لا يحتمل التأويل، ومن تأوله فقد أبعد النجعة وتكلف غاية التكلف.. وثالثها: حديث أبي يونس الدوسي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:(إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه

---

[1] طبقات الحنابلة (1/313) .

[2]) تأويل مخلف الحديث ص (318) .

فإنما صورة الإنسان على صورة وجه الرحمن) وهذا نص صريح في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورة وجهه الذي هو صفة من صفات ذاته. وهذا النص لا يحتمل التأويل، وفيه أبلغ رد على ابن خزيمة وعلى كل من تأول الحديث بتأويلات الجهمية المعطلة.. ورابعها: حديث أبي رافع الصائغ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:(إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه) وهذا نص صريح في خلق آدم على صورة وجه الله تعالى، وهذا النص لا يحتمل التأويل، وفي هذه الأحاديث الأربعة أبلغ رد على من تأول حديث ابن عمر على غير تأويله ونفى إضافة الصورة إلى الرحمن وزعم أنها من إضافة الخلق والتصوير إلى الله تعالى)[1]

هذا ما ذكره التويجري وهو تلخيص لما ذكره ابن تيمية وغيره من أعلام السلفية الذين أعطوا المسألة ما تستحقه من العناية، باعتبارها تبحث عن صورة الله، وهل هناك عاقل يرغب عن البحث عن هذه الصورة؟

ويتبين لنا من خلال ما ذكره من روايات الحديث المعتمدة كون أبي هريرة يشكل قطب رحاه، وهذا يكشف لنا عن مصدر الحديث، فمن المعلوم عند المحدثين أنفسهم، بل عند السلفية جميعهم أن أبا هريرة كان تلميذا نجيبا لكعب الأحبار وغيره من اليهود، وكانت تختلط رواياته عن كعب برواياته عن النبي ﷺ.

ولهذا كان من السهولة على المنزهة أن يرفضوا الحديث ويردوه بمجرد روايته عن أبي هريرة، خاصة وأنهم يعللون رواية ابن عمر بالعلل الكثيرة.. ولكن الخشية للأسف من اتهامهم بالطعن في الصحابة جعلهم يرضون بالطعن في تنزيه الله نفسه، بل جعلهم يتكلفون من التأويل ما غلبهم فيه المجسمة، لأن النص واضح في الدلالة على التشبيه، وكل تأويل له تكلف.

ولهذا كان يمكنهم التعامل مع حديث الصورة كما تعاملوا مع قوله في الحديث المشهور: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي،فقال: خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس،وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين

[1] () عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (1/ 40)

العصر إلى الليل)[1]
فمع كون الحديث مرويا في صحيح مسلم إلا أن ابن كثير تجرأ فقال بكذبه، فقد قال في تفسيره تعليقا عليه: (فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه، والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج به وفيه استيعاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال في ستة أيام، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا)[2]

بل إن ابن تيمية نفسه رد الحديث، فقال في (مجموع الفتاوى): (.. خلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فإن هذا طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخارى وغيرهما وذكر البخارى أن هذا من كلام كعب الأحبار)[3]

وليتهم أعرضوا عن حديث الصورة أيضا، لأن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، لكن العقل السلفي يتعامل بانتقائية فيرفض ما يشاء، ويقبل ما يشاء.

فمع اعترافهم بأن أحاديث أبي هريرة مختلطة مع أحاديث كعب الأحبار إلا أنهم لا يبالون في أخذ أكثر عقائد الدين منه، وقد روى ابن كثير عن عروة بن الزبير بن العوام،قال: قال لى أبي الزبير: أدنني من هذا اليمانى (يعني أبا هريرة) فانه يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ قال: فأدنيته منه فجعل أبو هريرة يحدث، وجعل الزبير يقول صدق كذب صدق كذب،قال: قلت يا أبة ما قولك صدق كذب،قال: يا بني أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا أشك، ولكن منها ما يضعه على مواضعه ومنها ما وضعه على غير مواضعه)[4]

وروى ابن كثير أيضا عن مسلم صاحب الصحيح بسنده عن بكير بن الأشج،قال: قال لنا بشر بن سعيد: (اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ، ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم فأسمع بعض ما كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب وحديث كعب عن

---

[1] صحيح مسلم (4/ 2149)
[2] تفسير ابن كثير ج2 ص294.
[3] مجموع فتاوى ابن تيمية ج18ص18.
[4] البداية والنهاية ج8 ص109.

رسول الله ﷺ)[1]

الرؤية:

بناء على الرؤية التجسيمية لله، فإن المطلب الأكبر في المعرفة الكاملة لله هو البحث عن رؤيته رؤية حسية كما يرى القمر وكما ترى الشمس، وكما ترى الأجسام، لتتمتع العين برؤيته كما تتمتع برؤية الأزهار الجميلة والحدائق الغناء وغيرها.

ولهذا نرى السلفية يحشرون رؤية الله تعالى في الجنة في المواضع التي يتحدثون فيها عن جمال صور أهل الجنة، وجمال قصورهم، ونحو ذلك.

ومن أراد أن يرى تفاصيل ذلك يمكنه الرجوع إلى كتاب [حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح] لابن القيم، فقد عقد فيه فصلا بعنوان [ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى][2]، وذكر قبله بابا بعنوان: [في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها][3] وفي كليهما ذكر مشاهد للقاء الحسي الذي يجري بين المؤمنين وربهم في الجنة، كما يجري بين أعلام السلفية والملوك والأمراء في الدنيا.

وسنسوق هنا بعض الروايات الواردة في ذلك لنرى مبلغ تعظيم السلفية لله تعالى، وتنزيه لهم، فمن تلك الروايات ما رواه عن سعيد بن المسيب، أنه لقي أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم. أخبرني رسول الله ﷺ: أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم، وما فيهم دني، على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا)، قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟) قلنا: لا. قال: فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم

---

[1] () البداية والنهاية ج8 ص109.

[2] () حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: 267).

[3] () حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: 264).

تبـارك وتعـالى، ولا يبقى في ذلـك المجلس أحـد إلا حاضـره اللـه محاضرة، حتى يقول: يـا فلان بن فلان أتـذكر يـوم فعلت كذا وكذا، فيذكره بعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلى. فيقـول: يـا رب أفلم تغفر لي؟ فيقـول: بلى، فبمغفـرتي بلغت منزلتـك هـذه. قال: فبينما هم على ذلك غشـيتهم سـحابة من فـوقهم، فـأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحـه شـيئا قـط، ثم يقـول ربنـا تبـارك وتعـالى: قومـوا إلى مـا أعـددت لكم من الكرامـة، فخـذوا مـا اشتهيتم، قال: فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم تخطر على القلوب. قال: فيحمل لنا ما اشتهيناه، ليس يباع فيه شيء ولا يشـترى، في ذلـك السـوق يلقى أهـل الجنـة بعضـهم بعضـا. قـال: فيقبـل ذو الـبزة المرتفعة، فيلقى من هـو دونـه، ومـا فيهم دني، فيروعـه مـا يـرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثـل عليـه أحسـن منـه، وذلـك أنـه لا ينبغي لأحـد أن يحـزن فيهـا. قـال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبا وأهلا بحبنـا، لقـد جئت وإن بـك من الجمـال والطيب أفضـل ممـا فارقتنـا عليـه، فيقول: (إنا جالسـنا اليـوم ربنـا الجبـار تبـارك وتعـالى، ويحقنـا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)[1]

ومن الروايات التي يوردونهـا في هـذا مـا يروونـه أن رسـول الله ﷺ قال: (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذْ سطع لهمْ نورٌ فرفعوا رؤوسهم ،فإذا الربُّ قد أشرف عليهم من فـوقهم فقـال: السـلام عليكم يا أهل الجنة،قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [يس: 58] ،قـــال: فينظـــر إليهم وينظـــرون إليه،فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظـرون إليـه حـتى يحتجب عنهم ويبقى نورُه وبركته عليهم في ديارهم) [2]

هذه بعض المشاهد التي يحرص السـلفية على ذكرهـا في كـل محـل، وهي لا تختلـف كثـيرا عن المشـاهد الـتي نقرؤهـا في كتب التاريخ والأسـاطير عن مجـالس الملـوك والأمـراء.. حيث يقربـون ندمانهم، ثم يصلونهم بأنواع الصلات.. وهي علاقة ماديـة صـرفة لا مجال فيها للمشاعر السامية، ولا للعواطف الجياشة الـتي رأيناهـا عند أهل العرفان.

ومن العجب الذي نراه في أمثال هـذه الرويـات هـو إسـكانهم

---

[1] () السنة لابن أبي عاصم (1/ 258).

[2] () رواه ابن ماجه برقم (184)

لله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون جميعـا في دار من دور الجنـة ليجاورهم، ويصلهم، وتزداد صورهم حسنا بذلك، وكأن اللـه تعـالى لم يخلق سواهم، ولا له تدبير لغيرهم.

ومن العجب الأكبر هو أحـاديثهم عن جمـال اللـه تعـالى.. وهي أحاديث عن الجمال الحسي، لا عن الجمال العظيم الـذي لا يمكن الإحاطة به، ومن أمثلة ذلك ما قاله الهرَّاس، فقد قال: (أما جمال الذات ؛ فهو ما لا يمكن لمخلـوق أنَّ يعـبر عن شـيء منـه أو يبلـغ بعض كنهـه، وحسـبك أنَّ أهـل الجنـة مـع مـا هم فيـه من النعيم المقيم وأفانين اللذات والسرور التي لا يقدر قدرها، إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله ؛ نسوا كل ما هم فيه،واضمحل عندهم هذا النعيم، وودوا لـو تـدوم لهم هـذه الحـال، ولم يكن شـيء أحب إليهم من الاسـتغراق في شـهود هـذا الجمـال،واكتسـبوا من جمالـه ونـوره سبحانه جمالاً إلى جمالهم،وبقـوا في شـوق دائم إلى رؤيتـه،حـتى إنهم يفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب)[1]

وهو في هذا الكلام الذي يشـبه كلام العـارفين في ألفاظـه، إلا أنه لا يرقى إلى مقاصدهم.. فالجمال عنده هو جمـال صـورة اللـه الحسية التي لم يتصوروا أن يعرف الله من دونها.

والعجيب أن السلفية في ذكرهم لهذا يتناقضون مع ما يوردونه من روايات حول ما يطلقون عليه صـفة [السـبحات]، والـتي رووا في شأنها قوله ﷺ: (لو كشـفه لأحـرقت سـبحات وجهـه مـا انتهى إليه بصره من خلقه) [2]

وقد رفضوا كل التأويلات التي أوردها المنزهـة، مثلمـا فسـرها الزمخشـري بأنهـا (الأنـوار الـتي إذا رآهـا الـراءون من الملائكـة سبحوا وهللوا لما يروعهم من جلال الله وعظمته)[3]

أو كمـا فسـرها ابن فـورك حين قـال: (فقـد تـأول أهـل العلم ذلك، منهم أبو عبيد، ذكر أن معنى لو كشفها، فقال: أي لو كشـف رحمتـه عن النـار لأحـرقت سـبحات وجهـه، أي لأحـرقت وجـه المحجـوب عنـه بالنـار، والهـاء عائـد في سـبحات وجهـه إلى

---

[1] شرح النونية: 2/64.

[2] رواه مسلم، وقد قدح بعض المتأخرين من المنزهة في سـند هـذا الحـديث الـذي رواه مسلم. وذكر أن هذا الحديث رواية شاذة انظر تعليق حسن السقاف على شبه التشـبيه (ص 200 ـ202) .

[3] الفائق في غريب الحديث (2/148) .

المحجوب،لا إلى الله عز وجل)[1]

وقد رفض السلفية كل ذلك، وتمسكوا بـالمعنى الحسـي، وهـو أن هذه السـبحات نـور وجهـه جـل جلاله، يقـول ابن القيم: (فـإذا كانت سبحات وجهه الأعلى لا يقوم لها شيء من خلقه، ولو كشف حجاب النور عن تلك السبحات لأحـرق العـالم العلـوي والسـفلي، فمـا الظن بجلال ذلـك الوجـه الكـريم وعظمتـه وكبريائـه وكمالـه وجلاله وجمالـه) [3]

ولم يكتف السلفية بكـل ذلـك التجسـيم المسـتند لأمثـال تلـك الروايـات والأسـاطير الـتي ينفسـون بهـا عن نفوسـهم الممتلئـة بالضيق والكدر.. وإنما راحوا يضيفون إليها جرعة أكبر من الجـــرأة حين يضعون لله صورة تتناسب مـع شـذوذهم وفطـرهم المدنسـة بدنس الحس.

وقد قدموا لتلك الصورة ــ لصـعوبة تقبلهـا ــ بمقـدمات كثـيرة حتى يسهل عليهم التملص والفرار إذا ما اتهموا بالتشبيه المطلق.

وقد انطلقوا في ذلك من ذكر ما يطلقون عليـه [رؤيـة رسـول اللـه ﷺ لربـه]، وهي مسـألة حظيت باهتمـام كبـير من السـلفية.. وأكثرهم يميل إلى أنها وقعت .. وحتى الذي لا يميل إلى ذلك يذكر بأن رسول الله ﷺ رأى ربـه في الرؤيـا.. ثم يعقب على ذلـك بـأن رؤيا الأنبياء حق.. وبذلك فـإن مـا وصـف رسـول اللـه ﷺ ربـه من الصـفات الحسـية مقبـول عنـدهم سـواء قـالوا برؤيـة اليقظـة أم بالرؤيا المنامية.

ولأن النتيجة في كليهما واحدة، فقد تعامل السلفية بهـدوء مـع هـذه المسـألة على الـرغم من وجـود آثـار كثـيرة تثبت الرؤيـة، والمثبت عندهم مقدم على النـافي، قـال الـذهبي: (ولا نعنـف من أثبت الرؤية لنبينا في الدنيا، ولا من نفاها، بل نقول اللــه ورسـوله أعلم، بل نعنف ونبدع من أنكر الرؤية في الآخرة، إذ رؤية الله في الآخرة ثبتت بنصوص متوافرة) [2]

أما الفريق الذي يرى أنها قد وقعت، ويصـف بالضـبط صـورة الله بدقة، فهم أكثر السلفية، كمـا قـال ابن تيميـة: (وأكـثر علمـاء أهل السنة يقولون: إن محمدًا ﷺ رأى ربه ليلة المعراج)[3]

---

[1] () مشكل الحديث وبيانه (ص231) .

(3) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. 1 / 234 .

[2] () سير أعلام النبلاء 10/114

[3] () مجموع الفتاوى 3/386.

ويستند هذا الفريق إلى بعض الآثار عن الصحابة والتابعين، والتي يجزمون فيها، ويحلفون برؤية رسول الله ﷺ لربه.

وأهم تلك الروايات ما رووه عن عكرمة عن ابن عباس قال: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ) [1]

ومنها ما رووه عن قتادة أن أنسًا قال: (رأى محمدٌ ربَّه) [2]

ومنها ما رووه أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه عز وجل؟ فقال: (نعم، قد رآه)[3]

ورووا عن التابعين أن عكرمة سئل عن قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم 11]، قال: (أتريد أن أقول لك: قد رآه. نعم قد رآه، ثم قد رآه، ثم قد رآه، حتى ينقطع النفس)[4]

ورووا عن المبارك بن فضالة قال: (كان الحسن يحلف ثلاثة لقد رأى محمد ﷺ ربه) [5]

وقد يكون ما ذكره هؤلاء جميعا في هذا صحيحا، ويكون قصدهم كما ذكرنا سابقا (الرؤية القلبية)، لأن الله تعالى لم يكن يغيب أبدا عن قلب رسول الله ﷺ.. بل كان يراه في كل أحواله.

ويؤيد هذا ما رووه عن عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم 13] قال: (إن النبي ﷺ رأى ربه بقلبه) [6]، ومنها ما رووه عن أبي ذر أنه قال: (رأى رسول الله ﷺ ربَّه بقلبه ولم يره ببصره) [7]

لكن مشكلة السلفية أنهم لا يكتفون بالروايات التي تحتمل

---

[1] ابن أبي عاصم في السنة (1/192)، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط البخاري، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (1/299)، والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف 5/165)، وابن خزيمة في التوحيد (1/479، ح272)، والآجري في الشريعة (3/1541، ح 1031)، (2/1048، ح627)

[2] - أخرجه ابن أبي عاصم في السنة 1/188 رقم 432. وابن خزيمة في كتاب التوحيد 2/487، رقم 280.

[3] - أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة 1/176، رقم 218. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/571، رقم 908.

[4] - أخرجه ابن جرير في تفسيره 27/48. وعبد الله بن أحمد في السنة 1/178 رقم 221. واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد 3/571 رقم 907

[5] - أخرجه ابن خزيمة في التوحيد 2/488 رقم 281. وانظر تفسير الحسن البصري 5/85 رقم 1572. وتفسير عبد الرزاق 2/204. والشفا للقاضي عياض 1/258.

[6] - أخرجه مسلم (3/8). وأحمد في المسند 1/223

[7] - أخرجه النسائي في تفسيره 2/345، رقم 556، قال المحقق: صحيح، تفرد به المصنف، وابن خزيمة في كتاب التوحيد 2/516، رقم 310.

التنزيه، بل يضيفون إليها الروايات التي لا يفهم منها إلا التجسيم.. ومن تلك الروايات ما رووه عن عبد الله بن عمر أنه بَعَثَ إلى عبد الله بن عباس يسأله: هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ فبعث إليه: (أن نعم قد رآه)، فرد رسوله إليه وقال: كيف رآه؟ فقال: (رآه على كرسي من ذهب، تحمله أربعة من الملائكة، ملك في صورة رجل، وملك في صورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، في روضة خضراء، دونه فراش من ذهب)[1]

ومع أن السمة اليهودية واضحة على هذا الحديث الممتلئ بالذهب والجواهر الكريمة إلا أننا نجد السلفية تردده في مصادرها العقدية الكبرى التي تتيح قراءتها لعوام الناس، بل تحثهم عليها، لتمتلئ قلوبهم بدرن التجسيم المختلط بالذهب.

هذا هو الفريق الأول الذي مال إليه أكثر السلفية.. أما الفريق الثاني، فتمثله عائشة، فقد ردت ما روي عن ابن عباس ردا شديدا، واستدلت بالقرآن الكريم في ردها، مما أثار بعض السلفية المتقدمين عليها.

وسنذكر قول عائشة، ثم نذكر موقف علم من أعلام السلفية الكبار منها نتيجة لرفضها الرؤية، والرواية هي ما حدث به مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة ﷺ فقالت: (يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن، فقد أعظم على الله الفرية، من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، قال: وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين: أنظريني ولا تعجليني: ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض. فقالت: ألم تسمع أن الله يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام 103]. أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى 51])[2]

ومع أن هذا الحديث يحمل الرؤية التنزيهية بأجمل صورها، ويستند إلى القرآن في ذلك إلا أننا نجد علما كبيرا من أعلام السلفية يلقبونه [إمام الأئمة] هو ابن خزيمة يقول ردا عليها: (هذه

---

[1]() - رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص 391 رقم 38، وابن خزيمة في التوحيد 2/483 برقم 275، وعبد الله بن أحمد في السنة 1/175. والآجري في الشريعة 3/1543.

[2]() - أخرجه مسلم 3/9-13، والبخاري 8/472.

لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب،ولو كـانت لفظـة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها كان أجمل بها،ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائلة: قد أعظم ابن عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم ! ولكن قـد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمـل منها . أكثر مـا في هـذا أن عائشـة وأبـا ذر وابن عبـاس وأنس بن مالك،قد اختلفوا هل رأى النبي ﷺ ربه فقالت عائشة: لم ير النبي ﷺ ربه،وقـال أبـو ذر وابن عبـاس ﷺ قـد رأى النـبي ﷺ ربه،وقـد أعلمت في مواضع من كتبنا أن النفي لا يوجب علماً والإثبـات هـو الذي يوجب العلم،لم تحكِ عائشة عن النبي ﷺ أنه أخبرها أنـه لم ير ربه عز وجل، وإنما تلت قوله عز وجل ﴿لا تُدْرِكُـهُ الْأَبْصَـارُ وَهُـوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام 103]، وقوله: ﴿وَمَا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَنْ يُكَلِّمَـهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً ..﴾ [الشورى 51])، ومن تـدبر هـاتين الآيـتين ووفـق لإدراك الصواب علم أنـه ليس في واحـدة من الآيـتين مـا يسـتحق الرمي بالفريـة على الله،كيـف بـأن يقـول قـد أعظم الفريـة على الله!)[1]

وبعد أن فنـد ــ حسـب تصـوره ــ مـا اسـتدلت بـه من الآيـتين الكريمتين قال: (نقول كما قال معمـر بن راشـد لمـا ذكـر اختلاف عائشة وابن عباس في هذه المسـألة: مـا عائشـة عنـدنا أعلم من ابن عباس،نقول: عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبـة حـبيب اللـه عالمة فقيهة،كذلك ابن عباس ابن عم النبي ﷺ قد دعا النبي ﷺ له أن يرزق الحكمة والعلم وهـذا المعـنى من الـدعاء،وهـو المسـمى ترجمان القرآن،وقد كان الفاروق يسأله عن بعض معـاني القـرآن فيقبل منه وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سـناًّ منـه وأقـدم صـحبة للنبي ﷺ وإذا اختلفا فمحال أن يقال قد أعظم ابن عبـاس الفريـة على الله،لأنه قد أثبت شيئاً نفته عائشة،والعلماء لا يطلقـون هـذه اللفظة،وإن غلـط بعض العلمـاء في معـنى آيـة من كتـاب اللـه أو خـالف سـنةً أو سـنناً من سـنن النـبيﷺ لم تبلـغ المـرء تلـك السنن،فكيف يجوز أن يقال أعظم الفرية على الله من أثبت شيئاً لم يبينه كتاب ولا سنة،فتفهموا هذا لا تغالطوا)[2]

بعـد هـذا الخلاف، والـذي مـال فيـه أكـثر السـلفية إلى طـرف التجسـيم والتشـبيه، اخـترع الشـيطان وأتباعـه للطـرف المـنزه

---

[1] التوحيد لابن خزيمة (2/ 556)

[2] التوحيد لابن خزيمة (2/ 559)

اختراعا ذكيا حولهم إلى صف إخوانهم بلباقة وذكاء وفطنة.

وهذا الاختراع هو تحويل الرؤية من الرؤية الحسـية إلى الرؤيـا المناميـة، باعتبـار أن رؤيـا الأنبيـاء حـق، كمـا ورد في النصـوص المقدسة الكثيرة، وكما هو محل اتفاق من الأمة.

قال ابن القيم، نقلا عن شيخه ابن تيمية: (قال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة -قـدس اللـه روحـه-: وليس قـول ابن عبـاس إنـه رآه مناقضا لهذا ولا قوله رآه بفؤاده وقد صح عنه أنه قال: (رأيت ربي تبـارك وتعـالى)، ولكن لم يكن هـذا في الإسـراء، ولكن كـان في المدينة لما احتبس عنهم في صـلاة الصـبح، ثم أخـبرهم عن رؤيـة ربه -تبارك وتعالى- تلك الليلـة في منامـه، وعلى هـذا بـنى الإمـام أحمد -رحمه الله تعالى- وقال: نعم رآه حقا فإن رؤيا الأنبيـاء حـق ولابد، ولكن لم يقل أحمد -رحمه الله تعالى- إنه رآه بعيـني رأسـه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليـه، ولكن قـال: مـرة رآه، ومرة قال: رآه بفؤاده، فحكيت عنه روايتـان، وحكيت عنـه الثالثـة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك) [1]

بعد تثبيت السلفية هذه المقـدمات بمختلـف أنواعهـا، يـذكرون أهم نتيجة تصل إليها عقائدهم التجسيمية، وهي تحديد صـورة اللـه تعالى بدقة، حتى إذا ظهر لهم يـوم القيامـة لم يخطئـوا فيـه، كمـا يروون الروايات الدالة على ذلك.

والحديث الذي يسوقونه لهذا هو ما رووه عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب أنها قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربـه - عـز وجـل - في المنـام في صـورة شـاب مـوفر في خضـر على فـراش من ذهب، في رجليـه نعلان من ذهب)، وفي روايـة (رَأَيْتُ رَبِّي فِي المنام في صورة شاب مُوَقَّرٍ فِي خَضِـرٍ، عليـه نَعْلَانِ من ذهب، وَعَلَى وجهه فراش مِنْ ذهب)، وفي رواية: (أنه رأى ربه عز وجل في النوم في صورة شـاب ذي وفـرة، قـدماه في الخضـرة، عليه نعلان من ذهب،على وجهه فراش من ذهب) [2]

وفي رواية عن ابن عباس يرفعها لرسول الله ﷺ: (رأيت ربي،

---

[1] () - زاد المعاد 3/37.

[2] () أخرجه ابن أبي عاصـم في السـنة 1/205 رقم 471. والطـبراني في المعجم الكبـير 25/143 رقم 346. والبيهقي في الأسـماء والصـفات 2/367-369 رقم 942. والـدارقطني في الرؤية ص 190 رقم 316. والقاضـي أبـو يعلى في إبطـال التـأويلات 1/141. والخطيب في تاريخ بغداد 13/311، وهذا الحديث صححه الحسن بن بشار وأبو يعلى كما في (طبقـات الحنابلة لأبي يعلى: 2/59)

عز وجل، في حلة خضـراء في صـورة شـاب عليـه تـاج يلمـع منـه البصر)، وفي وراية: (أن محمداً ﷺ رأى ربه في صورة شاب أمـرد من دونه ستر من لؤلؤ، قدميه، أو قـال: رجليـه في خضـرة)، وفي رواية (رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء)[1]

وقد دافع ابن تيمية عن هذا الحديث والروايات الواردة فيه أيما دفاع، فقال: (قال الخلال أبوبكر المروذي قال قرئ على أبي عبـد الله شاذان حدثنا حمـاد بن سـلمة عن قتـادة عن عكرمـة عن ابن عباس أن محمدًا رأى ربه، فذكر الحـديث، قلت إنهم يطعنـون في شاذان يقولون ما رواه غير شاذان، قال بلى قـد كتبتـه عن عفـان عن رجل عن حماد عن سلمة عن قتادة عن ابن عباس قـال قـال رسول اللـه ﷺ: رأيت ربي، وقـال المـروذي في موضـع آخـر قلت لأبي عبد الله: فشاذان كيف هو؟ قـال: ثقـة، وجعـل يثبتـه، وقـال: في هذا يشنع به علينا، **قلت:** أفليس العلماء تلقته بـالقبول، قـال بلى قلت إنهم يقولـون إن قتـادة لم يسـمع من عكرمـة قـال هـذا لايدري الذي قال وغضب وأخرج إليَّ كتابه فيه أحـاديث بمـا سـمع قتادة من عكرمة، فإذا ستة أحـاديث سـمعت عكرمـة حـدثنا بهـذا المروذي عن أبي عبد الله قال أبو عبد الله: قـد ذهب من يحسـن هذا وعجب من قول من قال لم يسمع وقال سبحان الله هو قـدم البصرة فاجتمع عليه الخلق)[2]

وقال في موضع آخر: (شاذان يقول أرسلت إلى أبي عبـد اللـه أحمد بن حنبل أسـتأذنه في أن أحـدث بحـديث قتـادة عن عكرمـة عن ابن عباس قال رأيت ربي، قال حدث به فقد حدث به العلماء، قـال الخلال أبنـا الحسـن بن ناصـح قـال حـدثنا الأسـود بن عـامر شاذان ثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ رأى ربه جعدًا قططا أمرد في حلة حمراء والصواب حلـة خضراء)[3]

ثم يـــروي أحـــاديث الرؤيـــة المناميـــة، ويـــبين انطباقهـــا على الأحاديث الدالة على الرؤية في اليقظة، فقـد روى عن امـرأة أبي

---

[1] () هذا الحديث من هذا الطريق صححه جمعٌ من أعلام السلفية الكبار منهم: الإمام أحمد (المنتخب من علل الخلال: ص282، وإبطال التأويلات لأبي يعلى 1/139)، وأبو زرعة الرازي (إبطال التأويلات لأبي يعلى 1/144)، والطبراني (إبطال التـأويلات لأبي يعلى 1/143)، وأبـو الحسن بن بشار (إبطال التأويلات 1/ 142، 143، 222)، وأبو يعلى في (إبطال التأويلات 1/ 141، 142، 143)، وابن صدقة (إبطال التأويلات 1/144) (تلبيس الجهمية 7 /225)، وابن تيمية في (بيان تلبيس الجهمية 7/290، 356)

[2] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (7/ 194).

[3] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (7/ 196).

بن كعب أنها سمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول رأيت ربي في المنـام في خضر من الفردوس إلى أنصـاف سـاقيه في رجليـه نعلان من ذهب)[1]

ثم علق عليه بقوله: (وهذا الحديث الذي أمر أحمد بتحديثه قـد صرح فيه بأنه رأى ذلك في المنام، وهـذه الألفـاظ نظـير الألفـاظ التي في حديث ابن عباس) [2]

بل إنه فوق ذلك، وحتى يبين إمكانية الاستدلال بحـديث الرؤيـة المنامية على صفة الله، قال: (وإذا كان كذلك فالإنسان قـد يـرى ربه في المنام ويخاطبه فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسـه مثـل مـا رأى في المنـام فـإن سـائر مـا يـرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلا، ولكن لا بد أن تكون الصـورة الـتي رآه فيهـا مناسـبة ومشـابهة لاعتقـاده في ربـه، فـإن كـان إيمانـه واعتقاده مطابقا أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس .. وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى وإنمـا ذلـك بحسـب حـال الـرائي وصـحة إيمانه وفساده واستقامة حاله وانحرافه)[3]

وما يريده ابن تيمية من هذا الكلام واضح، ذلـك أنـه يعـرف أن المسلمين جميعا يعرفون أن محمدا ﷺ أعرف الخلق بربه، ولـذلك رؤيتـه مقاربـة أو مطابقـة للـه نفسـه.. خاصـة إذا انضـم إليهـا مـا صححه من الأحاديث المتعلقة بالرؤية الحسية.

وبهذا يختم السلفية حـديثهم عن الرؤيـة والصـورة ليصـلوا إلى النتيجـة الكـبرى، وهي أن اللـه عنـدهم في صـورة بشـر، بـل في صورة شاب أمرد جميل.. وليس فيه من العيوب سـوى أن شـعره جعد قطط[4].

---

[1] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (7/ 194).

[2] () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (7/ 194).

[3] () (بيان تلبيس الجهمية 1/73)

[4] () معنى الجعد: ضد السبط، ومعـنى القطـط: الجعـد القصـير من الشـعر، هكـذا عرفـه شعيب الارناوؤط في تحقيقه لمسند احمد 5/414.

أقوال .. وأفعال

يرى أصحاب الرؤية التنزيهية لله ـ سواء كانوا من أهل البرهان أو من أهل العرفان ـ أن من مقتضيات تقديس الله تعالى تقـديس كـل مـا يتصـف بـه من صـفات الكمـال كـالعلم والقـدرة والإرادة والرحمة واللطف، وكـل مـا ورد في النصـوص المقدسـة الحـديث عنه أو الإشارة إليه من صفات الكمال الإلهي الذي لا يحد ولا يعد.

وهذا ما يدل عليه الشق الثاني مما ورد في القرآن الكريم من المعرفـة الإلهيـة، وهـو شـق التعظيم.. فالمعرفـة الإلهيـة تنزيـه وتعظيم.. فلا تنزيـــه من دون تعظيم، ولا تعظيم من دون تنزيـــه، ولهذا أمر الله تعالى بالجمع بينهما، فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 98]

وأخــبر أن الملائكـة عليهم السـلام المعصـومين في سـلوكهم ومعارفهم يعرفون الله بهاتين المعرفتين العظيمتين، فقـال حاكيـا عنهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]

بل أخـبر أن كـل شـيء يعـرف اللـه بهـذا النـوع من المعرفـة، فقال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْـبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44]

وهذا يعني أن التنزيه لله لا يشمل تنزيه ذاته فقط، بـل يشـمل أيضا تنزيه صفاته وأسمائه الحسنى من أن يتسـرب إليهـا أي لـون من ألوان التجسيم أو التشبيه أو القصور أو الضعف أو الافتقار.

ولهـذا نجـد التحـذيرات الكثـيرة من أوليـاء اللـه من أن نـترك للشيطان فرصة ليخلط الكمال بالنقص، أو يمزج التنزيه بالتشبيه.

ومن أمثلة تلـك التحـذيرات الـتي تعتـبر أصـلا لغيرهـا مـا قالـه الإمام علي عند حديثه عن الرحمة الإلهية، فقد عرف الله الــرحيم بقوله: (رحيم لا يوصف بالرقة)[1]

ووضح ذلك الإمام الصـادق بتفصـيل أكـثر، فقـال: (إن الرحمـة وما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود، وإن رحمة الله ثوابه لخلقــه، وللرحمـة من العبـاد شـيئان، أحـدهما يحـدث في القلب: الرأفـة، والرقـة لمـا يـرى بـالمرحوم من الضـر والحاجـة وضـورب البلاء، والآخر ما يحدث منا بعد الرأفة واللطف على المرحـوم والمعرفـة منا بما نزل به، وقد يقول القائل: (انظـر إلى رحمـة فلان)، وإنمـا

[1] () نور الثقلين: 1/13.

يريد الفعل الذي حدث عن الرقة التي في قلب فلان، وإنما يضاف إلى الله عز وجل من فعل ما حدث عنا من هذه الأشياء، وأما المعنى الذي في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه، فهو رحيم لا رحمة رقة)[1]

وهذه الكلمات العظيمة، والتي هي قاعدة هذا الباب، تدلنا على المنهج الذي نتعامل به مع أسماء الله الحسنى.. فهي حسنى بكل اعتبار، وكمال بكل المقاييس.

ولو أننا حللنا مفهوم الرحمة لوجدنا أن كمالها ليس في تلك الرقة التي تعترينا، وإنما في حصول العناية منا بمن نقوم برحمته.. ولذلك تتفق رحمته تعالى مع ما نفهمه من الرحمة في بعض الأمور، وتختلف في بعضها.

فالرحمة في منطقنا تستدعي مرحوما، وتشترط في المرحوم أن يكون محتاجا، وتشترط في الراحم أن يفيض عنايته على المرحوم بما يسد حاجاته، قاصدا بذلك العناية بالمرحوم، فإن قصر ـ مع القدرة ـ لم تعتبره رحيما، فإن عجز اكتفت منه بما يظهر عليه من أمارات الرقة وعلاماتها، فتكون رحمة قاصرة لا يصيب المرحوم منها إلا امتنانه لمن رحمه.

وتتفق الرحمة الإلهية مع هذه المعاني جميعا إلا في المعنى الأخير، والذي لا يعتبر شرطا في الرحمة، بل هو دليل العجز والنقص.

وعدم احتواء الرحمة الإلهية على هذا المعنى مظهر من مظاهر كمالها، لأن الرحيم الذي يفيض عنايته بسبب ما اعتراه من الرقة، هو في حقيقته يعالج رقته، ويعتني بالضعف الذي أصابه، لا بالمرحوم، ولذلك تجده يضطر المرحوم للتوسل إليه بفاقته وعجزه ليرحمه.

وقد أشار الغزالي ـ المتكلم العارف ـ إلى هذا المعنى، فقال:(الرحمة لا تخلو عن رقة مؤلمة تعتري الرحيم فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم والرب سبحانه وتعالى منزة عنها، فلعلك تظن أن ذلك نقصان في معنى الرحمة، فاعلم أن ذلك كمال وليس بنقصان في معنى الرحمة، أما أنه ليس بنقصان فمن حيث أن كمال الرحمة بكمال ثمرتها ومهما قضيت حاجة المحتاج بكمالها لم يكن للمرحوم حظ في تألم الراحم وتفجعه، وإنما تألم الراحم لضعف نفسه ونقصانها ولا يزيد ضعفها في غرض المحتاج شيئا

---

[1] () نور الثقلين: 1/14.

بعد أن قضيت كمال حاجته، وأما أنه كمال في معنى الرحمة فهـو أن الرحيم عن رقـة وتـألم يكـاد يقصـد بفعلـه دفـع ألم الرقـة عن نفسه فيكون قد نظر لنفسه وسعى في غرض نفسه، وذلك ينقص عن كمال معنى الرحمـة بـل كمـال الرحمـة أن يكـون نظـره إلى المرحوم لأجل المرحوم لا لأجل الاستراحة من ألم الرقة)[1]

هذا مثال عن منهج تعامل المنزهة مع الكمـالات الإلهيـة.. فهم ينزهونها من كل النقائص التي تعتريها، والتي تجعـل منهـا نقصـا لا كمالا، ومن هنا قال المتكلمـون: (خـذ الغايـات، واتـرك المبـادئ)، فالرحمة لها مبدأ، وهو الوصف الانفعالي الخاص الذي يعرض على القلب، ولها منتهى وهو العطاء والإفاضة، فإذا أطلق هـذا الوصـف على الله سبحانه أريد به غايته، لا مبدؤه.

ولهذا نبه الإمام الصادق إلى عدم صحة جريان الانفعالات على الله تعالى مطلقا، ضاربا المثل على ذلـك بالغضـب، فقـال: (وأمـا الغضب فهو منا إذا غضبنا تغيرت طبايعنا، وترتعد مفاصلنا، وحالت ألواننا، ثم نجيء من بعد ذلك بالعقوبات، فسمي غضباً، فهـذا كلام الناس المعروف، والغضب شيئان أحدهما في القلب، وأما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله جـل جلالـه، وكـذلك رضـاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة)[2]

انطلاقا من هذا فسر جميع المنزهة باختلاف مدارسهم أسـماء الله الحسنى .. فهي كلها حسنى، وكلها في منتهى الكمال، وكلهـا في منتهى الجمال.

يقول الغزالي في بيان معنى اسم الله الـودود: (الـودود: هـو الذي يحب الخير لجميع الخلق، فيحسن إليهم، ويثـني عليهم، وهـو قـريب من معـنى الـرحيم، لكن الرحمـة إضـافة إلى مرحـوم، والمرحـوم هـو المحتـاج والمضـطر، وأفعـال الـرحيم تسـتدعي مرحوما ضعيفا، وأفعال الودود لا تسـتدعي ذلـك، بـل الإنعـام على سبيل الابتداء من نتائج الود، وكما أن معنى رحمته سبحانه وتعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايتـه لـه، وهـو مـنزه عن رقـة الرحمـة، فكذلك وده إرادته الكرامة والنعمة وإحسـانه وإنعامـه، وهـو مـنزه عن ميل المودة والرحمة، لكن المـودة والرحمـة لا تـراد في حـق المرحـوم والمـودود إلا لثمرتهمـا وفائـدتهما، لا للرقـة والميـل، فالفائدة هي لباب الرحمة والمودة وروحهما، وذلـك هـو المتصـور

---

[1] () المقصد الأسنى (ص: 63)

[2] () نور الثقلين: 1/13.

في حق الله سبحانه وتعالى دون ما هو مقارن لهما وغير مشروط في الإفادة)[1]

لكن المدرسة السلفية خالفت الأمة جميعا في ذلك، لأن التجسيم والتشبيه الذي صورت به الله كان له تأثيره الكبير في تجسيمهم وتشبيههم لأفعال الله.. وبذلك صار الله عندهم جسما بذاته وأفعاله.

ولهذا ملأوا كتبهم العقدية الخطيرة بإثبات الصفات الدالة على عجز الله وافتقاره وحاجته، فهم عند حديثهم عن كلام الله تعالى ـ مثلا ــ لا ينزهون الله عن الحاجة إلى الحرف والصوت.. لأن الحرف والصوت حادث، وهو ــ علميا ــ عبارة عن ذبذبات وموجات.. وهو فوق ذلك ضعف وقصور.. لأن من استطاع أن يوصل إليك ما يريده من غير حاجة إلى حرف وصوت يكون أكمل من الذي يحتاج إليهما.

لكن السلفية شبهوا كلام الله بكلام خلقه، فذكروا من أركانه الحرف والصوت، بل والنطق والسكوت، بل ذكروا الفم، وكل ما يقتضيه الكلام من آلات.. وأضافوا إلى ذلك كله أن كفروا كل من ينكر ذلك، ورموه بالتجهم والتعطيل، وأنه أكفر من اليهود والنصارى.

وقد ألفوا في ذلك الكتب الكثيرة، بل جعلوا هذه القضية [قضية كلام الله] من أمهات القضايا العقدية التي يصنف المؤمنون على أساسها حتى أن المتوقف اعتبروه ضالا منحرفا.

ومن خلال البحث عن مصادرهم في ذلك نجد أنها كتب اليهود التي تتملذ سلفهم عليها، فكما أن اليهود تنسب الصوت إلى الله تعالى، وتشبهه في ذلك بخلقه، كما جاء في سفر التثنية (5/26): (من جميع البشر الذي سمع صوت الله)، نجد السلفية ــ بلسان ابن تيمية ــ يقولون: (وجمهور المسلمين يقولون إن القرآن العربي كلام الله، وقد تكلم به بحرف وصوت)[2]، ويقول ــ مفتريًا على موسى عليه السلام ـ: (إن موسى لما نودي من الشجرة: (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) (طه:12) أسرع الإجابة وتابع التلبية وما كان ذلك منه إلا استئناسًا منه بالصوت وسكوناً إليه وقال: إني أسمع صوتك وأحسّ حسّك)[3]

---

[1] المقصد الأسنى (ص: 122)

[2] مجموع الفتاوى: 5/556.

[3] شرح حديث النـزول، ص220.

ويقول محمد خليل هراس المعلق على هذا الكتاب إن معنى : (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) (الشورى: 51) (يعني تكليما بلا واسطة لكن من وراء حجاب فيسمع كلامه ولا يرى شخصه)[1]

ويقول: (يسمعون صوته عز وجل بالوحي قويا له رنين وصلصلة ولكنهم لا يميزونه، فإذا سمعوه صعقوا من عظمة الصوت وشدته)[2]

وفي كتاب (الأسماء والصفات) يقول ابن تيمية ـ في معرض ردّه على الجهمية ـ: (وحديث الزهري قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له صف لنا كلام ربك، قال: سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها؟ فكأنه مثله)[3]

ويقول محمد بن صالح العثيمين: (في هذا إثبات القول لله وأنه بحرف وصوت، لأن أصل القول لا بد أن يكون بصوت فإذا أطلق القول فلا بد أن يكون بصوت)[4]

بل إنهم لا يكتفون بوصف الله بالحاجة والافتقار إلى الحرف والصوت عند الكلام، بل يذكرون أنه يحتاج كذلك إلى الفم واللسان، فقد قال ابن تيمية في معرض الرد على الجهمية: (وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان)[5]

ويقول الدارمي في رده على بشر المريسي عن الله تعالى: (إن الكلام لا يقوم بنفسه شيئا يرى ويحس إلا بلسان متكلم به)[6]

وقال في نفس الكتاب: (وهو يعلم الألسنة كلها، ويتكلم بما شاء منها، إن شاء تكلم بالعربية وإن شاء بالعبرية وإن شاء بالسريانية)[7]

وقال في كتابه في (الرد على الجهمية): (قال كعب الأحبار: لما كلم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه طفق موسى يقول: أي رب ما أفقه هذا حتى كلّمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته

---

[1] () حاشية كتاب التوحيد، لابن خزيمة، ص 137.

[2] () حاشية (كتاب التوحيد)، ص 137، ص146.

[3] () الأسماء والصفات، ص73.

[4] () فتاوى العقيدة، ص72.

[5] () الأسماء والصفات، (1/73).

[6] () رد الدارمي على بشر المريسي، (ص112).

[7] () رد الدارمي على المريسي، ص123.

يعني بمثل لسان موسى وبمثل صوت موسى)، ثم يقول: (فهذه الأحاديث قد رويت وأكثر منها ما يشبهها كلها موافقة لكتاب الله في الإيمان بكلام الله)[1]

وقال أبو يعلى: (وكلَّمَ الله موسى تكليمًا من فيه – يعني من فمه – وناوله التوراة من يده إلى يده)[2]

وهكذا قال كل أئمتهم بهذا، وهو نفس ما نجده في كتب اليهود، فقد ورد في سفر أيوب (37/2-6): (اسمعوا سماعًا رعد صوته والرمذمة الخارجة من فيه تحت كل السموات)

وليت السلفية اكتفوا بهذا، بل راحوا يعتبرون كل منكر لهذا جهميا معطلا كافرا.. وهم يستدلون لذلك بما رواه عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه حيث قال: سألت أبي رحمه الله قلت: ما تقول في رجل قال: التلاوة مخلوقة وألفاظنا بالقرآن مخلوقة والقرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق؟ وما ترى في مجانبته؟ وهل يسمى مبتدعا؟ فقال: (هذا يجانب وهو قول المبتدع، وهذا كلام الجهمية ليس القرآن بمخلوق، قالت عائشة: تلا رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 7]، فالقرآن ليس بمخلوق)[3]

وقال: (حدثني ابن شبويه، سمعت أبي يقول: (من قال شيء من الله عز وجل مخلوق علمه أو كلامه فهو زنديق كافر لا يصلى عليه، ولا يصلى خلفه ويجعل ماله كمال المرتد ويذهب في مال المرتد إلى مذهب أهل المدينة أنه في بيت المال)، سألت أبي رحمه الله قلت: إن قوما يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، فقال: (هم جهمية وهم أشر ممن يقف، هذا قول جهم، وعظم الأمر عنده في هذا، وقال: هذا كلام جهم)[4]

هذا نموذج عن موقفهم من المنزهة، والذين يعتبرونهم بهذا كفارا، وهم يطبقون هذا على كل الأمة بمذاهبها المختلفة.. وحتى أعلامها الكبار لم ينجوا منهم.. بل إنهم يعتبرون مجرد السكوت أو التوقف عن التكفير كفرا.

وقد ذكر ابن سحمان في كشف الأوهام مواقف أعلام السلفية

---

[1] () الرد على الجهمية، (ص81)

[2] () طبقات الحنابلة) لأبي يعلى (1/32)

[3] () السنة لعبد الله بن أحمد (1/ 164)

[4] () السنة لعبد الله بن أحمد (1/ 164)

من تكفير من لم يكفر الكافر، فقال ــ ذاكرا سؤالا طويلا وجه لبعض مشايخهم وجوابهم عليه ــ: (ما يقول الشيخ ابن الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن في أناس تنازعوا فقال بعضهم الجهمية كفار والذي ما يكفرهم كافر واستدلوا على ذلك بقول بعض العلماء من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم فهو كافر، وقال الآخرون أما قولكم الجهمية كفار فهذا حق إن شاء الله ونحن نقول بذلك وهو قول جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة كما ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في كتابه فتح المجيد شرح كتاب التوحيد في الكلام على أول باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات وكما ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن أيضا في جوابه على شبهة الجهمي ابن كمال المذكور في مجموعة التوحيد وكما ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه الكافية الشافية بقوله

(ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان)

وأما قولكم: والذي ما يكفرهم كافر فهذا باطل مردود)[1]

وكان جوابه أن قال: (الجواب أن يقال: **أولا** هذه دعوى كاذبة خاطئة فإنه لم ينقل عن أحد من العلماء المذكورين أو غيرهم عدم تكفير الجهمية البتة، ولا أصل له في كلام أحد من العلماء إلا ما يحكى عن طائفة من أهل البدع أنهم لم يحكموا بكفر المقلدين من جهال الكفار الذين هم أتباعهم وحميرهم الذين معهم تبع ولم يحكموا لهم بالنار وجعلوهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم، وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم، ويقال نعم قد قال الإمام أحمد في عقيدته لما ذكر أن من قال بخلق القرآن فهو جهمي كافر قال: ومن لم يكفر هؤلاء القوم فهو مثلهم، وقال أبو زرعة: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهل فهو كافر .. ولم ينقل الخلاف إلا في نوع من الجهال المقلدين وهم الذين تمكنوا من الهدى والعلم بالأسباب التي يقدرون بها على طلبه ومعرفته لكن أعرضوا وأخلدوا إلى أرض الجهالة وأحسنوا الظن بمن قلدوه واستسهلوا التقليد وهؤلاء توقف ابن القيم عن وصفهم بالكفر

[1] كشف الأوهام والإلتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس (ص: 24)

وعن وصفهم بالإسلام في الكافية الشافية وجزم في الطبقات أنه لا عذر لهم عنـد اللـه ثم إن جميـع من صـنف في السـنة من أهـل السنة والجماعة يردون فيها على هؤلاء الملاحدة الزنادقة الضـلال ويبينون ضلالهم وكفرهم وابتداعهم ولم نسمع أن أحدا منهم اعتذر عن هؤلاء الجهميـة وقـال إنهم مسـلمون لان بعض أهـل العلم لم يكفروهم ولا اعتذر عن أحد من أهل الأهواء والبدع)[1]

وهكذا لـو طبقنـا هـذه الفتـوى الوهابيـة السـلفية لحكمنـا على الأمة جميعا بالكفر، سواء كـانوا منزهـة أو متوقفـة أو معتـدلين أو متطرفين.. فيستحيل أن يوجد سلفي مـنزه، أو سـلفي معتـدل إلا إذا كان في منصب حساس يحتاج فيه إلى ممارسة التقية.

بناء على هذا، سـنحاول هنـا أن نـذكر نمـاذج عن بعض صـفات أفعـال اللـه كمـا ينص عليهـا السـلفية، أو كمـا يمكن قراءتهـا من كتبهم، مع ذكر مروياتهم، ومدى خطورتها على العقيدة التنزيهية.

الضحك والعجب:

لا يعتبر السلفية الانفعالات من العجب والضحك ونحوها نقصـا، بل يعتبرونهـا كمـالا، ولـذلك نـراهم يتنافسـون في إثبـات مختلـف أنواع الانفعالات لله، بل نراهم يصورونها تصويرا تشبيهيا تجسـيميا محضا.

ومن ذلك ما ورد في (الرسالة الأكملية) لابن تيمية، حيث قال: (وقول القائل: إن الضحك خفة روح، ليس بصحيح، وإن كـان ذلـك قد يقارنه.. ثم قول القائل: (خفة الروح) إن أراد به وصفًا مذمومًا فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه، وإلا فالضـحك في موضـعه المناسب له صفة مدح وكمـال، وإذا قـدر حيـان؛ أحـدهما: يضْـحَك ممـا يُضْـحَك منـه، والآخـر: لا يضـحك قـط، كـان الأول أكمـل من الثاني)[2]

وبهذا المنطق حاول ابن تيمية أن يثبت ضحك الله، بـل وجميـع الانفعالات التي تجري على الإنسان.

ومن الروايـات الـتي أوردهـا في ذلـك: (ينظـر إليكم الـرب قَنِطِين، فيظل يضحك، يعلم أن فَرَجَكُم قريب)، فقال له أبو رَزِين العُقَيْلِي: يا رسول الله، أو يضـحك الـرب؟ ! قـال: نعم، قـال: (لن

[1] () كشف الأوهام والإلتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس (ص: 66).

[2] () الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: 55)

نعدم من رب يضحك خيرًا)

وقد علق ابن تيمية على الرواية بقوله: (فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلاً على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال، والشخص العَبُوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك، وقد قيل في اليوم الشديد العذاب إنه ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 10])[1]

ولنتصور مبلغ ذلك التشويه لرحمة الله تعالى التي شملت كل شيء، وكيف حولها السلفية إلى نوع من السخرية، فالرواية التي أعجب بها ابن تيمية، تصور الله، وهو يضحك على معاناة خلقه واكتئابهم؟.. وهي صورة تدل على تأثر من صورها بصورة أولئك الملوك الجبارين الظلمة الذين ركن لهم السلفية وأحبوهم، وباعوا كل شيء من أجلهم.

ومما أورده ابن تيمية من الأدلة على ما يسميه صفة الضحك لله تعالى قوله: (والإنسان حيوان ناطق ضاحك، وما يميز الإنسان عن البهيمة صفة كمال، فكما أن النطق صفة كمال، فكذلك الضحك صفة كمال، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك، وإذا كان الضحك فينا مستلزمًا لشىء من النقص فالله منزه عن ذلك، وذلك الأكثر مختص لا عام، فليس حقيقة الضحك مطلقًا مقرونة بالنقص، كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص، ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم أن يكون الرب موجدًا وألا تكون له ذات)[2]

ولو طبقنا هذا المقياس الذي ذكره ابن تيمية على الله، لسوينا الله بعباده، ولجعلنا كمالاتنا الوهمية كمالات له.

وما ذكره ابن تيمية هو نفس ما ذكره المتقدمون والمتأخرون من السلفية الذين اعتبروا ضحك الله صفة من صفاته، يقول ابن خزيمة: (باب: ذكر إثبات ضحك ربنا عَزَّ وجلَّ: بلا صفةٍ تصفُ ضحكه جلَّ ثناؤه، لا ولا يشبَّه ضَحِكُه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك ؛ كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جلّ وعلا، إذ الله عَزَّ وجلَّ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك ؛ فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ، مصَدِّقون

---

[1] () الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: 55)

[2] () الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: 56).

بذلك، بقلوبنا منصتون عمَّا لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه) [(1)] .

وقال أبو بكر الآجري: (باب الإيمان بأن الله عَزَّ وجلَّ يضحك: اعلموا - وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل - أنَّ أهل الحق يصفون الله عَزَّ وجلَّ بما وصف به نفسه عَزَّ وجلَّ، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم. وهذا مذهب العلماء مِمَّن اتّبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به ؛ أنَّ الله عَزَّ وجلَّ يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته ؛ فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق)[(2)]

وهكذا قالوا في الصفة التي نسبوها لله [صفة العجب]، فقد قال قوَّام السُّنَّة الأصبهاني: (وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يَعْجَبُ: (وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يَعْجَبُ ؛ لأن العَجَب ممَّن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ ؛ على أنه إخبار من الله عَزَّ وجلَّ عن نفسه)[(3)]

وقال ابن أبي عاصم: (باب: في تَعَجُّبِ ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه.. لأن العَجَب ممَّن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ ؛ على أنه إخبار من الله عَزَّ وجلَّ عن نفسه)[(4)]

وهكذا قالوا في الصفة التي سموها صفة [البشبشة]، فقد رووا فيها حديثا عن أبي هريرة؛ أنَّ النبي ﷺ قال: (ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر ؛ إلا **تبشبش** الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم)[(5)]

قال أبو يعلى الفراء عند ذكره لإثبات صفة الفرح لله تعالى: (وكذلك القول في البشبشة؛ لأن معناه يقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحاً، ويقولون:

---

[1] () التوحيد، (2/563).

[2] () الشريعة، (ص 277)

[3] () الحجة: 2/457.

[4] () الحجة: 2/457.

[5] () ابن ماجه (صحيح سنن ابن ماجه/652). وأحمد (8332). والطيالسي (2334). والحاكم (1/213). ابن خزيمة (1503). وابن قتيبة في (غريب الحديث) (1/160)

فلان هش بش فرح، إذا كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح)[1]

وقال الدارمي: (وبلغنا أنَّ بعض أصحاب المريسي قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في رد مذاهبنا مما لا يمكن التكذيب بها ؛ مثل: سفيان عن منصور عن الزهري، والزهري عن سالم، وأيوب بن عوف عن ابن سيرين، وعمرو بن دينار عن جابر عن النبي ﷺ .. وما أشبهها؟)). قال: ((فقال المريسي: لا تردوه تفتضحوا، ولكن ؛ غالطوهم بالتأويل ؛ فتكونوا قد رددتموها بلطف ؛ إذ لم يمكنكم ردها بعنف ؛ كما فعل هذا المعارض سواء.. وسننقل بعض ما روي في هذه الأبواب من الحب والبغض والسخط والكراهية وما أشبهه .. (ثم ذكر أحاديث في صفة الحب ثم البغض ثم السخط ثم الكره ثم العجب ثم الفرح، ثم حديث أبي هريرة السابق في البشاشة، ثم قال) وفي هذه الأبواب روايات كثيرة أكثر مما ذكر، لم نأت بها مخافة التطويل)[2]

وهكذا قالوا فيما يسمونها صفة [الفرح]، والتي رووا فيها حديثا عن أبي هريرة وغيره يرفعه إلى رسول الله، جاء فيه: (لله **أفرح** بتوبة عبده)، وفي رواية: (أشد فرحاً)[3]

وقد قال ابن القيم ساخرا من الذي أولوا هذا الحديث من باب تنزيه الله تعالى عن الانفعالات الدالة على القصور والعجز: (وأيضاً فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: (للهُ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم ضل راحلته)، قالوا: وهذا أعظم ما يكون من الفرح وأكمله، فإن صاحب هذه الراحلة كان عليها مادة حياته من الطعام والشراب، وهى مركبه الذى يقطع به مسافة سفره، فلو عدمه لانقطع فى طريقه فكيف إذا عدم مع مركبه طعامه وشرابه.. فأى فرحة تعدل فرحة هذا؟ ولو كان فى الوجود فرح أعظم من هذا لمثل به النبى ﷺ، ومع هذا ففرح الله بتوبة عبده إذ تاب إليه أعظم من فرح هذا براحلته، وتحت هذا سر عظيم يختص الله بفهمه من يشاءُ، فإن كنت ممن غلظ حجابه وكثفت نفسه وطباعه، فعليك بوادى الخفا، وهو وادى المحرّفين للكلم عن مواضعه، الواضعين له على غير المراد منه، فهو واد قد سلكه

---

[1] إبطال التأويلات: 1/243.

[2] الرد على بشر المريسي، ص 200.

[3] البخاري (6308 و 6309)، ومسلم (4927- 4933).

خلق وتفرقوا فى شعابه وطرقه ومتاهاته ولم تستقر لهم فيه قدم ولا لجـؤوا منـه إلى ركن وثيـق، بـل هم كحـاطب الليـل وحـاطم السيل)[1]

وهكذا أصبح منزه الله ـ في معيار السلفيين ـ محرفـا، وأصـبح المجسم معظما ومنزها.

ومثله قال الشيخ محمـد خليـل الهـرَّاس عنـد شـرحه للحـديث السابق، فقد قال: (وفي هذا الحديث إثبات صـفة الفـرح للـه عَـزَّ وجـلَّ، والكلام فيـه كـالكلام في غـيره من الصـفات ؛ أنـه صـفة حقيقية لله عَزَّ وجـلَّ، على مـا يليـق بـه، وهـو من صـفات الفعـل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحْدُث له هذا المعـنى المعبَّر عنـه بالفرح عندما يُحدِثُ عبدُهُ التوبةَ والإنابَةَ إليه، وهو مستلزمٌ لرضـاه عن عبده التائب، وقبوله توبته، وإذا كان الفرح في المخلـوق على أنواع ؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكـون فـرح أشـر وبطرٍ ؛ فالله عَزَّ وجلّ مُنَزَّه عن ذلـك كلـه، ففرحـهُ لا يشـبه فـرح أحد من خلقه ؛ لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته ؛ فسـببه كمـال رحمتـه وإحسـانه الـتي يحب من عبـاده أن يتعرَّضـوا لهـا، وغايتـه إتمـام نعمتـه على التـائبين المنيـبين، وأمـا تفسـير الفـرح بلازمه، وهو الرضى، وتفسير الرضـى بـإرادة الثـواب ؛ فكـل ذلـك نفيُ وتعطيـلٌ لفرحـه ورضـاه سـبحانه، أوجبـه سـوءُ ظنِّ هـؤلاء المعطِّلة بربهم، حيث توهَّموا أن هذه المعاني تكـون فيـه كمـا هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم)[2]

اللهو واللعب:

عندما مطالعة الكثير من الروايـات الـتي يحكيهـا السـلفية عن سـلفهم، أو يرفعونهـا إلى رسـول اللـه ﷺ نجـد العبثيـة في أكمـل صـورها، فهم يصـورون اللـه البـديع الـذي أتقن كـل شـيء خلقـه، والحكيم الــذي لا منتهى لحكمتــه، بصــورة اللاهي اللاعب الــذي يتصرف تصرفات لا دلالة لها، ولا حاجة إليها.

ومن الأمثلة على ذلـك مـا فسـروا بـه قولـه تعـالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: 67]، فقد أوردوا في تفسيرها من تصرفات الله - بحسبهم - ما يملأ بالعجب..

---

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 234).

(2) شرح العقيدة الواسطية (ص 166).

فقد تحولت الآية الكريمة ـ بسبب تحريفاتهم ــ من آية تبين عظمة الله وقدوسيته، إلى مشاهد ساخرة عابثة لإله متجبر متسلط، وكأنهم لا يتحدثون عن إله، وإنما عن ملك من ملوك زمانهم.

فمن أقوال ابن تيمية في تفسير الآية الكريمة: (والحديث مروي فى الصحيح والمسانيد وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضا وفى بعض ألفاظه قال: قرأ ﷺ على المنبر: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: 67]، ثم قال: (مطوية فى كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة).. وفى لفظ (يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده فيجعلها فى كفه ثم يقول بهما هكذا كما تقول الصبيان بالكرة: أنا الله الواحد)، وقال ابن عباس: يقبض الله عليهما، فما ترى طرفاهما بيده)[1]

ومن الأمثلة الخطيرة التي ذكرها، وهو لا يقصد بها إلا التشبيه المحض، قوله: (وفي لفظ قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: (يأخذ الجبار سمواته وأرضه، وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول: أنا الرحمن، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا، أنا الذي أعدتها، أين المتكبرون؟ أين الجبارون؟)[2]

وروى أبو الشيخ في العظمة هذه الرواية: (يطوي الله عز وجل السموات السبع بما فيهن من الخلائق والأرضين بما فيهن من الخلائق يطوي كل ذلك بيمينه فلا ُيرى من عند الإبهام شيء ولا يرى من عند الخنصر شيء فيكون ذلك كله في كفه بمنزلة خردلة)[3]

وقد علق ابن القيم على أمثال هذه الروايات بقوله: (إذا كانت السموات السبع في يده كالخردلة في يد أحدنا، والأرضون السبع في يده الأخرى كذلك فكيف يقدره حق قدره من أنكر أن يكون له يدان فضلاً عن أن يقبض بهما شيئاً، فلا يد عند المعطلة ولا قبض في الحقيقة وإنما ذلك مجاز لا حقيقة له، وللجهمية والمعطلة من هذا الذم أوفر نصيب)[4]

---

[1] () الرسالة العرشية (ص: 18)

[2] () الرسالة العرشية (ص: 17)

[3] () العظمة 2/445(136)

[4] () الصواعق المرسلة 4/1364

الحاجة والافتقار:

وهي من الصفات التي يخرج بها من قرأ العقائد السلفية من مصادرها، فالله عندهم يفتقر إلى الوسائل والأدوات ليحقق حاجاته ومطالبه، بل يفتقر إلى الدار التي يسكن فيها، والعرش الذي يقعد عليه.. وقد رأينا في هذا الفصل ما ذكروه من احتياج الله إلى الفم واللسان ليتكلم.. وذكرنا في فصل سابق ما ذكروه من احتياج الله للعينين ليرى، والدار ليسكن، والعرش ليقعد.

وهكذا نرى ذكرهم لحاجته إلى الرجلين ليتنقل، فمن صفات الله عندهم صفة [المشي والهرولة]، وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول هذه الصفة، فأجابت: (نعم صفة الهرولة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف على ما يليق به قال تعالى: (إذا تقرب إلي العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أتاني ماشياً أتيته هرولة) رواه: البخاري ومسلم)[1]

وقد أثبتها كل السلفية المعاصرين من أمثال عبدالرزاق عفيفي وابن عثيمين وابن غديان وابن قعود وغيره.

فقد سئل ابن عثيمين عن عن صفة الهرولة، فأجاب بقوله: (صفة الهرولة ثابتة لله تعالى كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، فذكر الحديث وفيه: (وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)، وهذه الهرولة صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل، لأنه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه فوجب علينا قبولها بدون تكييف)[2]

وقال محمد ناصر الدين الألباني: (لكن الهرولة، الهرولة كالمجيء والنزول صفات ليس يوجد عندنا ما ينفيها إذا خصصناها بالله عز وجل؛ لأن هذه الصفات ليست صفة نقص حتى نبادر رأساً إلى نفيها....) [3]

وهكذا نرى حاجة الله في مثل هذه الرواية الغريبة التي يشحنون بها كتب عقائدهم، ويعتبرون المنكر أو المؤول لها جهميا معطلا، فقد رووا عن أبي هريرة قال: (لما أراد الله أن يخلق آدم، بعث ملكا من الملائكة من حملة العرش إلى الأرض، فلما

---

[1] () فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (3/142).

[2] () فتاوى ابن عثيمين -العقيدة-1/380.

[3] () سلسلة الهدى والنور شريط رقم (756/1).

أهوى ليأخذ منها، قالت له الأرض: أسألك بالـذي أرسـلك ألا تأخـذ مني اليوم شيئا يكون للنار فيه نصيب غدا، قال: فتركها، فلما رجع إلى ربه قال: مـا منعـك أن تـأتيني بمـا أمرتـك بـه، فقـال: يـا رب سألتني بك ألا آخذ منها شيئا يكون للنار غدا منه نصيب، فأعظمت أن أرد شيئا سألني بك، قـال: ثم أرسـل آخـر من حملـة العـرش، فلما أهوى ليأخذ منها قالت لـه الأرض: أسـألت بالـذي أرسـلك ألا تأخذ مني اليوم شيئا يكون للنار فيـه نصـيب، قـال: فتركهـا، فلمـا رجع إلى ربه قال: ما منعك أن تأتيني بما أمرتك بـه، قـال: يـا رب سألتني بك ألا آخذ منها شيئا يكون للنار فيه نصيب غدا، فأعظمت أن أرد شيئا سألني بك، قال: ثم أرسل آخر من حملة العرش فلما أهوى ليأخذ منها، قالت له مثل ما قالت للأول فتركها، ثم رجع إلى ربه، فقال مثل ما قال الأول، حتى أرسل حملة العرش كلهم، كـل ذلك تقول لهم مثل ذلك، فيرجعون إلى ربهم فيقولون مثـل ذلـك، حتى أرسل ملك الموت، فلما أهـوى ليأخـذ منهـا قـالت لـه الأرض أسألك بالذي أرسلك أن لا تأخذ مني اليوم شـيئا يكـون للنـار فيـه نصـيب غـدا، فقـال ملـك المـوت: إن الـذي أرسـلني إليـك أحـق بالطاعة منك)[1]

وهذه الرواية لا تبين فقط افتقـار اللـه وحاجتـه إلى أن يخـبره الملاك بحقيقة ما حصل، وإنما تتناقض مع ما أخبر الله تعالى عنــه من طاعة الملائكة المطلقة لله، كما قـال تعـالى: ﴿عَلَيْهَـا مَلَائِكَـةٌ غِلَاظٌ شِـدَادٌ لَا يَعْصُـونَ اللَّهَ مَـا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُـونَ مَـا يُـؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

وهي تذكرنا بتلك الرواية المشهورة التي أقـام السـلفية الـدنيا لأجلهـا، ولم يقعـدوها، وهي مـا رووه عن أبي هريـرة موقوفـا ومرفوعا إلى النبي ﷺ، أنه قال: (أرسل ملك الموت إلى موسـى عليه السلام، فلما جاءه صكَّه ففقـأ عينـه، فرجـع إلى ربـه فقـال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فرد اللـه إليـه عينـه وقـال: ارجع إليه، فقل له: يضـع يـده على متن ثـور، فلـه بمـا غطت يـده بكل شعرة سـنة، قـال: أي ربِّ ثم مـه ؟ قـال: ثم المـوت، قـال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر)[2]

---

[1] أورده الذهبي في العلو: ص 86.

[2] البخاري (1339)، ومسـلم (2372)، (157). وابن أبي عاصـم في السـنة (599) عن

ومن الروايات التي يروونها في كتبهم العقائدية، والتي يبينون من خلالها حاجة الله وافتقاره للملائكة ليخبروه بأخبار ما يحصل في كونه، ما رووه عن ابن مسعود أنه قال: (إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار. نور السموات من نور وجهه وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتا عشرة ساعة، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار، اليوم فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع فيها على ما يكره، فيغيظه ذلك، فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقل عليهم، فيسبحه الذين يحملون العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة)[1]

فهذا الحديث يبين افتقار الله إلى ثلاث ساعات كاملة ليراجع فيها تصرفات عباده، وبعد أن يحصل له الغضب الشديد يفتقر إلى تسبيح الملائكة ليهدأ.

بربكم ـ أيها السلفيون ـ هل هذه صفات إله أم صفات ملك من ملوككم، أو أمير من أمرائكم الذين تسبحون بحمدهم؟

ومن الروايات القريبة من هذا ما رووه عن خيثمة، قال: (كان ملك الموت صديقا لسليمان بن داود، قال: فأتاه ذات يوم، فقال: يا ملك الموت مالك، تأتي أهل الدار فتأخذ أهلها كلهم، وتدع الدار إلى جنبهم لا تأخذ منهم أحدا؟ قال: ما أنا بأعلم بذلك منك، إنما أكون تحت العرش فيلقى إلي صكاكا فيها أسماء)[2]

ومع أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: 50] إلا أن السلفية يذكرون خلاف ذلك، فقد رووا عن عبد الله بن عباس عن رجال من الأنصار أنهم كانوا عند رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار، فقال رسول الله ﷺ: (ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية؟) قال: كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، أو مات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: (إنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا- تبارك وتعالى- إذا قضى في السماء أمرا، سبحته حملة العرش، ثم سبحته ملائكة السماء الذين يلون حملة العرش، ثم سبحته أهل السماء الثانية، حتى ينتهي التسبيح إلى السماء الدنيا، ثم يقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم، فيخبرونهم، ثم يستخبر

سلمة بن شبيب، والنسائي 4/118.

[1] () الطبراني في الكبير، حديث 8886، 9/ 200، ونقض الإمام أبي سعيد على المريسي (1/ 476)

[2] () أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: (13/205)، وأحمد في الزهد: ص 41. وأبو نعيم في الحلية: (4/119)

أهل السماء أهل السموات بعضهم بعضا حتى ينتهي الخبر إلى السماء، وتخطف الجن السمع، فما جاؤا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون)[1].

ومن الروايات القريبة من هذا ما رووه عن ابن عباس قال: (لما أهبط الله آدم كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فوضع الله يده على رأسه فطأطأه سبعين باعا، قال: يا رب ما لي لا أسمع صوت ملائكتك ولا أوجسهم، فقال الله: خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب فابن لي بيتا وطف به واذكرني حوله كما رأيت الملائكة يصنعون حول عرشي، قال ابن عباس فأقبل آدم يتخطى الأرض، فموضع كل قدم قرية وما بينهما مفازة، حتى وضع البيت)[2]

ومن الروايات المرتبطة بهذا، ما رووه في تفسير آية الدين عن ابن عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: (إن أول من جحد آدم، ان الله لما خلق آدم ومسح ظهره، فأخرج منه ما هو ذاري إلى يوم القيامة، فجعل يعرض ذريته عليه، فرأى فيهم رجلا يزهر، قال: أي رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود، قال: أي رب كم عمره؟ قال: ستون عاما، قال: أي رب زد في عمره، قال: لا إلا أن أزيده من عمرك، وكان عمر آدم ألف عامن فزاده أربعين عاما. فكتب الله عليه بذلك كتابا، وأشهد عليه الملائكة، فلما احتضر آدم اتته الملائكة لقبضه قال إنه قد بقي من عمري أربعون عاما. فقيل له: إنك قد وهبتها لابنك داود. قال: ما فعلت، وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة)[3]

وخطورة هذه القصة لا تقف عن هذا الشويه الخطير لآدم النبي الخليفة، والذي تصوره القصة، وكأن مدة ألف سنة كاملة صحبة الله ووحيه لم تكف لتربيته وتعليمه الوفاء.

وإنما خطورتها بعد ذلك في تلك المحاورات بين آدم عليه السلام والله تعالى، والتي يظهر فيها افتقار الله إلى الكتاب والإشهاد ليقيم الحجة على نبي من أنبيائه الكرام الذين أسجد لهم ملائكته.

---

[1] () مسلم (14/ـ 225)، والترمذي (5/ـ 362، حديث 2324)، والإمام أحمد (1/218)، والدارمي في الرد على الجهمية: ص 78.

[2] () أورده الذهبي في العلو: ص 90. والطبري في تفسيره: (1/ـ 546)، ابن إسحاق في المغازي: ص 72.

[3] () الطيالسي (2692). وابن سعد 1/28-29، وابن أبي شيبة 13/60 و14/118، وابن أبي عاصم في "السنة" (204). وأبو يعلى (2710). والطبراني (12928)

الجور والظلم:

مع ورود النصوص القطعية الكثيرة المخبرة عن عدل الله، ومثلها النصوص التي تنفي الظلم عن الله، كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران:182)، وقال: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: 31)، وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: 46)، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس:44)، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء: 40)، وقال: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ (طه: 112)، والهضم أن ينقص من جزاء حسناته، والظلم أن يعاقب بذنوب غيره، وكلاهما مما يتنافى مع العدل.

إلا أننا نجد كتب العقيدة السلفية تتناقض مع هذه العقائد تماما، فهم يحشون كتبهم بروايات كثيرة تصور الله بصور لا تليق بمن بنى هذا الكون العظيم بمنتهى الدقة والعدالة والتنظيم.

ولإثبات ذلك سنسوق بعض رواياتهم في هذا المجال، والتي نجدها عادة في كل الكتب التي يسمونها كتب سنة، ويعتبرون المعارض لها جهميا معطلا كافرا، وسنترك التعليق عليها لعقل القارئ، ليكتشف الحقيقة من دون تدخل من أي طرف خارجي.

ولتيسير الأمر على القارئ، فقد اخترنا كتابا مشهورا لديهم، يسمى [كتاب القدر]، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: 301هـ)، وهو من سلفهم المتقدمين الذين لا يزالون لهم كل الولاء والاحترام، وقد قال فيه بعضهم، وهو أبو الفضل الزهري: (لما سمعت من الفريابي كان في مجلسه من أصحاب المحابر، من يكتب حدود عشرة آلاف إنسان، ما بقي منهم غيري، هذا سوى من لا يكتب)[1]

وطبعا ما ذكر الزهري هو جزء بسيط ممن تتملذوا عليه بعد ذلك.. فكتاب الرجل محقق ومطبوع، ومنشور على النت، ويتتلمذ على يديه الآن مئات الآلاف من أصحاب الحواسيب والهواتف الذكية.. بالإضافة إلى الأجيال الورقية الكثيرة التي سبقت هذا الجيل الإلكتروني.

ومن تلك الأحاديث التي أوردها في الكتاب بطرق متعددة،

---

[1] () القدر للفريابي (ص: 7).

ونجد أمثالها في كل كتب السلفية، مـا رواه عن هشـام بن حكيم، أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أنبتدأ الأعمال أم قضي القضاء؟، فقال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل أخـذ ذريـة آدم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم، ثم أفـاض بهم في كفيـه، فقال: هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، فأهل الجنة ميسـرون لعمـل أهـل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار)[1]

ومن الروايات الـواردة فيـه أن أن عمـر سئل عن هـذه الآيـة: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُـورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]، فقال: سمعت رسول اللــه ﷺ يسأل عنها، فقـال رسـول اللـه ﷺ: (إن اللـه تعـالى خلـق آدم، فمسح ظهره بيمينه، فاستخرج ذرية، فقـال: خلقت هـؤلاء للجنـة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاسـتخرج منـه ذريـة، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملـون)، فقـال رجـل: يا رسول الله، ففيم العمل؟، فقال رسـول اللـه ﷺ: (إن اللـه عـز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهـل الجنـة حـتى يمـوت على عمل أهـل الجنـة، فيدخلـه بـه الجنـة، وإذا خلـق العبـد للنـار استعمله بعمل أهل النار حتى يمـوت، وهـو على عمـل أهـل النـار فيدخله في النار) [2]

وروى عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: (خلق الله تعــالى آدم حين خلقه، فضرب كفه اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كفـه اليسـرى، فـأخرج ذريـة سـوداء، كـأنهم الحمم، فقال للذين في يمينه: للجنـة ولا أبـالي، وقـال للـذين في يسـاره: إلى النار ولا أبالي)[3]

وروى عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينـا رسـول اللـه ﷺ، وفي يده كتابان، فقال: (أتدرون ما هذان الكتابان؟)، فقـالوا: لا يـا رسول الله، إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: (هـذا كتـاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم)، وقال للذي في شماله: (هذا كتاب من أهل النـار بأسـمائهم، وأسـماء آبـائهم، وقبـائلهم، ثم أجمــل على آخــرهم فلا يــزاد فيهم، ولا ينقص منهم

---

[1] () تفسير الطبري: جـ244/13. والقدر للفريابي (ص: 44)

[2] () القدر للفريابي (ص: 47)

[3] () القدر للفريابي (ص: 52)

أبدا)، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسـول اللـه إن كـان أمـر قـد فرغ منه؟، فقـال: (سـددوا وقـاربوا، فـإن صـاحب الجنـة يختم لـه بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمـل، وإن صـاحب النـار يختم لـه بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمـل)، ثم قـال بيديـه فنبـذهما، ثم قـــال: (فـــرغ ربكم من العبـــاد)، ﴿فَرِيـــقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيـــقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7])[1]

وروى عن عائشة أنها قـالت: دعي رسـول اللـه ﷺ إلى جنـازة صبي، يصلي عليه، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصـفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء، ولم يدر به، فقال: (أو غير ذلك يـا عائشة؟ إن الله عز وجل خلق للجنـة أهلا،، وخلقهم لهـا، وهم في أصـلاب آبـائهم، وخلـق للنـار أهلا، وخلقهم لهـا، وهم في أصـلاب آبائهم)[2]

ورووا عن عن عبـد اللـه بن الحـارث قـال: خطبنـا عمـر بن الخطاب بالجابية، والجاثليق[3] ماثل بين يديه، والترجمان يـترجم، فقال عمر: من يهد الله فلا مضـل لـه، ومن يضـلل فلا هـادي لـه، فقال الجاثليق: إن الله تعالى لا يضل أحـدا، ومن يضـلل فلا هـادي له، فقال عمر: ما تقـول؟ فقـال الترجمـان: لا شـيء، ثم عـاد في خطبته، فلما بلغ من يهد الله فلا مضـل لـه، ومن يضـلل فلا هـادي له، قال الجـاثليق: إن اللـه تعـالى لا يضـل أحـدا، فقـال عمـر: مـا تقول؟ فأخبره، فقال: كذبت يا عدو اللـه، ولـولا ولت[4] عهـد لـك لضربت عنقك، بل الله خلقك، والله أضلك، ثم يميتـك، ثم يـدخلك النار إن شاء الله، ثم قال: إن اللـه عـز وجـل لمـا خلـق آدم عليـه الصلاة والسلام، نـثر ذريتـه، فكتب أهـل الجنـة، ومـا هم عـاملون، وأهل النار، وما هم عاملون، ثم قـال: هـؤلاء لهـذه، وهـؤلاء لهـذه. وقد كان الناس تذاكروا القدر، فافترق الناس، وما ينكره أحد)[5]

وروى عن عبد الله بن عمـرو قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، فـألقى عليهم من نـوره، فمن

---

[1] () القدر للفريابي (ص: 57)

[2] () القدر للفريابي (ص: 58)

[3] () لقب عظيم عظماء النصارى، كما عند ابن وهب في كتاب: القدر: 23.

[4] () ولت معناها النقصان، فالمعنى لولا نقصـان عهـد لـك، انظـر: النهايـة لابن الأثـير: جـ 223/5.

[5] () القدر للفريابي (ص: 65)

أصابه اهتدى، ومن أخطأه ضل)[1]

وروي عن ابن عباس قال: (إن الله عز وجل ضرب منكبه الأيمن -أي آدم- فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال: هؤلاء أهل الجنة، ثم ضرب منكبه الأيسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء، فقال: هؤلاء أهل النار، ثم أخذ عهدهم على الإيمان به، والمعرفة له، ولأمره، والتصديق به، وبأمره، بني آدم كلهم، وأشهدهم على أنفسهم: آمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا)[2]

وقد أقر كل السلفية هذه الأحاديث ومن ذلك ما قاله ابن تيمية في حديث النور، فقد قال فيه: _النص في كتاب الله وسنة رسوله قد سمى الله نور السماوات والأرض، وقد أخبر النص أنَّ الله نور، وأخبر أيضاً أنه يحتجب بالنور ؛ فهذه ثلاثة أنوار في النص، وقد تقدم ذكر الأول، وأمَّا الثاني ؛ فهو في قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وفي قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾، وفيما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور ؛ اهتدى، ومن أخطأه ؛ ضلَّ)[3]

المكر والخداع:

وهي من الصفات التي يعتبرها السلفية، ولا يكاد يخلو كتاب من كتبها من ذكرها، ويعتبرون المؤول لها جهميا معطلا.

قال ابن القيم بعد أنَّ ذكر آيات في صفة (الكيد) و(المكر): (قيل: إنَّ تسمية ذلك مكراً وكيداً واستهزاءً وخداعاً من باب الاستعارة ومجاز المقابلة؛ نحو: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: 40]، ونحو قوله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]، وقيل -وهو أصوب-: بل تسميته بذلك حقيقة على بابه ؛ فإنَّ المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة ..)[4]

وقد علق بعضهم على قولهم (وهو أصوب)، فقال: (قد يوهم أنَّ الأول صواب، والحق أنَّ القول الأول باطل مخالف لطريقة

---

[1] القدر للفريابي (ص: 68)

[2] القدر للفريابي (ص: 68)

[3] مجموع الفتاوى: (6/386)

[4] إعلام الموقعين: (3/229).

السـلف في الصـفات، وانظـر كلامـه رحمـه اللـه في (مختصـر الصواعق المرسلة)[1]

وقال الشيخ عبد العزيز بن بـار معقبـاً على الحافـظ ابن حجـر لَمَّا تأوَّل صفةً من صـفات اللـه: (هـذا خطـأ لا يليـق من الشـارح، والصواب إثبات وصـف اللـه بـذلك حقيقـة على الوجـه اللائـق بـه سبحانه كسائر الصفات، وهو سبحانه يجازي العامـل بمثـل عملـه، فمن مكر ؛ مكر الله به، ومن خـادع ؛ خادعـه، وهكـذا من أوعى ؛ أوعى الله عليه، وهذا قول أهل السـنة والجماعـة ؛ فالزمـه ؛ تفـز بالنجاة والسلامة، والله الموفق)[2]

وسئل الشيخ العثيمين: هل يوصف الله بالخيانـة والخـداع كمـا قال الله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فأجاب بقولـه: (أما الخيانة ؛ فلا يوصف الله بها أبداً ؛ لأنها ذم بكل حال ؛ إذ إنهـا مكـر في موضع الإئتمان، وهو مـذموم ؛ قـال اللـه تعـالى: ﴿وَإِنْ يُرِيـدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَـأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفـال: 71]، ولم يقل: فخانهم . وأما الخداع ؛ فهو كـالمكر، يوصـف اللـه تعـالى بـه حين يكون مدحاً، ولا يوصف به على سـبيل الإطـــلاق ؛ قـال اللـه تعـالى: ﴿إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ يُخَـادِعُونَ اللـهَ وَهُـوَ خَادِعُهُــمْ﴾ [النسـاء: 142])[3]

ومن الصفات المرتبطة بهذا ما يسـمونها صـفة [**الْمُمَاحَلَةُ وَ الْمِحَالُ**]**، ويستدلون لهـا بقولـه** تعـالى: ﴿وَهُمْ يُجَـادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعـد :13]، والـتي تعـني كمـا فسـرها علماء اللغة: شديد الكيد والمَكْر[4].

قال الشيخ زيد بن فياض: (وفي هذه الآيات إثبات وصـف اللـه بالمَكْر والكيد والمُمَاحلة، وهذه صفات فعليـة تثبت للـه كمـا يليـق بجلاله وعظمته، قولـه: ﴿وَهُـوَ شَـدِيدُ الْمِحَـالِ﴾؛ أي: الأخـذ بشـدة وقوة، والمِحَال والمُمَاحلة المماكرة والمغالبة) [5]

السخرية والاستهزاء:

---

[1] () مختصر الصواعق المرسلة: 2/33-34.

[2] () الفتح: (3/300).

[3] () المجموع الثمين: 2/66.

[4] () تهذيب اللغة: 5/95..

[5] () الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، ص 114.

وهي من الصفات التي يعتبرها السلفية، ولا يكاد يخلو كتاب من كتبها من ذكرها، ويعتبرون المؤول لها جهميا معطلا.

ومن أقوالهم في إثباتها ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: 14ـ 15] بعد أن ذكر الاختلاف في كونها صفة أم لا: (والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أنَّ معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزِيء للمستَهْزَأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهراً، وهو بذلك من قِيله وفعلِه به مورثه مساءة باطناً، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر .. وأما الذين زعموا أنَّ قول الله تعالى ذكره (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة ؛ فنافون عن الله عَزَّ وجَلَّ ما قد أثبته الله عَزَّ وجَلَّ لنفسه وأوجبه لها، وسواءٌ قال قائل: لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم، ويقال لقائل ذلك: إنَّ الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم، وأخبرنا عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدقنا الله تعالى فيما ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه؛ فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرقه وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به؟!)[1]

وقال ابن تيمية: في رده على المنزهة الذين يؤولون هذه المعاني بحسب أساليب اللغة العربية من الكناية والمجاز ونحوهما: (وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ (المكر) و(الاستهزاء) و (السخرية) المضاف إلى الله، وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة ؛ كانت ظلماً له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله ؛ كانت عدلاً .. ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم ؛ كما روى عن ابن عباس ؛ أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار، فيسرعون إليه، فيغلق، ثم يفتح لهم باب آخر، فيسرعون

---

[1] () تفسير الطبري (1/ 304)

إليه، فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون)[1]

الملل والسآمة:

وهما صفتان يصرح أعلام السلفية بكونهما من صفات الله تعالى، فالله عندهم يمل، ويسأم، لورود النص بهما.

وهم مع إقرارهم بكون الملل يعني الضجر إلا أنهم لا ينفونه عن الله، فقد قالوا في تفسير قوله ﷺ: (عليكم بما تطيقون، فوالله ؛ لا يمل الله حتى تملوا)[2]، وفي رواية لمسلم: (فوالله ؛ لا يسأم الله حتى تسأموا) ـ بلسان الشيخ محمد بن إبراهيم ـ: (فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا): من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري، لا نقص فيه ؛ كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر)[3]

وسئل الشيخ ابن عثيمين: (هل نستطيع أن نثبت صفة الملل والهرولة لله تعالى؟ فأجاب بقوله: (جاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: (فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملوا)، فمن العلماء من قال: إنَّ هذا دليل على إثبات الملل لله، لكن ؛ ملل الله ليس كملل المخلوق ؛ إذ إنَّ ملل المخلوق نقص ؛ لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله ؛ فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالاً)[4]

ولست أدري كيف يكون الملل والسآمة والضجر كمالا؟

---

[1] () الفتاوى (7/111).

[2] () رواه البخاري (43). ومسلم (785).

[3] () الفتاوى والرسائل (1/209).

[4] () مجموعة دروس وفتاوى الحرم (1/152).